من تراثنا الإسلامي

14

معالم الإيمان
في
معرفة أهل القيروان

صنفه

أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، الدباغ

(٦٠٥ - ٦٩٦ هـ)

أكمله وعلق عليه

أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي

(- ٨٣٩ هـ)

بتحقيق وتعليق

محمد ماضور

الجزء الثالث

المكتبة العتيقة بتونس — الناشر — مكتبة الخانجي بمصر

من تراثنا الإسلامي

14

معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان

صنفه

أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي، الدباغ

(٦٠٥ - ٦٩٦ هـ)

أكمله وعلق عليه

أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي

(- ٨٣٩ هـ)

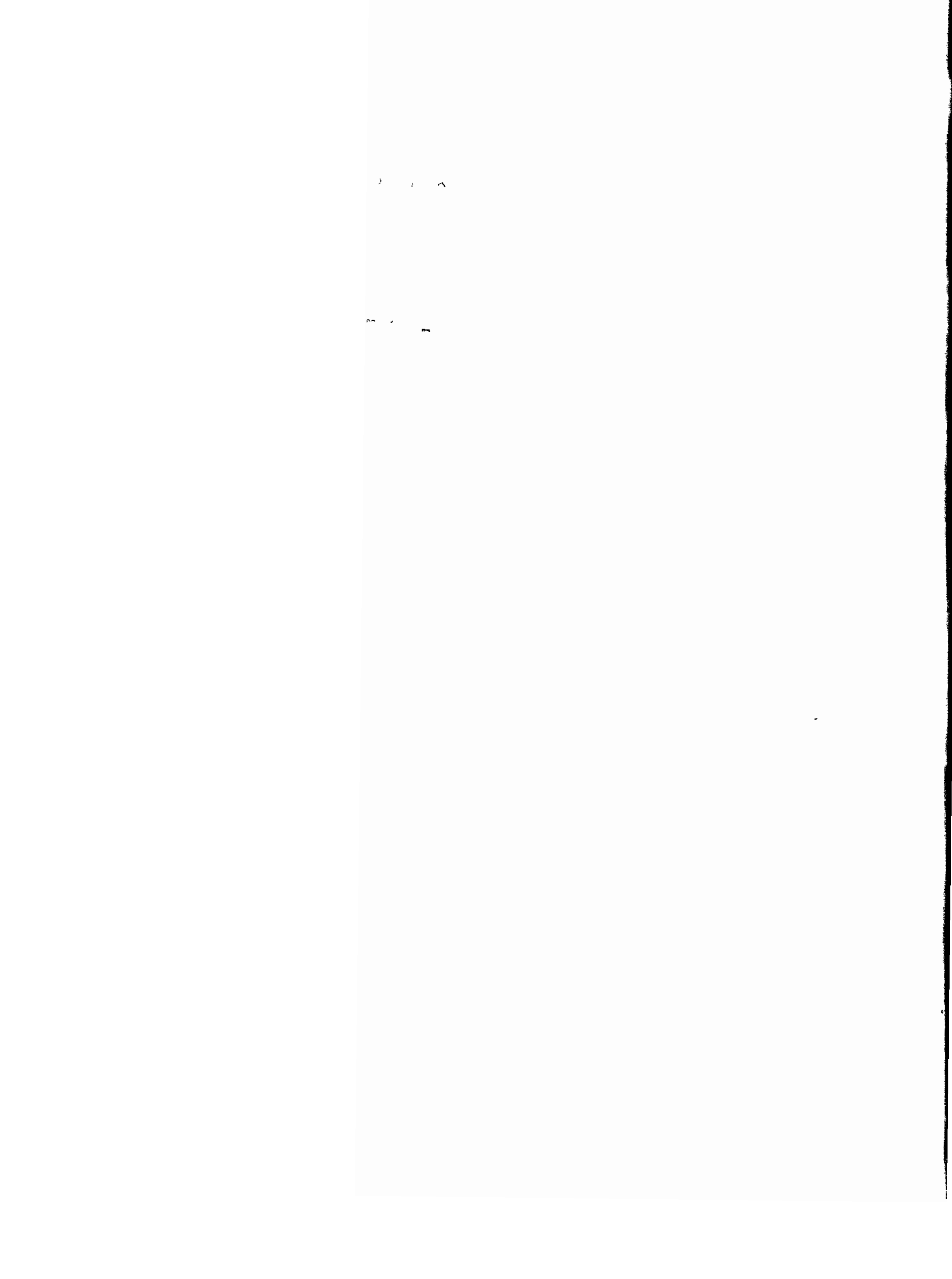
بتحقيق وتعليق

محمد ماضور

الجزء الثالث

الناشر

المكتبة العتيقة بتونس



بسم الله الرحمن الرحيم

١٨١ ● ومنهم أبو حبيب سعيد ابن محمد ابن سحنون (*) رضى الله تعالى عنه

(قال) : كان رجلا صالحا من العباد (1) المبرزين والزهاد المجتهدين سمع من ابيه محمد بن سحنون وتوفى سنة عشر وثلاثمائة ودفن بمقبرة باب نافع الى جانب ابيه رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين .

١٨٢ ● ومنهم عروس المؤذن الشهيد المتعبد المقتول على السنة رحمه الله

(قال) : وسبب قتله انه كان يؤذن في مسجد عباس الفقيه صاحب سحنون فشهد عليه بعض المشارقة انه لم يقل في اذانه حي على خير العمل فقطع لسانه وعمل بين عينيه وطيف به القيروان ثم قتل بالمرضاخ وذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة رحمه الله وكان زاهدا يطحن بيده ويعيش من عمل الحلفاء (قلت) : وما ابركها عليه من قلة فقبره مزار بسببها يعرفه الخاصة والعامة مع ما ادخر له في الاخرة من النعيم الذي لا يبلى رحمه الله تعالى .

(*) (بالنسخة القيروانية التى يرمز اليها فيما بعد بحرف ق) زيادة : ابن سعيد الفقيه المتعبد .

(1) الفقهاء بدل العباد

١٨٣ ● ومنهم أبو جعفر أحمد بن نصر ابن زياد الهوارى (*) البربرى رحمه الله

(قال) : سمع من محمد بن سحنون (قلت) : ظاهره أنه لم يسمع من غيره وهذا في غاية القصور بل سمع ايضا من محمد بن عبدوس ويحيى بن عمر وحماس (2) ابن مروان وربيع القطان وسمع منه ابن حارث وجمع كثير وتفقه به اكثر من القرويين .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان من العلماء الراسخين والحفاظ المعدودين لم ير في زمانه احفظ منه ولا احضر جوابا لا سيما في مذهب مالك وكتب لحماس بن مروان (قلت) : وقال ابو العرب كان ثقة ثبتا مامونا فقيها كتب لحماس ايام قضائه وكان حافظا كثير الدرس وقال ابن حارث كان عالما متقدما باصول العلم حاذقا بالمناظرة جيد القريحة حسن الكلام في علم الفرايض والوثايق صحيح المذهب شديد التواضع سليم القلب بعيدا من التصنع وكان لا ينظر ولا يتصرف في شيء من العلم غير مذهب مالك ومسائله فاذا تكلم فيها كان فائقا (قلت) : وما ذكر من كونه انه كان لا يتصرف في غير مذهبه خلاف ماتقدم انه لم ير في زمانه الى آخره وقال ابو بكر المالكي كان من الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين لايدانيه في ذلك احد في زمانه وقال ابو القاسم السدرى (3) وكان اول من ادخل كتاب ابن المواز افريقية حفظت منه مسائل جيدا وجئت الى ابي جعفر فالقيتها عليه فجعل يطأطيء راسه كالمفكر ثم اجابنى عنها ثم قال لي يا ابا القاسم جال فكري في

(*) ق احمد بن نصر بن رجاء الهوارى الفقيه .

(2) يلاحظ ضبطه بالشكل وضم الحاء في ق وبمقتضاه تكون الميم مخففة فليعلم ذلك حيث لا يعرف له ضبط .

(3) ضبطه في ق بكسر السين مع التشديد و سكون الدال وهو ضبط ينبغي الرجوع اليه .

دواوين اهل المغرب فما وجدت هذه المسائل في شيء منها لعلك اتيت بكتاب ابن المواز قلت نعم قال قطعه اخماسا ووجهه الي ففعلت وجئت بعد ذلك ازوره فقال لي يا ابا القاسم الكتاب الذي كان في بيتك حصل في صدري (قال) : وله نوازل كثيرة سئل عنها (قلت) : من ذلك سئل عن زوجين ادعى كل منهما على صاحبه أنه عضيوط (4) فافتى بان يطعم احدهما فقوسا والاخر تينا ثم يرسل عليهما في اليوم الاخر فيحكم بالعيب ممن يوجد زريعة ما اكل في الحدث ومن ذلك أنها نزلت بالقيروان مسالة فى امراة سقت زوجها سما فاسود فتوقف علماؤها فيها فقال لهم احمد بن نصر المسالة فى المدونة في السن اذ ضربها رجل فاسودت او اخضرت فقد تم عقلها ووجبت الدية فيها لان السن انما يراد منها جمالها وبياضها فكذلك الانسان اذا اسود فقد ذهب حسنه وجماله فوجبت فيه الدية (قلت) : وقيل قياسه اهل عصره ومن جاء بعدهم وقال شيخنا ابو عبد الله محمد بن عرفة قد يفرق بلزوم البياض للسن وبعض مومني الادميين اسود (5) ونقل عياض فى المدارك عن ابي القاسم زياد السدري انها سقته فتجذم وانهم اضطربوا فيها فقال احمد بن نصر لا تضطربوا [واليكم النص] اخذا من المدونة وهي المرجوع اليها وظاهر قوله اضطربوا يقتضي اختلفوا على فرقتين بالدية ونفيها وفيه المخالفة لما فوقه من وجهين في صورتها وفي حكمها لما قد علمت من الفرق بين الوقف والاضطراب ولذلك عبر من اختصر المدارك عن الاضطراب بانهم اختلفوا فيها وقد بسطنا الكلام على المسالة في شرح كتاب الجراح من المدونة باوعب منها فانظره .

(ذكر بقية اخباره)

---

(4) بكسر فسكون ففتح فسكون ، الذى يحدث عند الانزال ، وهو عيب يرد به فى النكاح .

(5) الظاهر فى توجيه الفرق ان سواد السن مطرد بخلاف البشرة التى بعضها أسود من أصله فلا يقاس عليه .

قال ابو بكر المالكي كان ينشد في قصة جرت لانسان وهب لولده دارا ثم احتاج اليها فكلمه فابى عليه وكان قد خطب عند قوم فلم يزوجوه حتى وهبه اياها حفظا لقلبه وانشد .

اذا احتاج البنون الى ابيهم   اتوا بالبر والفضل الجزيل
وان احتاج والدهم اليهم   يقاس الهم في الليل الطويل
فاحسن والد لم يعط شيئا   وعاش بماله حتى الرحيل

(قال) : واتفقت عليه محنة سجنه عبيد الله في المهدية وقيده وكان به اسهال في اكثر عمره فشق عليه ان يتكشف عليه في السجن فدعا الله في ذلك فارتفع عنه الاسهال في السجن فلما وصل الى داره بالقيروان عاد اليه وكان مدة اقامته في السجن تسعة اشهر (قلت) : هذا كلام فيه بتر وبسطه كما ذكروه امتحن على يدى اسحاق بن ابي المنهال القاضي من قضاة العراق وكان رجل سوء امتحن على يديه جماعة من الصلحاء والعلماء المدنيين فضرب بعضهم وحبس بعضهم فدخل على عبيد الله الشيعي فقال له رجل من البربر وله ذكر ونحن لا نامن به وكان يتوقع امر ابي يزيد وكان ابو جعفر يجتمع الناس اليه في مسجد رحبة القرشيين ويفتي بمذهب مالك فوجه اليه وسجنه بالمهدية وقيده وكان يعتريه الاسهال في اكثر عمره فلما جعل القيد في رجله دعا الله سبحانه ان لا يبتليه في السجن بذلك فارتفع عنه الاسهال طول اقامته في السجن فلما تبين لعبيد الله انه ليس قبله شيء مما رمي به امر باخراجه فلما وصل الى داره عاد اليه الاسهال وكان حبسه في سنة ثمان وثلاثمائة ولما اطلق لزم بيته حتى مات ففي داخل بيته كان يجتمع اليه من يقصده وكان يقول حبست في بيت الدم مع السراق واصحاب الدماء وكنت اخرج في كل جمعة يتفقد قيدى اقمت على هذا شهرين ثم اخرجت بعد ذلك من ذلك البيت الى البيت الذي يحبس فيه جميع الناس والله ماسرقت ولا زنيت ولا جنيت ولا كان ذلك الا على محبة صاحب القبر والمنبر صلى الله عليه وسلم .

(ذكر وفاته)

قال ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين وتوفي في ربيع الاخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة (قلت) : وصلى عليه ابو ميسرة احمد بن نزار في جماعة اصحابه سرا في داره خوفا من ان يصلي عليه احد من قضاة الوقت فلما اخرج به وكفاه الله تعالى ذلك اعاد الصلاة ثانيا فصلى عليه خلق كثير وقبله عياض (فان قلت) : في قبوله نظرا لان الميت اذا صلى عليه اثنان فاكثر فانها لا تعاد عليه بلا خلاف في المذهب واختلف في الواحد (قلت) : لانظر فيه وصلاتهم اولا هي الفرض او السنة وانما اعاد ابو ميسرة الصلاة عليه للمصلحة العامة لانهم اذا لم يصلوا عليه تقع مفسدة عظيمة لامن العامة ولامن السلطان ودائرته فاعادته انما هو رعى لما ذكرناه والله اعلم (قال) : ودفن بالرمادية (قلت) : وقبره غير ظاهر رحمة الله عليه ورضوانه لديه .

١٨٤ ● ومنهم أبو القاسم محمد ابن محمد ابن خالد القيسى المعروف بالطرزى (*)

القاضي الزاهد مولى بني معبد سمع من سحنون بن سعيد كثيرا (قال) : ولاه عيسى بن مسكين على مظالم القيروان وولاه حماس بعده عشر سنين (قلت) : المراد بالمظالم احكام السوق قال ابو العرب قد ولي لعيسى بن مسكين وحماس اسواق القيروان وانما نبهت على ذلك لانه كان يتبادر لذهني انه المحتسب في اللحم والخبز والاسفنج ويحكم مع ذلك في الاسواق بحكم التبع والمراد بعشر سنين من ولاية عيسى له الى آخر ولاية حماس كانت اقل من عشر سنين بكثير ولذلك قال التجيبي ولي حكومة القيروان عشر سنين وذكر ابن الجزار انه اعتذر حين وليها بان فيه حياء ولين جانب وقلة فقه فقال له الامير ابراهيم بن احمد بن الاغلب

(*) في ق : على الراء شدة وبها يضبط .

إما الحياء واللين فاذا امرت ونهيت فقد زالا واما قلة الفقه فشاور الفقهاء قال ثم ولي قضاء صقيلة ولاه عليها زيادة الله بن عبد الله فاقام عليها عشر سنين (قلت) : كانت ولايته في آخر دولة بنى الاغلب (قال) : وكان شديد الضبط مغيرا للمنكر (قلت) : في كلامه بتر لزيادة غيره لم يل اسواق القيروان قبله اضبط منه (قال) : روى انه لما ولي مظالم القيروان مر على قناة يخرج منها ماء من دار محمد بن زرقون امام الجامع فساله عنه فقال فار وقع في البئر فقال وماء فار ايضا فسجنه فلما حضرت صلاة الظهر مضى الى السجن فصاح به فاخرجه وقال له والله لولا انك امام والناس لا يستغنون عنك ما أخرجتك (قلت) : هذا وشبهه هو الذي يقال فيه لا تاخذه في الله لومة لائم ولقد ضيع القضاة من اصحابنا هذا الباب تضييعا حتى كانهم لم يسالوا عنه ويرون ذلك بابصارهم ولا يقفون فيه كل الوقوف وان رفعت اليهم شهادة فلا يعلمون بها الا عملا ضعيفا فيتجاسر (6) الناس ويكثر (7) من ردم الازقة بفضلات بنياتهم ونحو ذلك من تخريج المياه الطاهرة والنجسة من ديارهم وربما يوقفون رجلا في ذلك ولا يعضدونه كل العضد فتكثر الجسارة عليه فيرفع يده وان بقي بقي كالعدم ولا يجوز هذا ولقد كنت ابالغ فيه غاية المبالغة (قال) : وكان كثيرا ما يتمثل بهذين البيتين .

اذا خان الامير وكاتباه ... وقاضي الارض داهن فى القضاء

فويل للامير وكاتبيه ... وقاضي الارض من قاضي السماء

(قلت) : كان يتمثل بهما فى مجلس احكامه اشارة لما قلناه من ان المطلوب من الحاكم ان يسوي بين القوي والضعيف والشريف والمشروف بحيث لا تاخذه في الله لومة لائم (قال) : وقد كانت له محنة ضربه القاضي المروزي هو وابن بطريقة

---

(6) ق : فتجاسر الناس .

(7) وتكاثر .

بالسياط عند الجامع بغضا منه في اهل السنة وعداوة لعلماء المسلمين (قلت) : وزاد غيره وضربه ايضا هو وابن سلمون القطان والخلافي المحتسب وقوما مرابطين من اهل تونس وكان قتل المروزي بسببهم ، وذلك ان عبيد الله امام الشيعة لما اتى الى القيروان من سجلمامة وجده قاضيا ووجد في سجنه من ذكر ، واظهر ان سببه القدح في الدولة فعزله وعذبه ثم قتله (قال) : وتوفى (8) سنة سبع عشرة وثلاثمائة (قلت) : زاد غيره في شهر رمضان المعظم (قال) : ولما مات لم يوجد عنده ما يكفن به وكفنه عبد الحميد السرتي .

١٨٥ ● ومنهم أبو جعفر القصرى

واسمه احمد بن محمد بن عبد الرحمان بن سعيد بن ابراهيم مولى الاغلب ابن سالم نسب الى قصر الاغلب ودار ملكهم القديم على ميلين من قبلة القيروان وسكنه الناس بعد انتقال بني الاغلب

(قال) : يروي عن اسحاق ابن عبدوس وفرات بن محمد ويحيى بن عمر وعبد الجبار بن خالد السرتي وابي العباس ابن طالب القاضي وذكر عددا كثيرا من القسرويين وزاد عبد الرحمن ابن عبد الله بن الحكم المصري (قلت) : وكان اول ما سمع العلم من اسحاق بن عبدوس ولهذا والله اعلم قدمه الشيخ عن غيره (قال) : وحمل الناس عنه كثير من موضوعاته وغيرها .

ذكر ثناء العلماء عليه

(قال) : كان فقيها صالحا ورعا سريع الدمعة له عناية بالعلم والروايات وتصحيح الكتب وجمعها (قلت) : وقال ابو العرب كان ثقة سمع منه الناس وقال ابن ابي دليم وغلب عليه الحديث وكان كثير الرواية وكان الناس يعظمونه

---

(8) أى صاحب الترجمة أبو القاسم الطرزى .

وقال ابو القاسم بن شبلون كنا ونحن صبيان نلعب اذا مر بنا احمد بن محمد بن عبد الرحمان نترك اللعب ونهرب اجلالا له وهيبة وقال سعيد بن جبير شهدت ابا بكر بن اللباد ياتي راجلا الى ابي جعفر بن احمد بن محمد بن عبد الرحمان القصري ياخذ منه كتابا ينقل منه سماعه من يحيي بن عمر وغيره هذا لثقته وضبطه (قال) : وكان له اعتناء كثيرٍ بجمع معجزات النبي صلى الله عليه وسلم تسليما (قلت) : وكان يقول لو سبقني احد لدفن كتبه معه لامرتهم ان يدفنوا لي بالمعجزات حتى القى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما وكان يقول ربما انتبهت من النوم فارى نورا ينزل من السماء على كتاب المعجزات قال ابو بكر المالكي وكان يقول انى لا اشتهي الشيء من الطعام فعند اكله لا اجد لذة وما هو الا لاحد امرين اما للحديث الذي جاء ترفع حلاوة الدنيا وحلاوتها او من كسب الناس اليوم ولقد فكرت في قول آدم عليه السلام .

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذى طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح (9)

فهذا آدم يقول تغير كل ذي طعم ولون فكيف بزمامنا اليوم (قال) : وكان يقول لي اربعون سنة ماجف لي قلم (قلت) : من كثرة كتبه للكتب وقصد المبالغة في قوله ما جف لي قلم كقوله صلى الله عليه وسلم تسليما لا يضع عصاه عن عاتقه وكان ربما باع بعض ثيابه واشترى به كتبا قال ابو بكر المالكي ووصل الى سوسة برسم زيارة يحيى بن عمر فوجده الف كتابا فلم يجد ما يشتري به رقا يكتبه فيه فباع قميصه الذي كان عليه واشترى بثمنه رقوقا وكتب الكتاب وقابله واتى به الى القيروان (قال) : وتوفي سنة احدى وعشرين وثلاثمائة (قلت) : وقل عياض سنة اثنتين وعشرين وقال ابو بكر بن عتيق والعواني سنة ثلاث وعشرين (قل) :

---

(9) لا يخفى ما فيه من اختلاف القافية .
ولعله : وقل بشاشة وجه مليح وهذا اصلاح لفظى ـ وانى لنا بآدم ـ .

ودفن بباب سلم على قارعة الطريق خلف المصلى وكان قبره قد انقعر لكثرة الامطار فظهرت رجلاه بعد اربعين سنة وفيها أثر شراك نعله لم يتغير رحمة الله عليه (قلت) : وقال العواني بعد اربع عشرة سنة والمنقول عنه جعفر بن نظيف قال فاتيت قبره فقلت لاكشفن من عند رجليه فكشفت فظهرت لي رجله وفيها اثر شراك النعل واراد بقوله لاكشفن اي يرفع الحجر الواقع عليه ليبنيه به فيرى رجله من غير قصد لا انه قصد التعمد لنظر بعض جسده والله اعلم .

١٨٦ ● ومنهم أبو الفضل يوسف بن نصر مولى لخم العابد الزاهد الفقيه

(قال) : سمع من يحيى بن عمر وفرات بن محمد (قلت) : زاد المالكي وغيرهما فكان حقه ان يقول ذلك (قال) : وقرا عليه ابو الغصن الخادم وكان من العلماء العارفين بالله غلب عليه الزهد والتفكر والنصيحة ممن لا تاخذه فى الله لومة لائم كثير العبادة وخرج من القيروان الى قصر ابي الجعد ثم منه الى قصر سهل فلازمه متعبدا به حتى مات وله تآليف فى الرقائق واحمية الحصون وما يجب على سكانها ان يعملوا به فكان اهل الحصون يوذونه على ذلك وكان يصلي كل يوم وليلة بختمة خمسمائة ركعة يختم فيها القرآن وصام حتى انقطع قال ابو بكر الزويلي خرج ابو الفضل من سوسة الى قصر سهل فمر باسفنجي يعمل الزلابية وصبى مع أمه يبكي فسال المراة ماله فقالت له هو يتيم وانا امه ارملة فراى هذا الاسفنج فاشتهى ما بين يديه فاخذ ابو الفضل بيد الطفل وقال لصاحب الدكان خذ هذا المنديل ونزعه عن راسه واطعم هذا الصبى حتى يشبع ومشى حاسر الراس الى قصر سهل (قلت) : شبع الصبي معلوم عندهم كما هو معلوم اليوم عندنا في العرف الاعم الاغلب فليس فى شرائه جهالة (قلت) : وقال ابو بكر الوراق كان ابو الفضل يختبز قوته ويبرده سخنا بالزيت ويجعله في اناء ويفطر كل ليلة على شيء منه وكان يسرد الصيام طول عمر . ولقد بقي اربعين سنة ما طبخ قدرا ولا

اوقد في بيته سراجا وكان سبب ذلك انه راى خادما تعالج القدر في ريح والحطب اخضر ودموعها تسيل فقال دعها والله لا اطلعت لي قدرا على نار ما بقيت في الدنيا (قال) : وقال يونس السقا كنت ملازما لخدمة ابي الفضل فاخرج الى دقيقا وامرني بصدقته وقال ضاقت نفسي من هذه الويبة لي ستون ليلة آكل منها قال يونس : فاصبت فيهما قدر ثمنين (10) من دقيق فكان قوته في ستين ليلة ثمنين من دقيق وقال بعضهم حملت الى ابي الفضل هدية عسلا وسمنا وكعكا وقلت هذه هدية مني لك فقال اسال الله العظيم ان يعظم ثوابك اليوم لي ثلاثون سنة ما اكلت من هذه الطرف شيئا انا وظيفتي من الشهر الى الشهر بقيراط شعير وانما ينعم الناس وياكلون غدا فرقها على الضعفاء ففعلت واخرجت له خريطة بدراهم فقلت له فرق هذه على من يستحقها فقال لا افعل انما افرق مالي واما مالك فانت تسال عنه وروى انه كان اشتهى تينا اخضر فامر من يشتريه له فلما رأى الذي اشتراه له من بعيد قال قال اذهب عني فراى الرجل ذلك وذهب الى بايعه فساله عنه فاذا به من أرض مغصوبة ليتامى فرجع لابي الفضل وقال رددت تيني فقال والله ماتخيل لي الا انك اشتريت لي خنزيرا وقال بعضهم كانت لي ابنة ابيضت عيناها من الجدري فغمني ذلك فجئت الى ابي الفضل فوجدته معدولا عن الطريق وراسه بين ركبتيه فسلمت عليه واخبرته بقضيتي فقال لي اذا كان غدا هذا الوقت فاتني بها فمضيت عنه فسمعته يقول اخطانا الطريق ثم صاح بي وقال لا تحركها ولا تاتيني اتاها الله بالفرج من حيث لا تدري ولا تشعر ثم اتيت الى الدار فوجدتها نائمة فايقضتها ففتحت عيناها فاذا هما اجمل مما كانتا ليس بهما شيء وقيل له فلان يتكلم فيك فقال انما مثلي ومثله مثل رجل حمل لضرب عنقه فقذفه رجل في الطريق فقال لنفسه اسكت إنما تحمل للقتل تسل عمن قذفك وأنا سائر الى الموت لا أدري ماياتيني اسال من يتكلم مما لا يغني عن

---

(10) في ق : ثمنتين والثمنة مكيلة تساوى نصف الويبة بمكيالنا اليوم وربما كانت تقدر باكثر من ذلك كما هو مقتضى كلامه ٠

ذلك وكان يقول لو علمت ان احدا تجاب دعوته في الموت لسالته فيه وكيف لا احب الخروج من دار فيها ابليس والفتن وكذا وكذا الى دار ارجو فيها الاجتماع مع النبي صلى الله عليه وسلم تسليما وذكر انه دعا على نفسه بالموت (قال) : وحكي انه خرج ابو القاسم ابن راشد وصاحب له ومع كل واحد منهما ابن بالغ جميل فنزلوا بقصر سهل وبه أبو الفضل فثبت عنده ان الصبيين يبيتان في لحاف واحد فقال لابويهما إن النبي صلى الله عليه وسلم تسليما أمر بالتفرقة بين البالغين في المضاجع فأخذ الرجل بمجامع ثوب الفضل وتناوله فقال أبو الفضل اللهم أذهب عقله وافجعه بابنه فاعتل الصبي في القصر فلم يحمله منه الا ميتا ثم خولط الاب في عقله حتى مات.

(قلت) : واراد ابو الفضل بقوله بين البالغين الذي هو على طريق الوجوب والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تسليما امر بذلك قبل فقال مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع فقيل اراد لعشر سنين لانه اقرب مذكور قاله ابن وهب وقيل بالسبع سنين لتصدير الكلام به قاله ابن القاسم ودعاء الشيخ بان يفجعه بابنه صواب لان ابنه عاص بفعله وقد قال في المدونة لا باس بالدعاء على الظالم فالولد قد ظلم فدعاؤه عليه سايغ (قال) : وتوفي ابو الفضل بقصر سهل ليلة الاثنين لسبع بقين من ربيع الاخر سنة ست وعشرين وثلاثمائة (قلت) : وقال بعضهم بل توفي في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة ورثاه بعضهم فقال .

بقصر المنستير توفي عالم نزيل غـــريب الدار يكنى ابا الفضل (11).
انار حصون الغرب بالعلم فاهتدت رجال وكانوا من الدين في جهل
وينشر درس العلم في كل مشهد وينصح في الاسلام بالحق والعدل

---

(11) تصحيح البيت هو :
بقصر المنستير توفى عالم نزيل غريب الدار ... الخ ...

قال ابو بكر المالكي وقال لمن يعتني بشانه ويتولى خدمته : انا اذا مت فسنوا علي التراب سنا ولا تزيدوا على تراب قبري شيئا فاني رايت في بعض الاخبار انه اذا زيد على تراب القبر من تراب غيره لم يسمع الميت الاذان ولم ير الزوار .

١٨٧ ● ومنهم الحسن ابن محمد القلانسى الفقيد المتعبد

(قال) : وهو معلم ابي الحسن الدباغ له ادراك سمع من محمد بن يحيى بن سلام ، وابيه يحيى ، ويحيى بن عمر ، توفي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة ودفن بالبلوية قال ابو الحسن على بن محمد الدباغ انشدني الحسن بن محمد .

آعمل وانت من الدنيا على حذر	واعلم بانك بعد الموت مبعوث

واعلم بانك ما قدمت من عمل	محصى عليك وما خلفت موروث

١٨٨ ● ومنهم أبو القاسم عبد الوهاب ابن عبد الله المتعبد

(قال) : كان واحد زمانه عبادة وورعا وفضلا مجاب الدعاء ، وكان لا يرى في مسجد او في جنازة الا وهو قائم يصلي ، روي انه خرج الى سوسة فكان اذا مشى ميلين او ثلاثة عدل عن الطريق فصلى يفعل ذلك حتى يصل وكذلك اذا انصرف وخرج عليه يوما السودان فاخذوا دريهمات كانوا معه ومضوا غير بعيد ، فلحقه أحدهم فذكر له انهم حبسوا تحت شجرة فما استطاعوا القيام ! وقال : علمنا ان ذلك من اجلك فدفع اليه دريهماته وانصرف عنه ، وكان رحمه الله حسن الخلق له ملاحة في العباد وحلاوة في الزهاد يخدم الارامل والفقراء واليتامى ويسقي الماء للضعفاء كثير السياحة والرباط لا يمر بشرف ولا بقعة ولا روضة حسنة إلا ركع فيها ولا يخرج من بيته حتى يختم ختمة وفي الليل اخرى ، قال ابو عبد الله اللباد الصامت دخلت على عبد الوهاب وعليه فرو (12) وهو جالس وصوفه الى خارج

(12) ليس من جلد والدوخلة غطاء للراس من ورق النخل كناية تخلله ●

وعلى راسه دوخلة خوص ، وروى انه خرج مرة الى الرباط بسوسة ومعه نصف درهم فلما كان في وقت الافطار اراد ان يشتري به ما يفطر عليه فاخرجه فكل من في السوق يقول هذا زايف ، فرجع وبات طاويا ، فلما رجع الى بيته بالقيروان وجده جيدا ! فاعلم بعد ذلك ان السوق بسوسة كان في تلك الايام متقبلا (13) قال ابو الربيع دخلت على مروان العابد وبيده جبة من كساء خلق يخيطها فقال : هذه لعبد الوهاب يناجي الله فيها في سواد الليل ، وروى انه لما احتضر عبد الوهاب كان عند رأسه ابو بكر بن اللباد الفقيه ، وابو العرب بن تميم الفقيه ، وابو محمد ابن فطيس الفقيه ، وابو القاسم بن تمام المتعبد ، وابو جعفر بن ابي خالد الفقيه الدباغ ، وابو محمد بن ابي عيسى من الابدال ، وابو الفضل الممسي الفقيه ، وابو محمد بن خيران (14) الفقيه ، وحبيب ابن نصر الفقيه ، وابو عبد الله العسال الفقيه ، وابو عبد الله القتال المتعبد ، وابو احمد الفوال المتعبد ، وسالم بن عمران المتعبد ، وسعيد بن السيقلي المتعبد ، وربيع القطان الفقيه المتعبد ، وابو القاسم بن خصيب المتعبد ، واحمد بن محمد اخي ابي حوال المتعبد ، وابو الحسن ابن مسرور الدباغ العالم ، وابراهيم بن اخي موسى القطان القاضي ، وابو سعيد بن اخي هشام الفقيه ، وابو حفص بن الامام المتعبد ، و ابوبكر ابن ابي عقبة العالم ، وعبد الله بن هشام(15) القاضي ، والعالم ابو الحسن الزعفراني، واحمد بن اسماعيل الفقيه ، واحمد بن عبد الله، وخلف بن حمديس ، وابو جعفر وابو العباس ابنا ابى العرب بن تميم ، كانوا في بيته عند وفاته فقال لابنه ايتيني بتلك الدراعة فاتاه بجبة مرقعة صفراء فقال كفنوني فيها فاني قد ختمت القرآن فيها ثلاثين الف ختمة ، والاجتماع معكم غدا في حومة القيامة مع محمد النبي واصحابه .

---

(13) ق : ممكسا ومفاده : انه تقبله شخص في خلاص مكسه فالكلمتان بمعنى واحد.

(14) ق : ابن خيرون .

(15) ق : هاشم .

(قلت) : حضـور هؤلاء المشيخـة لاحتضـار هـذا الشيخ ينبئـك على ما احتـوت عليه القيروان من كثرة العلمـاء والـزهاد فـي ذلك الزمـان ـ والذي كان في زمن سحنون وقبله اكثر ـ وقد سال عبد الله بن عمر بن غانم القاضي بعض ثقاته يوم الجمعة فقال هل حضرت للجامع اليوم ؟ قال نعم ، قال من رايت به ؟ قال رايت سبعين قلنسوة يستحقون القضاء ورايت ثلاثمائة قلنسوة فقيه ؛ فاسترجع ابن غانم عندما سمع ذلك وقال : ذهب النـاس ! فاسترجاعـه يـدل على ان علماء زمانه اقل مما كان عليه العلماء في القديم من الكثرة ، وما زالت البركة فيها فكيف لا وقد دعا لاهلها عقبة المستجاب ، فما بعد مدينة تونـس بلد السلطان بافريقية اكثر طلبة منها اليـوم ، وبها تسعة مواعيد ، ومفتي تونس وقاضي الجماعة منها ـ والاول هو شيخنا ابو الفضل بلقاسم بن احمد البرزلي والثاني هو شيخنا يعقوب بن يوسف الزعبي ـ (قال) : وتوفى في المحرم من سنة ثلاثين وثلاثمائة وصلى عليه ابن ابي خالد الدباغ ودفن بباب سلم واوصى ان يسن عليه التراب سنا وكان سكناه برحبة الانصار (قلت) وقبره مزار قرب قبر ابي بكر بن اللباد .

١٨٩ ● ومنهم أبو جعفر أحمد ابن أبى خالد الدباغ الزاهد الفقيه واسم أبى خالد يزيد

(قال) : سمع من يحيى بن عمر واحمد بن بدر القراص (16) (قلت) : وسليمان ابن عمران (قال) : كان عالما عاملا رقيق القلب له في السماع فهم واشارة الى المحبة مع سمت (17) الحال ذو همة ومعرفة كثير السياحة والرباط على البحر في كل عام محببا الى الناس يميل الى الرقة ، وروى انه قال : كنت بقصر الطوب وانا

---

(16) ق : بن يزيد القراط .

(17) تح ستر .

شاب فطرأ على ليلة وجد فدخلت بعض الاصطبلات وانا اصلى والدموع تنحدر علي فجعلت امسحها باكمامي ، فلما اصبحت جعلت انظر فاذا هي دم كلها (قلت) : قال ابو بكر المالكي قال عبد الله ابن هاشم القاضي حدثني ابو بكر هبة الله بن محمد ابن أبي عقبة العطار قال خرجنا مرة نريد الرباط وفي جماعتنا ابو جعفر احمد بن ابي خالد الدباغ فاشترينا من بعض القرى خبزا ، فلما قدمناه لناكله نظر اليه ابن ابي خالد فقال : ويحكم كيف تقدرون على اكل هذا الخبز ؟ قلنا وما له ؟ فقال : او ما ترونه ؟ فقلنا له مانروا إلا خبزا قال فكاني والله اراه اسود منتنا ! قال فراودناه على الاكل منه فابى ، وقال : والله لا اقدر على اكله ، فلما سمعنا ذلك منه داخلنا في امر الخبر شيء . فانصرفنا الى الموضع الذي اشتريناه منه فسالنا عن خبره وكشفنا عن امره فعرفنا ان الذي يعمله يهودي وانه تقبل سوق تلك القرية (18) فليس يعمل فيها احد خبزا غيره ! فعلمنا ان الشيخ ينظر بنور الله عز وجل ، وحدث عنه ابو الحسن الدباغ بحكايات واخبار جرت له مع اهل النسك والرقة ، منها انه قال : رايت بمكة شابا عليه جبة من صوف — وقد طال شعره وعلاه شحوب ونحول — فقلت له السلام عليك يا صوفي فقال وعليك السلام يا قطني فقلت له : إن لباس القطن مع وجود التقى لا يضر ولباس الصوف مع عدم التقى لا ينفع ، فقال لي صدقت ، فقلت له ما الذي يورث النفوس الهموم ؟ قال لي ثلاث تذكار ما سلف من الذنوب ، وتذكر الحالات ، وخوف الخاتمات ، قال ابو جعفر ابن ابي خالد : نظرت الى سوداء في الطواف وهي تبكي وتقول : واوحشي بعد الانس واذُلّي بعد العز وافقرى بعد الغنى ! فقيل لها مالك امات لك احد ؟ فقالت لا ولكن كان لي قلب ففقدته ، ثم انشات تقول .

كان لي قلب اعيش به   ضاع مني في تقلبه

---

(18) اى مكسها .

رب فــارddه علي فَـقــد ضـــاق صـــدري من تغيبـــه
واغث مـا دام بـــي رمـــق يـاغيـــاث المـســتغيـــث بـه

قال ابو الحسن الدباغ سمعت ابا جعفر احمد بن ابي خالد يقول : من زعم ان الرزق لا ياتي الا مع الاضطرار فقد اخطأ ، ومن زعم ان التوكل لا يكون الا بترك الاضطرار فقد اخطأ يريد ان الانسان يسلم امره إلى الله ولا يجعل للتوكل في شيء معين ، (قال) : توفي في جمادى الاخيرة سنة ثلاثين وثلاثمائة وهو ابن تسعين سنة ودفن بباب ابي الربيع (قلت) : قال ربيع القطان وراى بعض الصالحين في منامه ابا جعفر بن ابي خالد كانه مع راكبين احدهما عن يمينه والاخر عن شماله فقيل له ما هذا يا ابن ابي خالد ؟ فقال : هذا جعفر ذو الجناحين وهذا الاخر عبد الله بن رواحة ، فقال له انى لك هذا ؟ فقال هذان مجاهدان من الشهداء وكنت مجاهدا فالحقني الله بهما .

١٩٠ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن سهل الصوفى

(قال) : كان صالحا فاضلا خير انسك بعد حداثته (قلت) : اراد بعد فترة لقول المالكي : تنسك بعد فترة قال ثم اتخذ نوالا(19) في المقبرة ياوى اليها فحفر يوما حفرة كسر فيها ساق ميت فوقفت اليه امراة في النوم فقالت له ما كفاك ان تكشفنا وتؤذينا بالنجاسات حتى كسرت عظم ساقي ! لي معك موقف بين يدي الله تعالى ، فاستيقظ مذعورا فنقض النوال ومحى رسمها ولزم بيته وهو خائف الى ان مات (قلت) : اراد بقوله اتخذ نوالا في المقبرة اي بقرب المقبرة ولا يمكن حمل الكلام على ظاهره لانه لا يجوز ولا يخلّى واراد بقوله حفر حفرة كسر فيها ساق ميت أي حفر حفرة بقرب النوال لياخذ ترابا يصلحها به (20) كما صرح به المالكي وهو

(19) خصا من القصب او العريش يتخذه حراس المزارع الى الآن ويسمونه نوالة .
(20) بل ليتخذها مرحاضا كما يفهم من الرؤيا .

يعتقد ان ذلك المكان لا قبر فيه اذ أصابت المسحاة ساق ميت فكسرته في اثنتين واذا كان هكذا فلا شيء عليه في الدار الاخرة لانه خطأ الا ان يكون بمقبرة من القبور جدا فتكون في معنى قوله صلى الله عليه وسلم الراتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه (قال) : ودخل يوما على ابي جعفر بن ابي خالد بالقصر الكبير من المنستير ، قال : فقال لي يا ابا عبد الله هات من رفائقك فانشدته :

يا من اذاب فؤادي في محبته — واضرم النار في قلبي واحشائي
ما ان ذكرتك الا كنت في كبدي — بموضع الماء من قلبي واعضائي
ولا ذكرتك في قوم اسر بهم — الا وجدت لهيبا بين احشائي

فقام احمد بن ابي خالد يصيح وينوح وقد اخذ بيده وقام معه وهو يقول هكذا قلوب المؤمنين فلما قال قلت – يعني باثر ذلك –

ولا هممت بشرب الماء من عطش — الا وجدت خيالا منك في الماء
فصاح احمد ابن ابي خالد : لالالا — الا وذكرك أروى لي من الماء (21)

(قلت) : زاد غيره ووقع احمد بن ابي خالد مغشيا عليه ولم يبق في وجهه نقطة دم ، وهذه الحكاية لو ذكرها الشيخ في فضل احمد بن ابي خالد كانت احسن عندي والله اعلم ، وتوفي في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .

١٩١ ● ومنهم أبو بكر محمد ابن محمد ابن اللباد الفقيه رحمه الله

(قال) : سمع من يحيى بن عمر – وعليه كان معوله – وابن طالب القاضي ، وعبد الجبار بن خالد ، وحماس ابن مروان ، وسعيد ابن الحداد ، وحمديس القطان ،

(21) هذا الاستدراك من ابن خالد في ق وليس بالاصل .

وغيرهم ، وسمع منه خلق كثير ، وعليه تخرج ابو محمد ابن ابي زيد ، وقرا عليه ابن القطان ايضا (قلت) : وألّف كتاب الطهارة وكتاب اثبات الحجة (في اثبات العصمة) وكتاب فضائل مالك بن انس وكتاب الايثار والفوائد عشرة اجزاء

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان رحمه الله فقيها فاضلا جليل القدر عالما صالحا ضربت اليه اكباد الابل لانه كان اماما في الدين وعالما في مذهب مالك مع صحبة الصالحين كثير البكاء والخشية مجاب الدعاء ، وقال محمد بن ادريس ما رايت اعلم ولا اجمل ولا اعلى همة من ابي بكر ابن اللباد وابي الفضل الممسي وابي اسحاق ابن شعبان بمصر (قلت) : وقال ابو عبد الله الخراط كان ابو بكر جليل القدر عالما باختلاف اهل المدينة واجماعهم مفتيا مطاعا ، وقال غيره كان من اهل الحفظ والذكاء والفهم بحرا من بحور العلم ، وكان لا نظير له في علم القرآن قراءته واعرابه واحكامه وناسخه ومنسوخه مع بسطة في الفصاحة وحفظ الغريب واللغة ومشاركة في علم الانساب وبصر باسماء الروات ومعرفة الضعفاء منهم والثقات وضربت اليه اكباد الابل ، وقال : ابو العباس الابياني : انتفعت بصحبة ابي بكر ابن اللباد ودرست معه عشرين سنة يعني — والله اعلم — قراءتهما معا على الاشياخ كيحيى بن عمر ، وانما كان يجتمع معه بعد فى فلتات .

(ذكر جملة من اخباره)

روى انه دعا على ثلاثة فاجيب دعاؤه فيهم : دعا على واحد منهم بالجنون ، وعلى الاخر بالعمى ، وعلى الاخر بالجلا ، فجن الاول وعمي الثاني ومات الثالث في بلاد السودان ، ودخل على عبيد الله صاحب افريقية فاقبل عليه وقال : يا محمد انت ملاذ بلدك في كم من العيال انت ؟ فاخبره فقال : نفرض لك في بيت المال مايكفيك من النفقة والكسوة وغيرهما فقال : قبلت ولكن اترك ذلك في بيت المال حتى نحتاج اليه ، (قلت) : هذه مسايسة حسنة ومحاولة برفق اذ هو خير من رده بلا

محاولة (قال) : وحكي انه شور رجل ابنته بشوار كثير فعجب الناس منه ، وحضر ابو بكر بن اللباد فانصرف الناس يهنئون صاحب الشوار ، فقال له ابو بكر : لا أخلف الله عليك بخير فقد اكمدت جارك واعضلت ابنته وخالفت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، (قلت) : المنقول فيها عن ابن ادريس بلفظ حسن عجيب كثير (22) وهذا اخص من اللفظ الذي نقل الشيخ بانه قد يكون كثيرا ولا يكون حسنا ولا عجيبا كما اذا كانت حوايج قديمة ، ورفع لعبيد الله الى المهدية ليوليه قضاء صقلية ، فاعتذر وقال صرت في حد لو كنت على القضاء لوجب التأخر اليّ فكيف ابتدائي وقد كبر سني ودخلتني زمانة ؟ فاعفاه ، وهذا ايضا من لطائف شمائله ، والا فالشيخ الكبير هو اولى بالقضاء ممن هو دونه ، لانه يعلم من نفسه انه ما بقي الا على شفا حفرة فيكون الخوف عليه اغلب ، وقال ابن ادريس كنت يوما جالسا معه على باب داره اذ خرج من جيرانه رجل ولم يسلم عليه ! فجعلت انظر اليه ، فقال لي : يا ابا عبد الله ان ازهد الناس فى العالم قرابته وجيرانه ، وقال مرة اخرى في مثلها : ما قرب الخير قط من قوم إلا زهدوا فيه ، وذكر الاجدابى ان ابا بكر جلس يوما عند ابي إسماعيل المودب جاره لينفرج ويرى الناس ، فكان الناس اذا جازوا من ذلك الموضع رجعوا من طريق آخر هيبة له ، فقال ما بالهم ؟ فقال من اجلك ! فقال انما جلسنا في هذا الموضع لنتفرج لا لنضر بالناس في طريقهم ثم قام ، (قلت) : وكثيرا ما يجري مثل هذا في مدة قضائي : تضيق نفسي من لزوم الدار فربما اجلس فوق دكانة العلو قريب باب الدار فأرى بعض من هو راكب ينزل وبعضهم يرجع وبعضهم يجوز على حاله وهو محتشم ، فاقوم من مكاني ذلك وادخل الدار ، قال ابو بكر المالكي : قال ابو بكر ابن اللباد يوما لبعض اصحابه : ادركت رجالا بالقيروان أملياء افتقروا ، ما دخلوا فتنا ولا اغرمهم سلطان الا ابحروا في الحنطة في ايام الشدايد (قلت) : يريد انهم اشتروا

---

(22) هذه اوصاف للشوار فى نقل ابن باديس .

الطعام فى الرخاء ليبيعوه في ايام الشدائد ، وهذا مجرب حتى في زماننا ، حتى ان
الناس يقولون على طريـــق المبالغـة ما احتـكر احد طعاما الا مـات فقيرا و سببه
انه يتمنى غلاء الطعام الذي فيه حياة الانفس لامة النبى صلى الله عليه وسلم ، ولذلك
منعه مطرف وابن الماجشون وغيرهما واجازه مالك في المدونة وعليه العمل ، قال
ابو الحسن اللخمي وفيه مرتفق وقت الشدايد ولولاه لم يجد الناس عيشا في الشدة ،
ولو قيل : انه مستحسن لم اعبه ، ولا خصوصية للحنطة ، وفي المسالة غير هذا
وقد ذكرناه في شرح التهذيب (قال) : قال ابو الحسن علي بن عبد الله القطان المعروف
بابن الحلاّف : اجتمعت اليّ جماعة في حانوتي بالقطانين — بعد وفاة والدي —
يقسمون قطنا بينهم فنفضت الموضع الذي قسموا فيه القطن فاجتمع فيه من القطن
نحو وزن اربعة دراهم ، فذهبت الى ابي بـكر محمد بن اللباد فسالته ما الذي اصنع
بالقطن ؟ فانتهرني وقال : يا هذا سل عن وضوئك وصلاتك ودينك فان هذا وسواس !
قال ابو الحسن : فضاق صدري ولم اطق صبرا فغلبني البـكاء والعبرة ، فوثب اليّ
وجذبني الى نفسه وقبل بين عيني وقال : احسنت يا بني ما عرفتك فقد قيل حاسبوا
انفسـكم قبل ان تحاسبوا ، وزنوها قبل ان توزن عليـكم ، وتجهزوا للعرض على
الله (يومئذ تعرضون لا تخفى منـكم خافية) ثم امرني بما اصنع فى القطن ، وكان
لا يتخلف عن مسجد السبت ، ولقد كان يتّصِل اليه وهو يخوض في الطين والمطر ،
ولقيه رجل وهو يخوض فى الطين متوجها اليه ، فسلم عليه وقال — اصلحك الله —
فى هذا الطين ؟ يعز على يحيى بن عمر لو رءاك ! فقال له ابو بـكر : ليس انا غلام
ابن عمر قال الله تعالى : (ولا يطئون موطئا يغيظ الـكفار ولا ينالون من عدو نيلا
الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين) وحضور هذا المسجد
يغيظ بني عبيد ! (قلت) وقد تقدم ان مسجد السبت الذي يسمى عندنا بمسجد العربي
لرجل يقال له محمد العربي كان يقوم به ينشد فيه شعر بني معدان فى الزهد ويقرا
فيه ايات من كتاب الله تعالى وحـكايات — وهو الذي يسمى عندنا اليوم الرقايق —
فـكان جميع المشيخة يبيحون حضوره ويحضره من يحضره معهم من الصالحين والزهاد

واهل الخير من يوم السبت الى يوم السبت الا ثلاثة : يحيى بن عمر في زمانه — فكان لا يحضره والف تاليفا في عدم حضوره لكونه يرى ذلك بدعة — والى هذا اشار القائل : يعز على يحيى بن عمر لو رءاك — وكان شيخه المعنى وانت تتكلف هذا ، وكذلك القابسي ، وابو عمران في زمانهما ، ولما كان هذا المسجد يحضره الجم الغفير من العلماء والصالحين كان حضورهم يغيظ بني عبيد لانهم يخافون من اجتماعهم ان يتفقوا على القيام عليهم فلهذا اجاب الشيخ بالاية (قال) : وكانت له امراة سليطة تؤذيه بلسانها ويقاسي منها أمرا عظيما فقال له الطلبة طلقها ونحن نؤدي صداقها فقال لهم : انما حفظتها من اجل والدها وذلك انى خطبت الى جماعة من الناس فردّوني وقالوا لي لا نزوّج صاحب محبرة وقلم ! ثم خطبت الى ابى هذه فزوجني ابنته لله عز وجل ، وكان يفعل معى جميلا ويرفقني بما قدر عليه أفتكون مكافاتى له طلاق ابنته ؟ وقيل له فى ذلك ايضا قال اخشى ان طلقتها ان يبتلي بها مسلم ، ولعل الله عز وجل دفع عني بمقاساتها بلاء عظيما وكان يقول كل مؤمن له محنة وهذه محنتى (قلت) : قال ابو بكر المالكى وذكر انها قالت له يوما يا زانى فقال لهم سلوها بمن زنيت فسألوها فقالت لهم بالخادم فقال لهم سلوها لمن الخادم لي او لها فقالت لهم له (قال) واتفقت عليه محنة من قبل أشياع بنى عبيد وسجن اياما ثم اطلق ومنع الفتوى والاستماع واجتماع الطلبة عليه حتى توفى ، وكان ابو محمد ابن ابي زيد وابو محمد بن التبان ياتيان اليه في خفية وربما جعلا الكتب في اوساطهما وحجزتهما حتى تبتل باعراقهما خوفا من بنى عبيد ان ينالوهم بمكروه ، قلت : كان اصل محنته انه صلى على جنازة استؤذن لها وقد حضر ابن ابي المنهال القاضي بجنازة اخرى كلم عليها فصلى ابو بكر وصلى وراءه ابن ابى المنهال ثم قدمت الجنازة الاخرى وصلى عليها ابن ابي المنهال فجلس ابو بكر ومد رجليه واستدبر القبلة ولم يصل وراءه فشق ذلك على ابن ابي المنهال ، فبعث وراءه ودار بينهما كلام في ذلك ؛ فامر بسجنه فجاء الغلام لياخذ بيده فانتهره وقال دع اشهدكم انى مسجون ومضى الى السجن فذهب محمد ابن اخيه الى المهدية فاخبر بذلك البغدادي

وكان يحبه فسعي له عند عبيد الله (23) حتى امره ان يكتب الى ابن ابي المنهال باخراجه من السجن على ان لا يفتي ولا يجتمع اليه احد ولا يفتي الا بمذهب السلطان ، وكتب في رقعة داخل الكتاب : ما هذا الذي فعلت ؟ عمدت الى عمدة بلده فاحدثت فيه هذه الاحدوثة ! وهذا مما كرهه امير المؤمنين فلا تعد الى مثل هذا ، فلما وصل الكتاب اخرجه وقال له هذا كتاب أمير المؤمنين نجد فيه ان لا تفتي ولا يجتمع اليك احد وان مرضت فلا تعاد ، فقال له ابو بكر : هذه مسالة لم تزل بعد ! وبقى ابو بكر لا يُسمِع الا خفية فاذا اجتمعوا فتحت لهم الخادم الباب فيدخلون وتغلق عليهم فيقرأون ، وكان منهم ابو محمد ابن ابي زيد وابو محمد ابن التبان وغيرهما ، (قال) : واصابه في آخر عمره فالج سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وحكى انه مد رجليه ثم نظر اليهما — وقد تغيرتا ودخلتهما نفخة — فبكى وجرت دموعه على شيبته ثم قال : اللهم ثبتهما على جواز الصراط يوم تزل الاقدام، انت العالم بهما والشاهد عليهما انهما ما مشيا لك في معصية ، (قلت) : ومثل هذا قال ابو عمران الفاسي وذلك انه لما حضرته الوفاة جعلت زوجته تمرغ خديها على رجليه فقال لها مرّغي اولا تمرغي فوالله مامشيت بهما الى معصية قط .

(ذكر وفاته رحمه الله تعالى)

(قال) : توفي يوم السبت الرابع عشر من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثماية — وهو ابن ثلاث وثمانين سنة — وصلى عليه محمد بن ابي الفتح المرجي بوصيته له بذلك ، وحضر جنازته خلق كثير ودفن بباب سلم على شفير الحفير الكبير وحمل نعشه والناس يقولون النبي وصاحباه وذلك عند توقع وصول ابي يزيد (24) الى القيروان وضعف حال بني عبيد ورثاه ابو محمد بن ابى زيد بقصيدة منها .

---

(23) هو المهدى العبيدى الشيعى .

(24) هو النكار صاحب الحمار القائم على بنى عبيد .

ياطول شوقي الى من غاب منظره — وذكره في جوى الاحشاء قد سكنا
لهفي على ميت ماتت به سبل — قد كان احيا رسوم الدين والسننا
كم محنة طرقته في الالام فلم — يحزن لذلك اذ في ربه امتحنا

(قلت) : ومنها ايضا :

حتى استنار به الاسلام في بلد — لولاه مات به الاسلام واندفنا
الفقه حلته والعلم حليته — والدين زينته والله شاهدنا
اب لاصغرنا كهف لأكبرنا — وفي النوازل ملجانا ومفزعنا

وقبره عندنا مزار يعلمه الخاصة والعامة رحمه الله ورضي عنه .

١٩٢ ● ومنهم أبو الفضل عباس ابن عيسى بن محمد ابن عيسى الممسى

وممس (25) قرية هناك ، سمع من جبلة بن حمود وغيره ، واخذ عنه ابو محمد بن ابي زيد وابو الحسن بن الحلاف وابو الازهر بن مغيث وابن حارث ، وخرج الى الحج سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، قال الشيخ ابو اسحاق السبائي حفظ القرءان ابو الفضل الممسي وهو ابن ثمان سنين وحفظ الموطا وهو ابن خمس عشرة سنة ، (قال) : جمع الفقه البارع ، والورع الحاجز ، والسمت الحسن ، وحسن الاشارة ، والهدى والسكينة ، وحكى ان مشيته كانت تشبه مشية عمر بن عبد العزيز ، وبه كان ابو محمد بن ابي زيد يتشبه في احواله ، وكان شديد الورع ، قال ابوالحسن بن الحلاف لما جعل على الملح القبالة (26) قال لي ابو الفضل يا ابا الحسن قيل لي ان فرنا عند باب ابي الربيع انقضت قراميده وان الملح الذي تحتها من ايام سحنون فنحب منك ان تشتريه لي ، فمضيت واشتريته له ، قال فبعد مدة كانت

---

(25) ضبطها في م بضم الميم الاولى، وفي ق بسكون الثانية فتكون النسبة اليها ممسي.
(26) القبالة : الاداء .

عنده مرمة فجعل يشتري للاجراء خبزا من السوق ، فقلت له اصلحك الله في هذا الخبز من ذلك الملح الذي كرهته انت لنفسك فينبغي ان تحب لهم ما تحب لنفسك ، فقال لي يا اخي يا ابا الحسن وهل اخذنا بكل الورع ؟ هذا ومثله من السقطات التي تخرج من وصايانا (قلت) : زاد ابو بكر المالكي فينبغي لمن يتصدق بثلث ماله ان ينوي به اداء التباعات التي عليه التي لا يعلم اهلها ويقدم النية وهو خير من اخراجها مطلقا ، قال ابو الحسن المذكور وقلت انا : وكذلك من اراد صلاة نافلة ينبغي ان يصلي صلاة يوم وينوي بذلك الصلوات الخمس فيكون هذا قضاء عن صلاة فائتة او صلاة صلاها بتخفيف لا تجزي به او يكون قد نسيها ،

(قال) : قال ابو الحسن : وسالت ابا الفضل ايضا فقلت له : رجل من طائفة السلطان اراد أن يودع عندي مائة دينار ؟ فقال لي اذا اودعك اياها ثم اخذها منك لزمك ان تتصدق بمائة دينار من مالك : فقلت ولم ذلك ؟ فقال : لان هذا الرجل غاصب وماله ينبغي ان يرده الى من غصبه فان لم يعرفه تصدق به ، فقلت له ما دليل ذلك ؟ قال جرى في تونس نهب فاتى رجل الى السوق يلتمس ثوبا يشبه ما نهب لزوجته فوجد ثوبا ينادي عليه ليبيعه رجل جندي فاشتراه منه بسبعة دنانير ظانا انه ثوب زوجته فاخذ الجندي الدنانير وخلطها مع دنانيره ثم مضى الرجل بالثوب الى زوجته فقالت ليس هو ثوبي فسال الجندي ان يقيله فيه ففعل وأعطاه سبعة دنانير من خلط الدنانير قال فاتى الرجل فسال جماعة من رجال سحنون وهم يومئذ متوافرون بالقيروان فما اختلف منهم واحد انه يتصدق بهذه الدنانير الذي اخذها وبقيمة الثوب لانه كان يسوى اكثر ، وقال ابن الحلاف كنت اعمل القطن فنتفرغ من العمل بالعشي فيضيق علي الوقت ، وكانت نوالات بنيت غصبا على وادي القصارين فنشترى منها بحبة بتلا ، فوقع في نفسي من ذلك ، فسالت ابا الفضل الممسي وابا حفص ابن العسال رحمهما الله عن ذلك فقالا لي : تتصدق بقيمة الكراء من حين عقدت البيع الى ان قضته ، فقلت لهم : كراء النوال درهم في الشهر وهو يبيع باثنى عشر

درهما كل يوم ، فقالا لي : تصدق بربع درهم في السنة فان الحبوب اذا اجتمعت كثرت ، وروى انه وصل اليه حديد فادخله السوق فقيل له قد ساوى على فلان بعشرة دنانير القنطار وعلى فلان باربعة عشر دينارا القنطار قال هذا تفاوت فما السبب في ذلك فقيل ان فلانا يعني الثاني لا يبقى عنده عمل يجيء اليه ابو فلان فياخذ ما عنده من العمل فباعه بعشرة دنانير للاول ، وكان ابو الفضل احسن خلق الله وضوءا ، وكان له مرحاض لا يدخله غيره مفتاحه في وسطه ، وكان يكاد ان يصلي في هذا المرحاض لانه نقي وفيه اواني الوضوء مغطاة وفيه نعل لا يخرج بها ونعل يمشي بها الى مصلاه فلما اصيب سمعوا في المرحاض قعقعة عظيمة فارخوا ذلك فوجدوه يوم مات بالمهدية ففتحوا المرحاض فوجدوا اواني الوضوء قد كسر بعضها بعضا ساعة مات بالوادي المالح (قلت) : وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي ينقل ان امه لما سمعت القعقعة المذكورة قالت لمن حضرها : عزوني في ولدي فان هـذه القعقعة تدل على موته .

(قال) : وكان ابو الفضل ممن خرج لقتال بني عبيد مع اهل القيروان لما كان يعتقد من كفرهم ، (قلت) : قال ابو بكر المالكي رأى أن الخروج مع ابي يزيد الخارجي وقطع دولة بني عبيد فرضا لان الخوارج من اهل القبلة لا يزول عنهم الاسلام ويرثون ويورثون وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا ينتسبون اليهم ، (قال) : فمات بالوادي المالح قرب المهدية ولم توجد له جثة ولا بغلة حماه الله منهم حيا وميتا ، وروى ان بعض اقاربه وجده في القتلى — وبه رمق — فقال يا بني حول وجهي الى المهدية لئلا اموت وانا مول ظهري الى هولاء القوم ، فلما مات هدم عليه جرف فاخفاه عنهم وكانوا في غاية الطلب لراسه (قلت) : واراد بقوله وبه رمق من جراحات وقعت له في القتال وهو كذلك في احد القولين وقيل انه سقط من على دابته لما وقعت الهزيمة فدرسته البهائم حتى مات ، وهذا لا ينافي ما قاله انه

وقعت به جراحات فهو رحمه الله مات شهيدا لقول ابي الحسن ابن الحلاف سمعته يقول : قتالهم افضل من قتال المشركين ، قال ابو عبد الله الفقيه الاجدابي لابي الحسن انت سمعت هذا من ابي الفضل ؟ فقال نعم ، وقبله المالكي وهو بيّن لانهم كفار متصلون ببلاد الاسلام ويحكمون فيهم بما يريدون من قتل او ضرب او سجن او غير ذلك بخلاف كفار منفصلين عن بلاد الاسلام ، وقال ابو محمد بن ابي زيد وددت أن القيروان تسبى ولم يقتل ابو الفضل ! وهذا منه رحمه الله مبالغة لانها لا تسبى حتى يموت خلق كثير (قال) : وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ورثاه الفقيه ابو محمد ابن ابي زيد بمراث تركتها لطولها .

١٩٣ ● ومنهم ربيع القطان هو أبو سليمان ربيع بن سليمان بن عطاء الله ينتسبون الى قريش

لقي بمصر ابا الحسن الدينوري وبمكة ابا يعقوب الجوهري وابا سعيد ابن الاعرابى وابا علي ابن الكاتب فرجع الى القيروان وقد تذكى عقله ورق فهمه (قلت) : وسمع بالقيروان من ابي بكر ابن اللباد وابى العرب وغيرهما وكانت له حلقة بجامع القيروان يحضرها ابو القاسم ابن شبلون وغيره ايام ابى يزيد وكان تفقه عليه احمد بن نصر ولازمه وكان من كبار اصحابه (قال) : وجمع بين العلم والعمل والانس والانبساط (قلت): وكان يؤلف الخطب والرسائل ويقول الشعر ، وكان لسان افريقية في وقته في الزهد والرقايق ، وكان ابو محمد بن التبان يحبه كثيرا ويثني عليه ويكرمه وحج سنة اربع وعشرين وكان جعل على نفسه ان لا يشبع من طعام ولا نوم حتى يقطع الله دولة بنى عبيد وكان مع ذلك ملتزما فى حانوته يبيع فيه القطن وفيه ياتيه من يطلبه ويساله ، (قال) : وكان ربيع يقول الا اخبركم بالحازم العازم ؟ الذي يقول (هاؤم اقراوا كتابيه انى ظننت انى ملاق حسابيه) ، (قلت) : ومن كلامه ايضا الدنيا امل ووجل . والاخرة جزاء وعمل . والتوسط

بينهما اجل ، قال ابو بكر المالكي يقال انه يتكلم على الاحوال (27) ، ذكر ابو علي حسن ابن فتحون الخراز قال كنت كثيرا ما اغشى مجلس ابي سليمان ربيع القطان اريد سؤاله عن اشياء تختلج في صدري فانصرف عنه بعلم ما اردت منه دون مسالة ، ولقد كنت عنده يوما حتى ذكر من بعض كرامات الاولياء ما هالني ذكره وتلذّذ (28) في قلبي خطره وعظمه فنظر الي وقال لي : اتعجب من امر الله ؟ فازال الله ما كان في نفسي فقلت : نعم الملك واسع والقدرة اعظم ونقله غيره بلفظ فنظر الي وقال « قالوا اتعجبين من امر الله » وقال اخوه احمد دخلت عليه يوما وهو متفكّر فسالته عن فكرته ؟ فقال : تفكرت في أمر ! فقلت له فيم ؟ قال : رايت في رؤيا الحق سبحانه فامرني فدنوت منه فشرّف موضعا مني وعظّمه (ما بين صدغي واذني من الجانب الايسر) فكانت والدته تامره اذا حلق ان تاخذ شعر ذلك الموضع فجمعت منه كثيرا وأوصت حين موتها ان يدفن معها فضرب حين قتل في ذلك الموضع (29) قال المالكي وكان سليمان والد ربيع يجلس في الايل مع اولاده وكانوا خمسة كلهم صالحون فاذا خطر في نفسه شيء يسال عنه من العلم يقوم من مكانه ويجثو على ركبتيه بين يدي ولده ربيع ! فيقوم اليه ربيع فيقول : يا والدي لم فعلت هذا ؟ فيقول : انما اردت ان اعطي العلم حقه ، فيساله عما يحب فيجيبه ثم يرجع الى مكانه ، رحمة الله عليه (قال) : وظهرت لربيع اجابات روي أنه سمع قاريا يقرأ (الم يعلم بان الله يرى) فغشي عليه (قلت) : قال ابو بكر المالكي : وعوتب ربيع في خروجه مع ابي يزيد الى حرب بني عبيد فقال : وكيف لا أفعل وقد سمعت الكفر باذني ؟ فمن ذلك اني حضرت اشهادا وكان فيه جمع كثير اهل سنة ومشارقه وكان بالقرب مني ابو قضاعة الداعي ، فاتى رجل مشرقي من

---

(27) أي بطريق الكشف كما يفهم من النقل بعده •

(28) ق وتزايد •

(29) يعني ان الموضع الذي وصفه من رأسه كان هو مقتله •

اهل الشرق ومن اعظم المشارقة فقام اليه رجل مشرقي وقال الى هاهنا يا سيدي الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعني ابا قضاعة الداعى ويشير بيده اليه — فما انكر أحد شيئا من ذلك ! فكيف ينبغي ان اترك القيام عليهم ؟ ووجد بخطه قال : لما كان في رجب سنة احدى وثلاثين قام الصبي المكوكب يقذف الصحابة ويطعن على النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت عظام رؤوس اكباش وحمير وغيرها على ابواب الحوانيت والدروب عليها قراطيس معلقة فيها اسماء يعنون بها رؤوس الصحابة رضوان الله عليهم ! فلما راى ربيع ذلك لم يسعه التاخر عن الخروج عليهم ، — وكذلك كان جميع الشيوخ يتأوّلون ابا اسحاق السبائى وغيره (30) — ولما اجتمعوا للخروج عليهم قال ربيع القطان انا اول من يشرع فى هذا الامر ويخرج فيه ويندب المسلمين ويحضهم عليه وتسارع جميع الفقهاء والعباد لذلك فلما كان بالغد خرج ربيع وجماعة الفقهاء ووجوه التجار الى المصلى بالسلاح الشاك والعدة العجيبة التي لم ير مثلها وضاق بهم الفضاء وتواعد الناس ان ينظروا في الزاد وآلة السفر الى يوم السبت — وذلك يوم الاثنين — وركب بعض الشيوخ من الموضع الى الجامع بالسلاح وشقوا السماط بالقيروان وزادوا في استنهاض الناس ، فلما كان يوم الجمعة اجتمعوا فى الجامع وركبوا بالسلاح الكامل وعملوا البنود والطبول واتوا بالبنود فركزوها قبالة المسجد المعروف بالحدادين وكانت سبعة بنود : الاول اصفر لربيع القطان مكتوب عليه البسملة ومعها لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفي الثانى — وهو لربيع اصفر ايضا — نصر من الله وفتح قريب على يد ابي يزيد اللهم انصره على من سب نبيك ، وفي الثالث — وهو اصفر ايضا لابى الربيع — بعد البسملة (قاتلوا ايمة الكفر انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون) وفى الرابع — وهو بند أحمر لابى الفضل عباس الممسى — لا اله الا الله محمد رسول الله ، وفي الخامس — وهو بند اخضر لمروان العابد — بعد البسملة (قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم

(30) من هنا حكاية ثورة علماء القيروان على الدولة العبيدية واسماء قادتها وعدد من مات منهم وكيف فشلت يحكى أبى يزيد الخارجى عن شهود عيان ٠

عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين) ، وفي السادس — وهو بند أبيض — بعد البسملة لا اله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق ، وفى السابع — وهو لابراهيم بن الحبشا وكان اكبر البنود لونه ابيض — لا اله الا الله محمد رسول الله (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) فلما اجتمع الناس وحضرت صلاة الجمعة طلع الامام على المنبر — وهو احمد بن محمد بن ابي الوليد وكان ابو الفضل الممسى هو الذي اشار به — وخطب خطبة أبلغ فيها وحرض الناس على الجهاد واعلمهم بما لهم فيه من الثواب وتلا هذه الاية (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر) الاية وقال : يا ايها الناس جاهدوا من كفر بالله وزعم انه رب من دون الله وغير احكام الله عز وجل وسب نبيه واصحاب نبيه وازواج نبيه : فبكا الناس بكاء شديدا وقال في خطبته : اللهم ان هذا القرمطي الكافر الصنعاني المعروف بابن(31) عبيد الله المدعى الربوبية من دون الله جاحدا لنعمتك كافرا بربوبيتك طاعنا على انبيائك ، ورسلك مكذبا محمد نبيك وخيرتك من خلقك سابا لاصحاب نبيك وازواج نبيك امهات المؤمنين سافكا لدماء امته منتهكا لمحارم اهل ملته افتراء عليك واغترارا بحلمك اللهم فالعنه لعنا وبيلا واخزه خزيا طويلا واغضب عليه بكرة واصيلا وأصله جهنم وساءت مصيرا بعد ان تجعله فى دنياه عبرة للسائلين واحاديث الغابرين واهلك اللهم متّبعه وشتت كلمته وفرق جماعته واكسر شوكته واشف صدور قوم مؤمنين منه ونزل ، فجمع الجمعة ركعتين وسلم وقال : ان الخروج غدا يوم السبت ان شاء الله ، وركب ربيع القطان فرسه وعليه ءالة الحرب وفي عنقه المصحف وحوله جمع من الناس من اهل القيروان متاهبون معتدون لجهاد اعداء الله عليهم آلة الحرب ، فنظر اليهم ربيع القطان فسرّ بهم وقال : الحمد لله الذي احياني حتى ادركت عصابة من المؤمنين اجتمعوا لجهاد اعدائك واعداء نبيك يارب

(31) الصواب اسقاط ابن لان المطعون عليه هو عبيد الله المهدى راس الدولة العبيدية الشيعية .

باي عمل باي شيء وصلت الى هذا ثم اخذ في البكاء حتى جرت دموعه على لحيته ثم قال : والله لو رآكم محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا لسرّ بكم ، (قال) : وكان ممن خرج على بني عبيد فقتل بقرب المهدية بالوادي المالح وقطع راسه واتى به الى ابي القاسم بن عبيد الله في طست فلما كشف عنه فتح الراس عينيه وفمه فقال ابو القاسم بعدّوه عني وتوفى في رجب سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة (قلت) : وقال ابو بكر المالكي استشهد ربيع القطان رحمه الله يوم الاثنين في صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل ان الممسى استشهد معه في يوم واحد ، وقيل بينهما مدة ستة اشهر ، فكان غرض المجوس بني عبيد اخذ ربيع حيا ليتشفى منه ، قال الشيخ ابو الحسن القابسي فلما تلاقوا للقتال اقبل ربيع وهو يطعن فيهم ويضرب وهم يتوقفون عن طعنه طمعا ان ياخذوه حيا فلما اثخنهم بالضرب والطعن عمد اليه جماعة منهم فقتلوه وما تولوا دفنه (32) رحمة الله عليه واستشهد معه ايمة وعباد وصالحون وذلك خمسة وثمانون رجلا — ذكر هذا في تكلمه على ابي الفضل الممسى — وقال ابو الحسن القابسي — عن شيوخه الذين ادركهم — ان الذين ماتوا في دار البحر بالمهدية من حين دخل عبيد الله الى الان اربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد وعالم ورجل صالح ولذلك يقول سهل الوراق .

واحلّ دار البحر في اغلاله　　　من كان ذا تقوى وذا صلوات

(قلت) : وكان القرويون غلبوا من كان بالمهدية وطمعوا في اخذها فمكر بهم ابو يزيد الخارجي فقال لجيشه : القرويون اذا حكموا على بني عمنا واستاصلوهم يرجعون علينا فلا تقدر عليهم فاذا كان من الغد والتحم الناس في القتال انعزلوا عنهم حتى تقع الكسرة عليهم فترتاح من شوكتهم او نحو هذا الكلام ففعلوا ذلك فوقعت الهزيمة عليهم لما سبق في سابق علم الله تعالى باستشهاد من استشهد كابى الفضل الممسى وربيع القطان قال ابو محمد بن التبان رايت ربيع القطان في المنام

(32) في ق : وما ولى دبره بدلا من وما تولوا دفنه :

بني تميم ، وجزءين في موت العلماء ، وكتاب المحن ، وكتاب فضائل مالك ، وكتاب فضائل سحنون ، وكتاب الطهارة والوضوء ، وكتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر ، وكتابا في الصلاة ، وغير ذلك ، وقال ابو بكر المالكي ، كانت اوصافه اوسع من ان يحملها كتاب (قال) : وبلغت كتبه ثلاثة آلاف وخمسمائة كلها بخط يده واحتاج الناس اليه والى علومه وكتبه ، (قلت) : وسالت في حال صغري شيخنا ابا الفضل البرزلي هل اراد بالكتب المسفّره المجلدة ؟ أو انما اراد مثل كتاب الطهارة وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الجنايز ونحو ذلك ؟ فاجابني بان المراد الثاني لا الاول ، وكان رحمه الله تعالى شاعرا قال ابو بكر المالكي : ومن قوله رحمه الله تعالى هذه الابيات .

اذا انقطع الصديق بغير عذر	فزاد الله خلته انقطاعا
الى يوم التناد بلا رجوع	وان رام الرجوع فلا استطاعا
اذا ولى اخوك فولّ عنه	وزده وراء ما ولاّك باعا
وناد وراءه يا رب تمم	ولا تجعل لفرقتنا اجتماعا

(قلت) : وكان له ابن اسمه تمام سكن افريقية ، وابو جعفر تميم سكن الاندلس وروى بها كتب ابيه وغيره وهو الذي انشد عن ابيه ما تقدم ، (قال) : قال ابو الحسن بن سعيد الخراط الفقيه : لما بلغني ان الفقهاء قد تجمعوا في الجامع في تدبير الخروج الى المهدية في ايام ابي يزيد بكرت الى الجامع فاصبت ابا العرب ابن تميم وابا الفضل الممسى وربيع القطان وابا اسحاق السبائي ومروان بن نصر وغيرهم جلوسا عند المنبر فتكلموا في الخروج على بني عبيد فاختلفوا وتناظروا حتى قال ابو العرب ابن تميم اسكتوا فسكت الناس فقال حدثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله الجرجاني باسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون آخر الزمان قوم يقال لهم الرافضة فاذا ادركتموهم فاقتلوهم فانهم كفار فلما اتم الحديث كبر الناس وعلت اصواتهم في الجامع حتى ارتج ثم خرجوا لقتال بني عبيد ، وهذا يدلك على

بعد ان قتل فسالته عن حاله فقال لي تارة يزخرف لنا الجنان وتارة تشرف علينا الحور والولدان وتارة تبسط لنا الحجب فقلت له من أعلى درجة انت ام الممسى ؟ فقال جمعنا فى حديقة واحدة وقال ابو بكر المالكي : وكان يكثر من الاشارة بانه يستشهد فكان ذلك فى قتال بني عبيد وكان يقول والله ليدارن بهذا الراس فقد والله ادير براسه بطرابلس .

١٩٤ ● ومنهم أبو العرب محمد بن أحمد ابن تميم بن تمام ابن تميم التميمى الفقيه المؤرخ (*)

وكان جده تميم بن تمام من امراء افريقية وكان ابوه احمد ممن سمع من شجرة وسليمان بن عمران وبكر بن حماد ، (قال) : وبلغت عدة شيوخه مائة وخمسة وعشرين شيخا منهم عيسى بن مسكين ويحيى بن عمر وعبد الله بن احمد ابن طالب القاضي وسليمان بن سالم وسعيد بن محمد بن الحداد واحمد بن معتب وعبد الجبار بن خالد وحمديس القطان وجبلة بن حمود الصدفى ، واخذ عنه ابو محمد ابن ابى زيد وابو الحسن ابن زياد والحسن ابن سعيد الخراط وامم لا يحصون

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان فقيها صالحا متواضعا كثير الايثار من عسر ثقة ثبتا صحيح التقييد ضابط الرواية كثير التآليف والمشائخ (قلت) : وقال غيره كان ابو العرب امام عصره وواحد دهره داب في طلب العلم وبرع فيه براعة فاق فيها من تقدمه من رجال افريقية والف كتبا مفيدة كثيرة وكان موفقا فى التاليف معانا عليه وهو رافع لواء التاريخ بافريقية مع تقدمه فى علم الاثر وبصره بالفقه ومعانى الحديث ، وقال ابن ابي دليم كان حافظا للمذهب مفتيا وغلب عليه الحديث والرجال

(*) فى ق : بزيادة شيخ افريقية وعالمها .

وتصنيف الكتب والرواية والاسماع والف طبقات علماء افريقية ، وكتاب عباد افريقية ، وسند حديث مالك ، وكتاب التاريخ سبعة عشر جزءا ، وكتاب مناقب كمال عدالته وصحة نقله ولولا ذلك ما اتفقوا بعد الاختلاف على الخروج على من ذكر ولم يتخلف من الفقهاء والصلحاء احد ، (قلت) : قال ابو بكر المالكي : وقيل لابي الحسن ابن الحلاف : ما الذي اعاق ابا ميسرة عما فعل اصحابه ؟ قال ذهاب بصره ولكنّه قد أخرج ابنه محمدا وقال ادخلني الله في شفاعة اسود رمى على هؤلاء القوم صخرا وشهق الشيخ ابو الحسن بالبكاء ، وقيل لابى الحسن ان ابا سعيد بن اخي هاشم (33) لم يخرج ! فقال : قد شهر ابو سعيد السيف وحمله على عاتقه مصلتا وهذا غاية في انه يقول بقول الشيوخ في الخروج عليهم ، فقال له بعض من حضر : كان ابو سعيد يذكر ان الجبن منعه من حضور الحرب ، ولما خرج ابو العرب لقتال من ذكر سمع الناس منه كتابي الامامة لمحمد بن سحنون فكان يقول : والله لسماع هذين الكتابين عليّ هنا افضل من كل ما كتبت (قلت) : يريد لكثرة من سمعه من الخلق الذين اجتمعوا اليه في سماع ذلك من علماء وغيرهم ، ومن سبق له شيء في الازل لا بد ان يناله فكان جده ابو الجهم والي افريقية والذي نال احسن (34) دنيا واخرى قال ابو بكر المالكي : وسبب طلب ابى العرب العلم وملازمته له وتركه ما كان عليه آباؤه قال اتيت يوما وانا حدث الى دار محمد ابن يحيى ابن السلام فرايت عنده الطلبة ورايت امرا أعجبنى وركنت اليه نفسي ، فعاودت الموضع وكنت آتي اليه والطرطور على راسي ونعلي احمر في رجلي في زي ابناء السلاطين ، وكان الطلبة ينقبضون مني من اجل ذلك الزي ، فقال لي رجل – يوما بجوارى – لا تتزيّ بهذا الزي فليس هو زي طلبة العلم واهله ! وزهدني ، فرجعت الى امي فقلت نلبس الرداء وثيابا تشاكل لباس اهل العلم والتجار ، فأبت

---

(33) ق : هشام .

(34) يعنى احسن من جده .

عليّ وقالت : انما تكون مثل آبائك واعمامك ! فاحتلت حتى اشتريت ثيابا وجعلتها عند صباغ في باب ابي الربيع فكنت اذا اتيت من القصر القديم اتيت بذلك الزي الذي تحب امي ووالدي ، فاذا وصلت الى باب ابى الربيع ودخلت حانوت الصباغ خلعتها ولبست الثياب الاخرى فكنت كلما ترددت فعلت ذلك ، ثم قال لي رجل من اصحابى : اراك تاتى هذا المجلس فتسمع فيه العلم ولا تكتب شيئا مما تسمع يكون عندك ، ماهذا حقيقة طالب العلم ! فقلت له ، والدى راغب عن هذا وعن المعونة عليه وما مكنني من شيء اشتري به الرق ! فقال لي انا اعطيك جلدا تكتب لنفسك وتكتب لي جلدا عوضا منه فرضيت له بذلك فكنت اكتب لنفسي ماشئت واكتب له في جلوده ما يحب حتى يسر الله عز وجل ما اشتريت به الرق وما قويت به على طلب العلم ، (قال) : وتوفى ابو العرب في ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة ودفن بباب سلم عند قبر شقران (قلت) : وقبره مزار قال ابو بكر المالكي : وصلى عليه اسحاق بن ابى الوليد صاحب الصلاة والخطبة بعد ان قال لابنه ابي العباس تقدم صل على ابيك : فقال ما افعل ! هو اوصى ان تصلى عليه ، فتحول الى مروان والى ابى اسحاق السبائي فقال لهما تقدما فصليا فقالا انت احق ! فصلى عليه جمع عظيم ، وقيل ان ولده صلى عليه ، (قلت) : مجمل قولهما انت احق لاجل الوصية كما هو السياق بكونه عرض عليهما ان يصلي احدهما خلاف المذهب ، ويحتمل عموما لانه الامام للجمعة وغيرها في الجامع ، ويحتمل اشارة منهما لكمال فضله اذ لا يعرف الفضل لاولي الفضل الا اولوا الفضل ومنه ابتداء .

١٩٥ ● ومنهم محمد ابن الفتح المؤدب المرجى

كذا قال وزاد العوانى (المعروف بابن الصواف يكنى ابا بكر) وقال المالكي ابو عبد الله بن ابن الفتح، (قال) : سمع من يحيى بن عمر واحمد بن يزيد وغيرهما وله رحلة قديمة سمع فيها من محمد ابن عبد الله بن عبد الحكم ، وسمع منه ابو بكر ابن اللباد وابن زياد وكان من اهل العلم والفضل والعبادة والفقر والايثار على

قلة الاسباب وكان محققا في مقامات الصديقين ، (قلت) : وقال المالكي : كانت له اوصاف جليلة حسنة معروفة صلى وراءه عيسى بن مسكين ورضيه اماما وكان موصوفا برحلة (قال) : وهو احد من عقد الخروج على بنى عبيد لكنه لم يخرج لضعفه ، (قلت) : يعنى لكبر سنه كما صرح به غيره ، وكان يخرج الى مقبرة باب سلم فيستتر بحايط يقرأ على اصحابه هناك للخوف من بني عبيد لانهم منعوا من بث العلم وسجنوا العلماء في دورهم ، (قال) : وكان من دعائه : اللهم اني اسالك الهدى والتقوى والفقه والبشرى عند انقطاع الدنيا واسالك ايمانا لا يرتد وقرة عين لا تنفد وفرحا لا ينقطع وتوفّق الحمد ولباس التقوى وزينة الايمان ومرافقة نبيك في اعلى درجات الخلد وتوفى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، (قلت) : وقيل بل توفى سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة قال ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

١٩٦ ● ومنهم أبو اسحاق ابراهيم بن محمد القصرى المؤدب الزاهد

(قال) : هو ابراهيم بن الحسن بن محمد بن عيسى بن سفيان بن سوادة التميمى من اهل العلم والقرآن والكد والجهد والاجتهاد ، وكان حسن العبارة بالرؤيا وكان له حزن وخشية وورع وإشفاق مبسوطا بالحق مقبوضا عن غير ابناء جنسه اعطى حسن الصوت بالقرآن ورقة قلب فكان اذا قرا بكى وان صلى بكى وان سكت بكى ، روى عنه انه قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم تسليما فى المنام ستين مرة ، (قلت) : ناقل هذا عنه ابو محمد بن التبان (قال) : وقال ابو الحسن الزعفراني : بتنا ليلة ومعنا ابو اسحاق القصري فقال القوال .

من كان يرجو بان يلقى سلامته يوم الحساب ولا يفزعه مورده
فليحفظ الله فى اسرار خلوته ولا يغيب عن الاجلال مشهده

فجثى ابو اسحاق على ركبتيه بين يديه يبكي وينتحب وينوح حتى هجم الصبح ، (قلت) : هذا الكلام فيه بتر ، وبسطه : ان الزعفراني قال بتنا مع اصحاب لنا ومعنا من ذكرته : وان القاري لم يقرا هذا بل قرا اولا (35) ثم لما ذكر هذين البيتين قام ابو اسحاق فجثى على ركبتيه بين يدي القاري وقال له اعد (36) فوالله ما زال ذلك القوال يرددها وابو اسحاق على ركبتيه ينوح ويبكي حتى هجم الصبح هكذا ذكر ابو بكر المالكي عن الزعفراني ، (قال) : ولما توفي الشيخ ابو سوادة المتعبد لم يبق بالقيروان احد إلا شهد جنازته وكان ابراهيم القصري جالسا عنده وحوله خلق كثير فنظر الى النعش وازدحام الناس عليه فصاح : واعزّهم في سواد الليل إذا قاموا من مضاجعهم الى محاربهم ! واعزهم اذا انصدع الفجر فرحين بما وُهب لهم من المناجاة وقد اشرق نوره في وجوه القوم يحبون الله وهو يحبهم ! واعزهم اذا اشرقت الشمس وهم صائمون متبتلون ! واعزهم اذا توفتهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة ! واعزهم اذا الحدوا وصارت تلك اللحود رياضا ! وأعزهم اذا انشقت الارض عنهم قاموا من قبورهم وقالت لهم الملائكة « ادخلوها بسلام آمنين » (قلت) : زاد العواني : فلم ير باكيا اكثر من ذلك اليوم ، (قال) : مات ابو اسحاق في السجن بدار البحر من اجل كلمة حق في دين الله قالها ، وذلك سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة وكان ينادي اذا جن الليل : اللهم انزل بقلبي منك فرحا لا ينقضي ، ومحبة لا تنجلي ، إليك اسندت ظهري ، وبك تتم آمالي رفعت خبري اليك ، وقصرت آمالي كلها عليك ، ماذا عاديت فيك ، وماذا ابغضت فيك ، وماذا احببت فيك وماذا واليت فيك ، ثم يندفع للنياحة ، (قلت) : ذكر عنه انه كان ينادي ربه في الليل قبل قوله مات (37) فظاهره

---

(35) يعنى قرا قرآنا فى الاول ٠

(36) ق : أعد قول البيتين والقوال هو المنشد ٠

(37) ق : ينادى به ، ذكر هذا غير المصنف قبل ذكر الموت فظاهره الخ ٠

انه كان ديدنه قبل ان يسجن ، وقال العواني كان اذا جن الليل ينادي وهو في السجن اللهم الى آخره فظاهره انما سمع منه لما كان مسجونا لا قبل ذلك رحمه الله تعالى .

١٩٧ ● ومنهم أبو ميسرة أحمد بن نزار

(قال) : سمع من احمد بن ابي سليمان ، وفرات بن محمد ، وسعيد بن اسحاق ، وموسى القطان القاضي ، وسعيد بن حكمون ، ومحمد بن عبادة ، وابى الغصن السوسي (قلت) : وحمديس القطان (قال) : وسمع منه جماعة كثيرة منهم ابو محمد بن ابى زيد ، وحسن الخراط ، (قلت) : وابو القاسم اللبيدي وابو الحسن ابن الحلاف ، (قال) : كان ابو ميسرة رجلا صالحا عالما مشهورا بالفقه ثقة حسن الاتباع لا يخالف فى فتواه ابن القاسم مجانبا لاهل الاهواء كثير الصلاة والذكر وكان يختم كل ليلة ختمة فى مسجده ، وروى انه كان ذات ليلة يتهجد ويبكي وقد اتى على صلاته واذا بنور عظيم قد خرج له من حايط البيت كانه محراب ثم قال له تملا من وجهي يا ابا ميسرة فانا ربك الاعلى ! فبصق فى وجهه وقال اذهب يا ملعون فعليك لعنة الله فطفىء ذلك النور من ساعته كسراب بقيعة واذابه ابليس اراد ان يفتنه فنجاه الله منه ، (قلت) : اراد بقوله وقد أتى على صلاته اي فرغ منها ولو كان في صلاته فالواجب اعراضه عنه وانكاره بقبلة خاصة وعليه يحمل نقل عياض : فبينما هو يتجهد ذات ليلة من الليالي ويبكي ويدعو فاذا بنور عظيم وذكر ما تقدم قال الاجدابي اشتهي ابو ميسرة مدة طويلة فقوسا فلما غلبته شهوته امر رجلا فاشتراه له فاكل منه عند افطاره وجلس ساعة ثم بصق فوقع بصاقه على لحيته فقال ما هذا الا لذنب فعلته ثم بحث عن الفقوس واذا به من ارض السلطان فتقيأه وحلف ان لا ياكل فقوسا ابدا (قلت) : واعجباه هكذا تكون (38) العلماء منع نفسه من اكله

---

(38) ق : كان .

مع قدرته على شرائه مدة طويلة ثم لما اشتراه وظهر له ما ظهر حلف ان لا ياكله بقية عمره فهم أدبوا انفسهم رضي الله عنهم فتادبت وانشدوا .

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى فان طمعت تاقت والاتسلت

ونحن وافقنا انفسنا وهي مؤنثة — وطاعة النساء ندامة — ولا يفلح قوم ولوا امرهم امراة (قال) : روى عنه انه قال لبعض اصحابه — يحضهم على العمل — إني لاعرف من ختم في هذا الشهر — يعنى رمضان — مائة وعشرين ختمة واكل فيه سبع خبزات ونصف ! وما اردت بهذا السمعة ، وانما اردت ان احضكم على العمل ، وكان ابو ميسرة مجاب الدعاء روى انه كان في جواره رجل اسود يسرق وينقب لا يبالي ما يعمل ، وكلما قيل له في ذلك تناول الناس بلسانه ، فقيل لابي ميسرة ذلك وشكوه اليه وسالوه ان يدعو عليه ، فقال : اللهم انه عبد من عبيدك ونحن نخافه لانه لا يخافك فاصلحه وان لم يسبق في علمك ا صلاحه فخذه بعلمك فيه وازل عنه حلمك وفاجئه بسطوتك ونقمتك ، فلما اصبح أتى الشرط الى الرجل فمضوا به فضربت عنقه ، وقال الشيخ ابو بكر بن عبد السلام (39) خرج ابوميسرة ليصلي على جنازة بباب سلم فشق الجبانة فاذا بامراة مع رجل في محنة وقد مكنته من نفسها وهو يحل سراويله ، فصاح ابو ميسرة « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » واقبل وهو يريد السير الى ناحيتهما ، فتركها الرجل وهرب واقبلت المراة الى ابي ميسرة فضربت بيدها في أطواقه وصاحت بأعلى صوتها : معاشر المسلمين هذا الرجل راودني عن نفسي ! وابو ميسرة ساكت ، فلما رأت ما هو فيه من قلة القدرة تركته ، وقالت له إياك ان تغير المنكر الا ومعك غيرك ، فانصرف ابو ميسرة وهو يقول : بين مصدق ومكذب ثم اقبل يكرر هذا الكلام حتى انتهى الى منزله ، وكان يقول — رحمه الله تعالى — معرفة الصالحين تورث الفردوس الاعلى ، وشكى له بعض اصحابه بعد عهده به ، فقال له : يا أخي إنما

(39) ق : عبد الرحمان .

فائـدة الاجتماع الدعاء ، فاذا ذكرتني دعوت لي واذا ذكرتك دعوت لك فنكون كانا التقينا وان لم نلتق ، وكان ابو ميسرة يدفع (40) الكرامات حتى ساله سائل فاعطاه رغيفا كان فى طاق فى المسجد ثم خرج من المسجد واغلقه ، ثم فتح المسجد بعد ذلك فوجد الرغيف بعينه فى الطاق ، (قلت) : وحمل مرة خبزته الى الفـرن فخرج من الفـرن خبز للبيـع واذا بسائـل يسال فـلم يعطـه اصحاب الخبز شيئا فاشترى منهم ابو ميسرة خبزة ودفعها الى السائل فلما انصرف الى مسجده وقت الصلاة وجد الخبزة فيه :

(قال) : قال ابو الحسن ابن الحلاف : كنت عند ابى ميسرة فوقف بالباب سائل فقلت له : فتح الله عليك ، فقال لي ابو ميسرة : قل فتح الله لنا ولك فلعل ساعته توافق اجابة ، وكان ابو ميسرة يجعل مائدته اذا تعشى خلف الباب فقيل له فى ذلك ؟ فقال اذا جاء السائل يعطى له من قريب واذا كنا فى البيت وجاء سائل تخرج اليه الخادم فلا ينتظرها العيـال ، واراد اسماعيل بن ابي القاسم ان يوليه القضاء فابى وقال : كيف يلي القضاء رجل اعمى يبول تحته ؟ وما علم به احد انه اعمى الا ذلك اليوم – فقال له : منذ كم عميت اصلحك الله ؟ قال : منذ ثماني عشرة سنة ! ثم قال : اللهم انك تعلم اني قد انقطعت اليك وانا ابن ثمان عشرة سنة فلا تمكنهم مني ! فما جاء العصر الا وهو من اهل الاخرة ، (قلت) : ظاهر قوله فقال له ان القائل له هو اسماعيل فهو قد ذكر عذره لاسماعيل مباشرة ، وذكر عياض ان الرسول جاءه فقال له : مولاي يقرئك السلام ويقول لك : لا بد ان تلي القضاء ! فقال : كيف يلي القضاء رجل أعمى يبول تحته ؟ فقال منذ كم عميت الخ وهذا ظاهر في انه لم يصل الى اسماعيل وانما قاله لرسوله ، ولا يبعد ان يتفق الناقلان قاله اولا له ثم قاله لرسوله لقوله لا بد ان تلي فان لفظة لا بد تقتضي انه سبق كلام معه في ذلك والله اعلم ، وكونه لم يعلم احد بعماه مع كونه يصلي

(40) ق : ينكر .

الجمعة والجماعة ويقرا عليه الناس كرامة عظيمة في حقه ، والا فالعمى يظهر على صاحبه من ساعته ، وانظر قوله — فلا تمكنهم مني — ما ظهر لي سبب دعائه على نفسه فتامله (قال) ومسجد ابي ميسرة مشهور بالقيروان الى اليوم وهو احد المساجد السبعة القديمة الفاضلة ، (قلت) : ويعرف الان بمسجد ابن غلاب وهو عن يسار الداخل للقيروان من باب تونس ، وداره هي التي تعرف بدار الشيخ العدل ابي اسحاق ابراهيم بن محمد بن غلاب المسراتي ، (قال) : وتوفي يوم الاثنين في ربيع الاخر سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، (قلت) : يعني منتصف ربيع الاخر كما صرح به غيره ، (قال) : ودفن بباب سلم قرب شقران وقبره معروف — يعني يزار ويتبرك به — رحمة الله عليه ونفعنا به آمين .

١٩٨ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن أبى المنصور (*) رحمه الله

وهو محمد بن عبد الله بن حسن الانصاري القاضي اصله من الاندلس قاله المالكي (قال) : وكانت رحلته الى المشرق وسماعه من القاضي اسماعيل بن اسحاق ومن علي بن عبد العزيز عن ابي عبيد (41) القاسم بن سلام ومن عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن قتيبة والحارث بن ابى اسامة وابي يعقوب — حدثه بمصنف عبد الرزاق عنه — وغيرهم ، سمع منه احمد بن عبد الرحمان القصري وابو محمد بن التبان وجعفر بن نظيف وعبد الله بن هاشم القاضي وغيرهم ، (قلت) : واغلق على نفسه باب السماع (42) واعتذر بانه لزمته يمين غليظة ان لا يسمع احدا من اهل

(*) فى ق: ابن أبى المنظور بضاء مشالة معجمة ، وفيها أيضا سمى جده حسنا باسم حسان .

(41) فى ق : وأبى عبيد .

(42) الظاهر انه يريد بالسماع الاسماع وهو الاخذ عنه كما يقتضيه تعليق ابن ناجى .

القيروان ، وربما اسمع الرجل الغريب (قلت) : يعنى انه لم يتعين عليه الاسماع ولو تعين عليه لوجب عليه تحنيث نفسه ، والمراد بعد ان اسمع من تقدم ، (قال) : وكان عالما ثقة فاضلا صالحا لا تاخذه فى الله لومة لائم ، وله جلالة وسمت وخشوع وتقى وقبول عند الناس وعدالة ظاهرة وأجبره اسماعيل المنصور على القضاء ، (قلت) : هو اسماعيل بن ابي القاسم بن عبيد الله (قال) : فاشترط عليه ان لا ياخذ لهم صلة ولا يركب لهم دابة ولا يقبل شهادة من طاف بهم او قاربهم ولا يركب اليهم مهنيا ولا معزيا ، فاجابه الى هذا اسماعيل وقبل شرطه ، وقال له : اذا لم تاخذ صلة فمن اين تعيش ؟ قال بما اعيش به الان ! قال : فما تركب وانت شيخ كبير ؟ قال الجامع قريب من داري استطيع المسير اليه ، فسار بالعدل في جميع اقضيته ، وكان لا تاخذه في الله لومة لائم ، وله مع القول اخبار جليلة تدل على قوة ايمانه وتقدمه فى الدين ، (قلت) : من ذلك ما ذكره ابو بكر المالكي عن الشيخ ابي الحسن القابسي ان يهوديا سب النبي صلى الله عليه وسلم فرفع اليه وشهدت عنده البينة فقال ما الذي اعمل لم اعط السيف فاخرج من داره منبرا وقعد عليه على باب داره في الشارع الاعظم واحضر اليهودي فعرض عليه الاسلام فابى ان يسلم فاجلسه ومد رجليه وقال لرجاله خذوا بيديه واجذبوه الى انفسكم حتى يتقوس ظهره وامر حاجبه راشدا — وكان ذا قوة في الضرب — ان يضرب ظهره من حذو قلبه فضربه حتى غشي عليه ، ثم امر غيره فابتدأ في ضربه فلم يزل يضربه حتى مات ! فقالوا له : مات اصلحك الله ، فقال لهم : الحقّ قتله ، ثم امر بدفعه الى اهل دينه ، وانما فعل ذلك — والله اعلم — لانه لو رفع امره اليه لم يقتله بسبب السب ، فاظهر فانما يضربه ضرب الادب ليصل بذلك الى قتله ، فاذا قيل له لم قتلته قال مات من الضرب ، وذكر عنه ايضا القابسي رحمه الله انه قال قام القاضي ابن ابي المنصور من مجلسه من الجامع منصرفا الى داره فلما دخل من باب داره احس في الدار حركة وشم فى الدار رائحة طيبة فلما دخل الى بيته وجلس قال له اهله : سلاف جارية السلطان جاءت اليك — وكانت سلاف هذه لم يكن عند

اسماعيل اعز منها — فجعلوا لها منبرا على باب البيت — وكان القاضي قد حبس نائحة قد اشتهرت بالفسق ومخالطة السفهاء وشهد عليها عنده بانواع الفسق فضربها وسجنها في الفلقة — فقالت له سلام على القاضي ! فقال لها مالك يا هذه ؟ قالت له قضيب جارية السلطان ! فقال لها مالها ؟ فقالت تقول لك مشتاقة (43) المسكينة قد انتهيت منها الى ضربها وسجنها وانتهيت منها الى ما رايت انه الحق عندك فاحب ان تخرجها وتطلق سبيلها، فقال لها القاضي — اعنى لسلاف — والله يا منيتنة لولا....(44) لاوجعتك ضربا ولا جعلتك مكانها اليس تحبون (45) ان تجعلوا ظهر الشيخ السوء قنطرة ؟ اذهبى لعنك الله ولعن من ارسلك ! فولت وشقت ثيابها وكشفت راسها وذهبت الى قضيب — وكانت قضيب ليس عند السلطان اعز منها حتى انه كان يقول : الناس كلهم عبيدي وانا عبدك وكان قد شغف بها فذكرت لها ما قال القاضي فدخلت بها على اسماعيل فقال مالك ؟ وشق عليه مارآه منها لانه كان يحبها ، فذكرت له ما جرى ، فقال ايش نعمل له ما اخذ منا صلة ولا ركب لنا دابة ولا نقدر على عزله ونحن نحب صلاح البلد ! فانصرفت مخزية هى وقضيب ، (قلت) : انما لم يرد عليها السلام لوجهين احدهما لاجل مذهبها ، والثاني انما يسلم على المتجالّة (46) وكذلك ما سبها به من قوله يا منيتنة وبقوله لعنك الله ولعن من ارسلك حقّ لانها آذته الا ترى الى قولها المسكينة والى قولها انتهيت من ضربها فاشارت الى جوره ، وان كانت انما نقلت عن قضيب فكانها انما قالت برايها (قال) : وكان عالما باصول الفقه وتوفى وهو قاضي القيروان يوم السبت لعشر بقين من المحرم سنة

---

(43) (43) لعله اسم النائحة ٠

(44) هذا البياض موجود بعدة نسخ من الاصل وهو محل الشرط لولا وحذفه صاحب الترجمة للتهويل وتوكيد الردع ٠

(45) يعنى ان الشيخ المتساهل تتخذون ظهره قنطرة لمآربكم ، ويحتمل ان يكون أصل تحبون تحسبون ٠

(46) العجوز السافرة ٠

سبع وثلاثين وثلاثمائة وقد نيف على التسعين سنة ولم تشب له شعرة (قلت) : قال ابو بكر المالكي كان غرابيا ، وصلى عليه عبد الله ابن هاشم (47) .

١٩٩ ● ومنهم مروان ابن نصر بن حبيب بن نصر بن مروان ابن علقمة الانصارى العابد أبو عبد الملك رحمه الله تعالى

(قال) سمع من عيسى بن مسكين وابن عون والحفري ، وكان من اهل الاجتهاد في العبادة والزهد ظهرت له اجابات ، حلي بالحق وتخلى عن الخلق وتحلى بالصدق ، وكان اذا أخبر بشيء من الدين يبول الدم من الخوف ، وكان حصورا ما اغتسل من جنابة قط ، وبه كان يضرب المثل في عبادته ، قال حماس القاضي ، لا يعدم الناس خيرا وهذا الشاب مروان في الدنيا ، وكذلك كان سعيد بن الحداد يقول ، كان في غاية الزهد والتقشف روى انه لم يكن في غرفته التي ينام فيها غير سدة قصب وتليس خشن ووسادة محشوة بالتبن ، وكان يقول — إذا قيل له في ذلك — انما الراحة في القبر وليتنا كان لنا في القبور مثل هذا ، قد رقد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (48) النعيم غدا والدنيا سجن للمؤمن ، قال سليمان بن عبد الله : دخلت الى مروان فقلت له عرض علي ابن القاضي حجة (يعني ان يعطيه اجرة على ان يحج عنه) فقال لي : ان أنت أخذت الاجرة اشتريت منها جملا بعشرة دنانير وأنفقت الباقي فيموت الجمل في قابس وتمرض انت في طر بلس فيردونك ويرمونك في السجن ! تترك الله عز وجل تحج له وتلبي له وتأخذ من الناس فتحج لهم ؟ لقد خرجت من هذه الغرفة الى مكة بعصا في يدي إلى ان وصلت إلى سقيا

(47) فى ق : زاد غيره ضحى يوم الاحد، قال : وولى القضاء بعده عبد الله بن هاشم.

(48) هنا نقص تمامه فى ق : على دون هذا واثر الحصير فى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يزيد وليس معي غير قيراط فاشتريت به تمرا ورفعنا من سقيا يزيد ، فمات رجل من أهل برقة فأوصاني بأربعة عشر دينار وبغلته وثيابه فقالوا خذها فقلت انا عنها في غنى — وليس معي من الدنيا حبة — فوصلنا الى المدينة فدخلنا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا فقعدت حتى صليت الظهر والعصر والناس في حوايجهم وليس معي ما نرهن ولا نبيع ثم خرجت اريد الرفقة واذا برجل مبيض فعنقني وقال مرحبا ثم أخرج صرة فجعلها في يدي ، فلا أنسى طيب رائحته فالتفت إليه ودعوت له فانفقت منها حتى وصلت إلى هذه الغرفة وتصدقت بالباقي ، قال سليمان فخرجت من عنده الى ابي ميسرة فشاورته في أخذ الحجة فقال لي إن رجلا أتى إلى ابن المنكدر يسأله في أخذ حجة فقال له أما تستحي من الله تبيع الناس أمتعتهم وتبيع انت لبيك اللهم لبيك ؟ وروى أن مروان أشرف ذات ليلة من سطح داره على حارس وهو يراود حدثا عن نفسه والحدث يمتنع عليه والحارس يقول لو نزل الله عزّ وجل ما خلصك مني ! فسقط مروان من قامته الى الارض وهو يدعو على نفسه ! فلما كان في الليلة الثانية تنازع ذلك الحارس مع قوم من الحرس فضربه أحدهم بسكين فقتله ، وروى أبو بكر بن عبد الرحمان عن الشيخ أبي الحسن القابسي ان مغنية بالقيروان كانت مشهورة بالغناء في الأعراس فحضرت يوما في دار بجوار مروان العابد فقام في الليل يصلي على عادته فما قدر من علو صوتها ان يصلي ، فقال : اللهم ارح الناس منها حتى سمع الجيران صوته ، فلما خرجت هذه الكلمة من فيه وقعت المرأة ميتة ، وقال أبو عبد الله ابن أخي مروان بينما انا ليلة نائم إذ سمعنا باب الدار يفتح — يعني دار مروان — فخرجت فوجدته مفتوحا فصعدت الى الغرفة التي فيها عمي فلم أجده ، فاعلمت والدي ، فلما كان بعد هدوء من الليل سمعت الباب يفتح فصعدنا الى الغرفة واذا بالشيخ جالس ، فاقسمت عليه مرارا لتخبرنا القضية ، فقال لنا : كان عندي بسر فحملت منه الى فلان الاسود المقيم بهذا الجبل وهذا كرّاث اعطانيه وكان لمروان اجتماعات بالخضر عليه السلام ، ومناقبه كثيرة (قلت) : تقدمت حكاية رؤياه له في فضل حماس بن

مروان (قال) : وتوفي لعشر خلون من رجب سنة اربعين وثلاثمائة وصلى عليه القاضي عبد الله بن هاشم ودفن بباب سلم وقبره معروف خرج بجنازته عند الظهر فلم يدفن الا عند اصفرار الشمس لازدحام الناس عليه رحمة الله عليه .

٢٠٠ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن اسحاق الجبلى قـاضى بـرقه

(قال(كان رحمه الله فقيهـا صالحا فاضلا (قلت) زاد غيره عالما نظارا حسن الاخلاق سمحا (قال) : ولي قضاء برقة لاسماعيل وكان ابن الكافي عاملا عليها فأتى اليه ابن الكافي فقال له : ان غدا العيد فقال القاضي : ان رئي الهلال الليلة كان ما قلت والا فلا يمكنني ان آمر الناس بالفطر في يوم رمضان واتقلد ذنوبهم ، فقال له بهذا وصل الي كتاب مولاي – يعني اسماعيل – فالتمس الناس الهلال فلم يروه ، فأصبح العامل الى القاضي بالطبول والبنود وهيئة العيد فقال القاضي : والله لا اخرج ولا أصلي ولا افطر في يوم من ايام رمضان ولو علقت بيدي ! فمضى العامل فجعل من خطب وصلى وكتب بما جرى الى مولاه ، فلما وصل اليه الخبر أمر برفع القاضي فلما وصل الى القيروان قال له : اما ان تتصل بنا ونعفو عنك أو نفعل بك ما قلت : فامتنع من الدخول في دعوته ، وقال : افعل ما شئت ، فنصب له صاريا عند الباب الاخير من أبواب الجامع الذي يلي درب الهذلي وعلق بيده اليه في الشمس فأقام كذلك ضاحيا في شدة الحر يومه وليلته فلما كان بالغد (49) مات ولسانه خارج من العطش وهو يطلب من يسقيه الماء فلم يسق خوفا من عامل البلد فلما مات اخذوه وصلبوه بباب أبي الربيع وذلك سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة رحمة الله عليه ورضي عنه .

---

(49) في ق : من العشى .

٢٠١ ● ومنهم أبو الحسن على المؤدب (*) المكفوف الفقيـــه الـــزاهد

(قال) سمع من محمد بن بسطام ، وكان ذا علم وأدب وشكر وذكر وجد واجتهاد وايثار من فاقة وعقل وذكاء وكان حسن التعبير للرؤيا كثير العبادة (قلت) : وقال أبو بكر المالكي : كان ذا أوصاف جميلة معروف بالاجابة متقللا من الدنيا من الموثرين على انفسهم واو كان بهم خصاصة ، وكان عالما باختلاف العلماء واتفاقهم مع المعرفة الواسعة بالنحو واللغة وعلوم القرآن ، وكان حسن التعبير ، ولد أعمى ، انتفع به خلق من الناس ، وكان يقال انه يعرف اسم الله الاعظم ، قال بعض أصحابه كنت اسأله ان يعلمني اياه فيأبى فلما الححت هليه قال : انك لا تقوى على حمله علمته مرة لانسان ومات وهو شاب ، واه كرامات مشهورة واحواله بها مذكورة (قال) كان لا يدخر شيئا لغد يأخذ القوام ويجود بالفاضل ، قال أبو عبد الله الحناط كنت اخدمه فاقام ثلاثا لم يطعم فأردت الانصراف فقال أجلس حتى تتغدى فما كان بأوشك من ان دخل أبو عبد الله السرغيني المتعبد بسكباج وخبز فرن فأكلنا فقلت له : أكنت مع الشيخ في وعد ؟ قال لا والله إلا ان عجلة جاءت من القرية فعملنا منها للشيخ ، وقال الحناط أيضا : تصدق الشيخ بجبته يوما وبقي عريانا فقلت هذا أمر مرفوع عنك لانك في فاقة ! فقال اجلس فليس نصلي حتى يأتي ما هو خير ان شاء الله ، فدخل ابن كندوس المقدم ومعه غلامه يحمل رزمة فيها جبة شرقي دقيقة ومنديل مهلبي وكساء وانصرف ، فقال يا حناط اعطيناه جبة خلق فعوضنا جبة جديدة وزيادة منديل ومئزر ونفقة كبيرة ، وتوفي يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وصلى عليه عبد الله بن هاشم ودفن بباب سلم رحمة الله عليه .

(*) فى ق : أبو على الحسن بن على .

٢٠٢ ● ومنهم أبو حفص عمر ابن محمد بن مسرور العســال الفقيــه

سمع من أبيه وابي بكر بن اللباد وبمصر من ابي بكر بن العلا .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان عالما خيرا فاضلا فقيها ثقة جيد الحفظ مفتي اهل زمانه ذا سمت وصيانة لم يغمض عليه أمر في حداثته ولا في كبره ، وكان الشيخ أبو اسحاق السبائي يحبه ويعظمه ويقوم له دون غيره ، وكان أيضا يقول ما يطيب على قلبي فتيا احد مثل فتيا ابي حفص لأنه كان يشوب فتواه بورع وخوف وشدة مراقبة واشفاق وحذر ، وكان يقول اذا أردت ان ترى العالم العامل فعليك بأبي حفص جمع الله فيه خصال الخير كلها ، (قلت) : ودخل على ابي اسحاق يوما فقام اليه وتلقاه وصافحه وقال له ما الذي اتى بك ؟ فقال ضاقت نفسي واظن اجلي قد قرب فأردت ان اجدد عهدك فقال له أبو اسحاق جمع الله شمل المسلمين بك وابقاك لهم ، وكان ابو القاسم بن شبلون يقول أبو حفص افقه من أبي سعيد ابن أخي هشام وكان أبو جعفر الاجذابي يقول ابو سعيد احفظ وافقه .

(ذكر موته رحمه الله وما يتعلق بذلك)

(قال) ولما مات أبو حفص كان أبوه يقرأ حزبه في المصحف فقال رحمك الله يا ولدي فلقد كنت صواما قواما حافظا لكتاب الله عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد طمعت ان أكون في صحيفتك فالحمد لله الذي كنت في صحيفتي ، ثم اقبل على قراءته (قلت) أصل هذا الكلام عن الشيخ ابي الحسن القابسي وفي نقل الشيخ له بتر ، قال القابسي : دخلت على ابى عبد الله محمد العسال وابنه أبو حفص في النزع وهو جالس وفي يده جزء من القرآن وفي المجلس ابو سعيد بن اخي هشام ، وابن التبان ، وابن ابي زيد ، والشيخ على حاله يقرا حزبه بحذاء طاق في داره ثم يحول وجهه اليهم فيقول :

كيف رأيتم ابا حفص ؟ فتقول الجماعة بخير ان شاء الله الى ان مات فرحموا وسكتوا فحول الشيخ وجهه وقال : مات ابو حفص ؟ قلنا نعم اصلحك الله وجبر مصابك ، فثنى الجزء ولم يطبقه ثم حول وجهه اليه وهو جالس في مكانه فقال رحمك الله يا بني فلقد كنت صواما الى آخر ما تقدم وزاد قبل قوله ثم اقبل على قراءته فأخذوا في غسله وشأنه وهذا غاية الامتثال في الصبر لقضاء الله تعالى وقدره ، وفي صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : الصبر عند الصدمة الاولى ، وقال الله تعالى : « ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون » وقال ابو القاسم بن شبلون لما مات ابو حفص وغسل وكفن وابوه ابو عبد الله حاضر ومن تقدم ذكره وأبو الازهر بن معتب وغيرهم من أهل العلم قال قائل لابيه ما أعظمها من مصيبة قال له لا تفعل ثواب الله خير منه ولقيه المهدي فقال : عظم الله المصاب بأبي حفص فقال ثواب الله خير منه ثم قال ابوه : رحمك الله يا أبا حفص فلقد كنت مباركا علينا في دنيانا وفي اخرانا اما دنيانا فكان يجري قوتنا على يديه واما اخرانا فكنت اقول لعلي اكون في صحيفتك فقد صرت في صحيفتي (قال) : ولما مات كتب ابو اسحاق السبائي لابيه : انت كنت تريده للدنيا وانا كنت أريده للاخرة فانا احق منك بالتعزية فيه وتوفى نصف شعبان سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وصلى عليه ابوه ودفن بباب أبي الربيع وهو ابن ست واربعين سنة (قلت) وقال أبو بكر المالكي توفى وسنه نحو اربعين سنة ولم يذكر عياض غيره .

٢٠٣ ● ومنهم أبو بكر محمد بن مسعود (*) التميمى امام الجامع بالقيروان

(قال) سمع من جبلة بن حمود وغيره ورحل الى المشرق فسمع من جعفر

(*) فى ق : سعدون وهو الصواب لذكره بذلك كثيرا فى هذه الترجمة وغيرها .

ابن محمد بن عبد السلام البزار وغيره ، وسمع منه جماعة من الناس ، وكان فقيها صالحا عابدا ذا حج ورباط وسياحة كريم الاخلاق له مروءة وتواضع ، طلب العلم وجود القراءات وكتب الحديث ولقي الناس بالمشرق والمغرب وسكن قصر ابي الجعد وكان يقيم به ثلاثة اشهر ويرجع الى أهله بالقيروان فيقيم عندهم ثلاثة اشهر ، قال سعيد الاندلسي الفقيه وكان فاضلا كنت مع ابي هارون الاندلسي وابي العلاء الاندلسي وابي بكر بن سعدون في قصر لمطة في بيت فخرج ابن سعدون في ليلة مظلمة وخرجت بعده واذا به قائم في وسط القصر يدعو ونور ساطع قد جلله من اعلاه الى اسفله ورأيته قد رفع يديه بالدعاء والنور يخرج من بين اصابعه ومن أطراف انامله كالمصابيح ، وكان رحمه الله يتمثل ويقول :

اذا القوت تاتى لك والصحة والامن
واصبحت ذا حزن فلا فارقك الحزن

ومن قوله :

سجن اللسان هو السلامة للفتى من كل نازلة لها استئصال
ان اللسان اذا حللت عقاله القاك في شنعاء ليس تقال

ومن قوله رحمه الله :

الخير اجمع في السكوت وفي ملازمة البيوت
فاذا تهيا ذا وذا فاقنع اذن باقل قوت

(قال) قال ابو الحسن الزعفراني حضرت مسجد السبت ومعنا فيه ابو بكر ابن اللباد الفقيه وابو بكر بن سعدون الامام فقال بعض القوالة .

لا يشغلنك عن حبيبك شاغل فإذا فعلت فان حبك باطل

فتحرك محمد بن ابي سهل الصوفي وكان خيرا واستغرقه الحال فما بقى احد بالمسجد الا بكى لصدقه في حركته ونظرت الى ابي بكر بن اللباد وان دموعه

لتنجدر على لحيته والى ابن سعدون وقد علا نحيبه ، توفي ابو بكر سنة اربع وأربعين وثلاثمائة ، (قلت) وقيل سنة خمس ، (قال) : وهو ابن ست وسبعين سنة ودفن بباب سلم رحمه الله (قلت) : وكان ابوه سعدون رجلا صالحا غزا سردانية وشق سماط القيروان راكبا فرسا يحرض الناس على الجهاد واستشهد رحمه الله تعالى بسردانية .

٢٠٤ ● ومنهم أبو بكر محمد ابن الفتح المؤدب (*) المعروف بابن الصواف

المقري قال سمع من فرات بن محمد وابى الفضل السوسي وغيرهما قال ابو بكر المالكي وكان على هدى وسنة مجانبا لاهل البدع فاضلا صالحا حافظا مجودا للقرآن حسن اللفظ به جدا (قال) وام الناس بجامع القيروان وتوفي في ذي الحجة سنة اربع واربعين وثلاثمائة وقيل بل توفي سنة خمس (قال) وصلى عليه عبد الله بن هاشم القاضي ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

٢٠٥ ● ومنهم أبو جعفر أحمد بن اسماعيل الخطيب امام جامع القيروان

(قال) : كان فاضلا (قلت) : زاد غيره رجلا صالحا (قال) : عرض له بلغم وهو يخطب على المنبر وقد بلغ من الخطبة الى قوله : اوصيكم عباد الله بتقوى الله فأسكت وانزل من اعلى المنبر محمولا فمات ليلة السبت بعد صلاة المغرب (قلت) : واتم الخطبة ابو الحسن بن شعبان الامام وصلى بالناس وظاهر هذا اللفظ يقتضي انه بنى على ما مضى من خطبته الاولى وهذا واضح ولا يختلف فيه

(*) انظر ترجمته بصحيفة 36 فكان هذه مكررة معها غير ان تاريخ الوفاة مختلف والظاهر ما تقدم .

وانما الخلاف اذا عزل هل الحكم كذلك او يبتدىء القادم على قولين ، ودفن ابو جعفر يوم السبت عند صلاة الظهر في الوقت الذي كان يخطب فيه بالناس ، (قال) : وكانت وفاته في رمضان سنة خمس واربعين وثلاثمائة وصلى عليه عبد الله بن هاشم ودفن بباب ابي الربيع رحمة الله عليه ورضوانه لديه .

٢٠٦ ● ومنهم أبو العباس الفضل ابن نصر الباهى (*) المعروف با بن الرايس

(قال) : كان فقيها صالحا يميل الى مذهب الشافعي والى النظر والحجة ، (قلت) : وقال ابو بكر المالكي كان عالما بمذهب الشافعي وهذه العباراة ليس فيها ما يدل على انه يميل الى مذهب الشافعي فهو عالم بمذهبه فقط ولا يلزم من ذلك ان يميل اليه فهو خلاف ما ذكر الشيخ والله اعلم ، وقد كان الشيخ ابو بكر الباقلاني مالكي المذهب وكان يقري الاربعة مذاهب ويذكر كل مذهب وحجته ثم يرجح مذهب مالك ، (قال) : سكن سوسة ثم انتقل منها الى القيروان وكان له حظ من قيام الليل كان يصلي كل ليلة بثلث القرآن يختم القرآن في ثلاث ليال ، وكانت له همة ورئاسة بالقيروان وحسن هيئة ، وله شعر رايق وأدب عظيم وله مراثي رثى بها ولده — وكان فقد بالجزيرة — وله مخاطبات (قلت) : وقال ابو بكر المالكي وكتب له بعض اخوانه يعزيه في ابن له قتل في ناحية الجزيرة فكان في بعض جوابه وصل كتابك يحرك (50)شوقا الى رؤيتك ، ويهيج صبابة الى الاجتماع بك ، واعلن (51) الي عذر الدار وبعد المزار شخصك ، وصور لي على بعد المسافة بيني وبينك تمثالك ، وقفت على ما وعظت وعزيت عليه فنبه مني غفلة ، وايقظ مني رقدة ، وذكّر قول ابي بكر بن حماد :

(*) هذا اللقب ساقط من ق : وفيها زيادة الفقيه العابد ٠

(50) (50) في ق : يجدد ٠

(51) ق : وخيل ٠

وهون وجدى انني بك لاحق　　وان بقائي في الحياة قليل
وان ليس يبقى للحبيب حبيبه　　وليس بباق للخليل خليل
ولو ان طول الحزن مما يرده　　للازمني حزن عليه طويل

وما ذكره المالكي من كون ولده قتل هو اخص من قول الشيخ فقد قال :
وله معاتبات بينه وبين الفقيه ابي العباس الابياني منها :

ماذا تريك حوادث الازمان　　وصروفها وطوارق الحدثان
والجاريات السبع في الفلك الذي　　يجري بتقدير العظيم الشان
من خفض اعلام ورفع معاشر　　وزوال سلطان الى سلطان
واشد ما القي وانضج للحشا　　عدم الوفاء وجفوة الاخوان
اما الزمان فواعظ لك صرفه　　لو كنت متعظا بصرف زمان
هذا ابو العباس واحد عصره　　وفقيهها والفايت الاقران
انبت به اخلاقه عن وصلنا　　وسلامنا في السر والاعلان
اني اتيتك شاكيا ومخبرا　　اشكو اليك حوادث الازمان

قلت ومن شعره أيضا

بلغ الوشاة علي حيث أرادوا　　والله يسألهم وما قد كادوا
والله يعلم انني ما قلت ما　　قال الوشاة تافكا واعتادوا
فهب الوشاة اتوا بامر بين　　اين الكرام ! أبدلوا ام عادوا
عفو الملوك عن الذنوب مدايح　　مدحوا بها في نفسهم واجادوا

(قال) : توفي سنة اربع واربعين وثلاثمائة وصلى عليه القاضي عبد الله بن هاشم ودفن بباب سلم رحمة الله عليه (قلت) : وقال غيره : توفي يوم الاثنين لست بقين من شهر رمضان سنة خمس والصحيح هو الاول لقول المالكي توفي سنة اربع .

٢٠٧ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن قاسم بن مسرور التجيبى المعروف با بن الحجام (*)

(قال) : سمع من محمد بن سحنون وعيسى بن مسكين واحمد بن ابي سليمان ومحمد بن بسطام وسعيد بن اسحاق وفرات بن محمد وغيرهم وسمع منه أهل مصر والاسكندرية وطرابلس والاندلس وافريقية (قلت) منهم أبو محمد بن ابي زيد وأبو الحسن القابسي ، (قال) : كان عالما صالحا ورعا ذا سمت وخشية غزير الدمعة فاضلا مجانبا لاهل الهـواء والبدع لا يرد السلام عليهم مهابا في نفسه لا يكاد احد ينطق في مجلسه بغير الصواب امتحن في شبيبته على يد محمد بن عمر المرودي ثلاث سنين واراد قتله فنجاه الله منه وذلك لصرامته فى الحق ، روي ان بعض اخوانه اشترى له جارية وادخلوها عليه فلما كان في الليل أخذ في الكتب فكتب الليل كله ولم يلتفت اليها ثم كذلك نحوا من شهر ، فلما طال ذلك عليها قالت له : ان كنت لا تصل الي وليس لك فيّ غرض فبعني ! فقال : من انت ؟ قالت : جاريتك فلانة فقال لها انا ما اشتريت جارية ولكن امض الى الذين اشتروك يبيعونك ، ففعلت ، قلت : ناقل هذه الحكاية ابو بكر بن عبد الرحمان فذكر ان اهله اشتروا له جارية وانهم زينوها له وهذا اخص من اسقاط الشيخ تزيينها ومحل تدخيلها عليه انهم وهبوها له وعرفوه بذلك والله اعلم ، (قال) : وربما كان يصنع له مطر (52) من الحبر من كثرة كتبه ، ولم يتزوج ولم يتسرّ (53) حتى مات

(*) فى هذا العنوان خلافان مع ق : ابن قاسم ـ عوض ابن هاشم وابن الحجام ـ عوض ابن الحجاج ـ وما بالاصل غير صواب لان الاول يلتبس بابن هاشم القاضى الاتية وفاته سنة 363 وابن الحجاج لا وجود له وانما هذا ابن الحجام اخذت عنه سماعات منها سماع هاشم العسال الآتى قريبا فالمرجع انه هذا بشهادة النسخة الصحيحة .

(52) المطر مكيال للسوائل كان لعهد قريب يستعمل فى كيل الزيت وقدره 30 ليترة .

(53) لم يتخذ السرارى وهن الجوارى .

شهيدا بحرق النار ، وذلك انه كان اصطلى ونعس فالتهب النار في ثيابه حتى احترق جسده كله الا موضع السجود منه ، وله تاليف في أنواع العلوم واقتنى كتبا كثيرة من جميع العلوم وزنها سبعة قناطير كلها بخطه حاشا كتابين (قلت) : قال الشيخ ابو الحسن القابسي : فكان لا يحتمل ان يراهما من اجل انهما ليسا بخط يده ، (قال) : وحبس جميعها فلما توفى اخذ أكثرها السلطان اذ لم يكن له عاصب ولم ينتفع الناس منها الا بما كان وهبه لابى محمد بن ابي زيد وذلك مقدار الثلث (قلت) : هذا كلام فيه اجمال وبسطه ـ كما قال المالكي ـ انه كان اشير عليه ان يحسبها وان يبعث بثلثها الى ابي محمد بن ابي زيد وبثلثها الى فلان وبثلثها الى آخر خوفا من السلطان ان يأخذها ففعل ، ثم اصبح فقال ما نمت البارحة لما فقدت كتبي ! ردوها علي ، فردوا عليه الثلثين ولم يبق الا ما اخذ منه ابن ابى زيد انتفع الناس به واخذ الامير الثلثين اللذين كانا عنده حين موته (قلت) ومحمله انه لم يبت بتحبيس الثلثين وانما بعث بذلك ليشهد بتحبيسهما فلم يعزم على ذلك وردهما وبتل (54) ما حبسه على ابن ابي زيد ، وتعبير الشيخ بالهبة مغاير للفظ التحبيس لان الهبة يجوز له معها ان يبيعها وينتفع بثمنها بخلاف التحبيس ، وذكر عنه انه انتظر يوما رجلا في حضور السماع فطال الانتظار فقال ابو القاسم الفزاري الشاعر اصلحك الله حضرني بيت من الشعر تسمعه ان شئت ؟ فقال نعم فانشده :

مثلٌ جرى في الناس ليس بقاصر — جوع الجماعة في انتظار الواحد

فأمر بالقراءة ، وقد كان نبذ جماعة من اصحابه لاشياء اطلع عليهم فيها وكتب عليهم سجلا يقول فيه : يشهد من يتسمى في هذا الكتاب ان عبد الله بن مسرور اشهدهم ان فلانا وفلانا كانوا يأخذون عني شيئا من العلم وسألوني ان اجير لهم كتبي ففعلت ، فاشهدوا عليّ اني رجعت فيما رووا عني وعن اجازتي لهم كتبي لما ظهر فيهم من سوء حالهم وكذا وكذا ، قال عياض مثل هذا لا يضر

(54) امضى .

الرواية ، وقد فعله بعض من لقيناه ببعض من سخطه من أصحابه ولعله لم يخف عليهم ان الرجوع فيه لا يصح لكنه كالردع والتجريح بمثل هذا ، (قال) : وتوفى ليلة الجمعة لاربع بقين من ذي الحجة سنة ست واربعين وثلاثمائة ودفن بباب سلم قرب شقران وابى ميسرة رحمة الله عليه .

٢٠٨ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن مسرور العسال رحمه الله

(قال) : سمع من يحيى بن عمر واحمد بن معتب وعبد الجبار بن خالد ومن أخيه عمر بن العسال وغيرهم ورحل الى المشرق فسمع بمصر من علي بن عبد العزيز المديني وغيره وأخذ عنه الناس (قلت) منهم الشيخان ابو محمد بن أبي زيد وابو الحسن القابسي (قال) : وكان من أهل العلم والعبادة كثير الصوم يختم كل ليلة ختمة وكان فاضلا جليلا ، (قلت) : وقال غيره كان زاهدا وشهر بالخير والصلاح واجابة الدعاء ، وكان الناس يقصدون اليه ويطلبون منه الدعاء ويتبركون بلقائه ورؤيته ، (قلت) : وتقدم كمال صبره في موت ولده مفتي الوقت ابي حفص عمر وفي ذلك كفاية في كمال فضله ودينه ، (قال) : وكان جميع اهل داره عبادا كلهم لهم صلاة بالليل ، (قلت) : ظاهر هذا اللفظ يقتضي ان أهل داره يقومون بعض الليل لا كله — ويأتي من نقله ما يرده — وهو خلاف قول عياض كان يقوم الليل كله وكل من في داره ، (قال) : قال الشيخ ابو الحسن القابسي باع الشيخ خادما اعجمية فهربت من دار مشتريها اليه وقالت : بعتني من قوم لا يصلون بالليل اظنهم يهودا — اذ كان كل من بداره يقومون الليل قوم بعد قوم لا تهدأ لهم جرارة (55) بالليل اجمع — (قال) : وتوفى ليلة السبت لثلاث بقين

---

(55) الجرارة البكرة التى تدير حبل البئر يعنى انهم ينامون ويقومون بالتناوب وكل من قام منهم عمد الى البئر للطهارة فلا تهدا جرارته لذلك

من ذي القعدة سنة ست واربعين وثلاثمائة (قلت) : وهو ابن ست وتسعين سنة .

(قال) : وصلى عليه عبد الله بن هاشم ودفن بباب ابي الربيع ، (قلت) : وقبره مزار معلوم وعرفني من نثق به عن المرابط ابي سعيد الكنايسي – وكان جيدا – انه قل : بينما انا بقرب حوطة الشيخ ابي عبد الله محمد العسال اذ أغارت عليّ خيل (56) من العرب فبادرت للحوطة ، وقلت : الدخيل يا سيدي محمد العسال فبادرت الخيل اليّ فلم يروني وانا اراهم فقال بعضهم رأيته في هذا المكان وعمل بركيز مزراقه فجاء على خدي وانصرفوا عني ولم يروني .

٢٠٩ ● ومنهم عمرون بن مسرور العسال أخو أبى عبد الله

(قال) : كان شيخا متعبدا فاضلا سمع من يونس بن عبد العلاء (57) ومحمد بن عبد الحكم وسمع منه اخوه ابو عبد الله توفي قديما .

٢١٠ ● ومنهم هاشم ابن مسرور العسال أخو أبى عبد الله عمرون

(قال) : كان ثقة كثير الصلاة ملازما للمسجد وكان من أجل ذلك يسمى حمامة المسجد وهو الاوسط من اخوته سمع من أحمد بن يزيد وعبد الرحمان ابن محمد التوزري وكان يميل الى الحديث سمع منه ابو محمد بن الحجام وتوفي قبل اخوته رحمة الله عليه .

---

(56) مخرج مزيد على الأصل بعد كلمة اذا أغارت على خيل من العرب فبادرت للحوطة وقلت : الدخيل يا سيدى محمد العسال فبادرت الخيل الخ ·

(57) ق : عبد الاعلى ·

٢١١ ● ومنهم أبو حفص عمرون (*) ابن خيرون

(قال) : كان رجلا صالحا ثقة من أهل العلم والتقى ، له افعال جميلة وأحوال سنية كثير المعروف والصدقة له اشارة ، سمع من موسى القطان ومحمد بن بسطام وغيرهما توفي ليلة الاحد السادس من رمضان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة وصلى عليه عبد الله بن هاشم القاضي ودفن بالرمادية رحمه الله .

٢١٢ ● ومنهم أبو ابراهيم أحمد ابن محمد بن أبى الوليد

(قال) : كان صاحب مظالم القيروان والحاكم بها ايام ابي يزيد وذلك ان ابا يزيد خير أهل القيروان من ينصبون لاحكامهم الشرعية ؟ فاتفقوا على ابن ابي الوليد لدينه وفضله ، وكان أيضا يتولى الصلاة والخطابة بالجامع الاعظم بالقيروان وكان خطيبا بليغا ورجلا صالحا عدلا في احكامه ، (قلت) : وتقدم ما خطب به حيث حث الناس على جهاد من كان بالمهدية وذلك يكفي في معرفته وفصاحته وكونه لا تأخذه في الله لومة لائم ، (قال) : وكان أبوه رجلا صالحا عدلا امام الجامع في زمان ابراهيم بن ابراهيم (58) توفي ابو ابراهيم سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ودفن بباب سلم ، وكان يلبس السواد ويخضب بالحناء .

٢١٣ ● ومنهم أبو يوسف حجاج ابن أبى يعقوب السرتى (**) رحمه الله

(قال) : عمله الفقر الى الله تعالى والنصيحة في ذات الله وموت النفس واستصغار

(*) فى ق : عمر بن خيرون الفقيه .

(58) ق : بن احمد قلت : وزيادة الله ، قال .

(**) زياة فى ق : الدقاق القيروانى من خيار عباد الله . ملحوظة : سنة 16 قم على رجليك واخذ بطبعيه (اى قصبه) فاقامه على رجلية واعطاه دراهم الخ .

الدنيا ، ظهرت له اجابات وكرامات انتقل من القيروان الى مصر فمات بها ودفن بالمقطم وذلك سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، وكان سبب موته انه سمع قارئا يقرأ آية الكرسي فلم يزل يرددها وهو يبكي حتى حمل الى بيته ففاضت نفسه ، وقال بن حبان ما كنا نظن افريقية اخرجت مثل حجاج في يقينه وثقته وتصحيح معاملته ، وقال شهدت حجاجا وقد مرّ بشاب وهو مريض يزحف من شدة العلة لا يستطيع القيام فوقف عليه وقال له من أين انت يا شاب ؟ قال من مدينة القيروان اعتللت فاقعدت وانا كما ترى في فاقة ، فمسح وجهه بطرف ردائه وقبله بين عينيه ولحظ السماء بطرفه وقد بدرته عبرة وقال الاهي ما عسى ان اصنع يا مصرّف الدهور بمشيئته ؟ ثم اشار حجاج الى الشاب فقال له جئني بقصبة فاتاه بها فقال للشاب المقعد قم على رجليك واخذ بقصبه فأقامه على رجليه واعطاه دراهم كانت معه وقال له امش فمشى ونحن ننظر اليه ، وقال ابو جعفر بن القطان ان حجاجا قيل له في علته التي مات بها ما تشتهي ؟ قال : الله ! وخرجت روحه ، فرأيته في المنام بعد موته فقلت له يا ابا يوسف كيف حالك ؟ وعلى ما قدمت ؟ فضحك وقال لي : ما الأ مر الاسهل ما رأيت شيئا مما كنت اخافه بحمد الله ، وقال غازي المتعبد : حججت وانا شاب فلما وصلت الى مصر دخلت جامع عمرو بن العاص — وانا جائع — فركعت ركعتين فقلت في نفسي والله ما اشتهيت الا جردقا وجبنا آكل منه حتى اشبع ! قال فبينما انا جالس اذ دخل حجاج فركع الركعتين الى جانبي فلما سلم اقبل علي وسلم فرددت عليه السلام فقال تحب تأكل شيئا ؟ فلم اجبه فقام مبادرا فأتاني بجردق وجبن فوضعه بين يدي وقال لي في أذني كل شهوتك وقام الى عمود يصلي رحمة الله عليه ، (قلت) : سلامه عليه وهو جالس بحذائه فيه نظر وقد حدثني من اثق به ان الشيخ ابا عبد الله محمد بن عبد الرحمان الرماح افتى بانه بدعة وان السلام على من يمشي يمر بغيره (59) الا ان يحمل

(59) رحمك الله يا ابن ناجى ما اولعك بالنقد ! والا فان الرجل ما زال فى حكم الماشى لكونه تأدب مع رب البيت فاشتغل بتحية المسجد قبل السلام على الناس فما فرغ

قوله فسلم اي قال له على السلامة فرد عليه بما جرت به العادة والله اعلم .

٢١٤ ● ومنهم أبو اسحاق ابراهيم ابن أحمد السبائى الزاهد

(قال) : سمع من ابي جعفر احمد بن عبد الرحمان القصري — وعليه كان معتمده — ومن احمد بن نصر ، ومن محمد بن مرزوق الطيار ، ومن ابي اليسر تونسي (قلت) : واسمه مطر بن بشار ،

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان اوحد زمانه ورعا وزهدا وعقلا ، يوالي في الله ويعادي في الله ، قويا في ايمانه جلدا في نفسه ، نزيه النفس كثير الجد والاجتهاد ، سريع الفهم فيما ظهر من العلم ، له كرامات كثيرة واستجابات (قلت) : هذا كلام ابى بكر عتيق بن خلف صاحب الافتخار ، وقال ابو عبد الله الخراط كان من اولياء الله المعدودين الذين ينزل من دعائهم القطر وتظهر عليهم البراهين ، وقال ابو بكر المالكي : كان رجلا صالحا فاضلا مشهورا بالعبادة والاجتهاد ، كثير الورع وقافا عن الشبهات ، رقيق القلب غزير الدمعة مجاب الدعوة حسن الاخلاق جميل الادب طلق الوجه ، مباينا لاهل البدع شديد الغلظة عليهم قليل المداراة لهم ، ولقد كان من بالقيروان من أهل الدين والعلم انما ينظرون اذا نزلت المعضلات الى ما يفعل ؟ فان اغلق بابه فعلوا مثله ، وان فتح بابه فتحوا ، وان نطق وتكلم تكلموا مثل كلامه لتقدمه عندهم ومكانه من الفضل والعلم مع المعرفة بمحنة الوقت وكيف تُلقى الحوادث ، وكان ابو محمد بن ابي زيد يصفه بكثرة العلم والعقل ويقول : ما هذا الذي نحن

منها سلم عملا بحديث « يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد » ٠
فتبديعه هو الذى فيه نظر ٠

فيه الا من بركته ، وقال ابو الحسن القابسي : ما انتفعت الا بدعاء ابي اسحاق ! قال لي : أعلى الله قدرك في الدنيا والآخرة ، وقال احمد بن نصر : لا تعارضوا ابا اسحاق السبائي فلو وزن ايمانه بايمان اهل المغرب لرجحهم وسئل ابو محمد بن ابي زيد فقيل له : اصلحك الله هل تعرف احدا في اقطار الارض يشبه ابا اسحاق السبائي فقال اما في ايمانه فما علمت احدا يشبهه — فيه يعنى في وقته — وقال ابو الحسن علي بن عبد الله القطان ما قلدت ابا محمد بن ابي زيد حتى رأيت السبائي يقلده وقال الاجذابي : بلغني عن بعض العلماء انه كان يقول بالقيروان رجلان يدعى كل منهما باسم صاحبه ، وهما ابو الحسن الدباغ ، وابو اسحاق السبائي يقولون ان الدباغ عالم وهو أولى بان يسمى عابدا لكثرة حنانه وسمته وسكوته ولينه ووطائه وعلمه ، وابو اسحاق يسمى عابدا وهو اولى بان يسمى عالما لانه كان يدري العلم ويعرفه ويتذاكر العلماء بحضرته وفي مجلسه ابن أبي زيد — وهو الملقى عليهم — وابو القاسم بن شبلون وابو الحسن القابسي وسعيد بن ابراهيم وغيرهم كل من يعرف مسألة كان يحضر مجلسه ، وذلك لما منعوا من المواعيد والفتوى فاذا تنازعوا فصل بينهم بأمر يرجعون كلهم اليه ، (فان قلت) ، قد تقدم ان ابا اسحاق يقلد ابا محمد بن ابي زيد والى ذلك اشار فيما تقدم من كتبه الى ابي عبد الله محمد العسال — لما مات ولده ابو حفص عمر — انا احق بالعزاء منك فيه لاني كنت اريده للاخرة وانت كنت تريده للدنيا ، وهذا ينافي ما تقدم الآن من كون اهل درسه اذا وقفوا في امر فصل بينهم بما يرجع جميعهم اليه وفيهم ابو محمد ابن ابي زيد (قلت) : لا منافاة والاصل هو الثاني واستفتاؤه من ذكر فيما ينزل به انما هو على طريق الورع وذلك ان الانسان في خاصة نفسه قد لا تطيب نفسه بما يظهر له حتى يسأل عنه غيره ، وهذا يجري لي كثيرا ولا ابلغ معشار معشار السبائي لا في الورع ولا في غيره والله سبحانه اعلم .

(ذكر ورعه ومكاشفته)

قال ابو الحسن علي بن محمد الدباغ ما جعل الورع الا لرجلين ابي اسحاق السبائي وابي الحسن ابن الحلاف ، ودخل ابو اسحاق حمام الجزارين ثلاث مرات ثم ذكر ان فيه سهما محبسا على قصر سهل فقال لابي القاسم الشواذكي اذا مضيت فخذ نصف درهم واشتر به زيتا للقصر ، وقال ابو الحسن القابسي كنت جالسا في يوم عيد بين يدي ابي اسحاق السبائي مع اصحابنا والناس يزدحمون فوجا بعد فوج يصافحونه ويتبركون بدعائه فقلت في نفسي ترى ان كان في قلب الشيخ شيء من كثرة الناس عليه ؟ فقال في فوره : ما كان ذلك الا مرة واحدة من الشيطان فزال والحمد لله ، قال فقلت في نفسي : الشيخ يتكلم على الخاطر كما يذكر عن الاولياء ، فقال : « ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » ، قال فدخل بعضي في بعض ووددت اني لم اخلق حياء وحشمة واعتمدت توبة وقلت : والله لا ظننت بالشيخ سوءا ابدا فقال : (الا من تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ، (قلت) : في كلامه بتر لان السبائي ما اجابه اولا — لما وقع في خاطره ما وقع — حتى حول وجهه اليه وقال يا ابا الحسن : ما ارى دخول من يدخل الا كدخولهم الى المسجد يصلون ويخرجون ثم عاوده ذلك الخاطر وقال : يا ابا الحسن ما كان ذلك الا مرة واحدة فتحويل وجهه اليه ومناداته بكنيته اخص من ترك ذلك (قال) : وقال ابو محمد ابن ابي زيد كنا اذا اردنا الدخول الى ابي اسحاق السبائي يقول بعضنا لبعض تعالوا نجدد توبة قبل الدخول اليه خوفا ان ينطقه الله علينا (قلت) : ودخل عليه رجل في جملة الناس من المشارقة فلما دخل وسلم رفع الشيخ رأسه وقد احمر وجهه وقام شعره وقال : الشيطان في داري ثلاث مرات ففر المشرقي .

(ذكر عبادته رضي الله تعالى عنه)

(قال) : قال ابو عبد الله محمد بن ابي بكر ابن أخي مروان اقام الشيخ ابو اسحاق ثلاثين سنة يصلي الصبح بوضوء العتمة وكنا

نأتي الى المسجد الذي عند داره فنجده وقد اربد (60) وجهه من القيام ، وقال ابو محمد بن ابي زيد دخلنا على ابي اسحاق وهو يتوضأ فسلمنا عليه ودخلنا البيت ، فبعد برهة دخل فسلم علينا وجلس فقال لنا أي وقت جئتم فقلنا له اصلحك الله منذ ساعة وقد سلمنا عليك وانت تتوضأ ، فقال : والله ما شعرت بكم تفكرت في الطهارة وما خاطب الله به المؤمنين وانها متصلة بالوقوف بين يديه ، (قلت) : ودخول ابي محمد ومن معه بالاذن العادي اذ داره في بعض الاوقات كالمسجد ، واشار بقوله وما خاطب الله به المؤمنين يعني بذلك قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية) ، فكان اذا أراد ان يتوضأ يتلو الآية ثم يقول نعم يا رب ! ويكرر ذلك ، واعجباه اذا كانت هذه حالته في وضوئه لم يشعر بجماعة وقفوا عليه وسلموا عليه فكيف يكون حاله في صلاته وهو يتلو القرآن العزيز ؟ فصلاته وصلاة أمثاله هي التي قال الله عز وجل فيها : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » واما صلاتي انا وصلاة امثالي فهي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله الا بعدا ، فنسأل الله عزّ وجل ان يرزقنا التذلل والخضوع بين يديه انه ولي ذلك والقادر عليه .

(ذكر اجابة دعائه بالرقى).

قال ابو بكر المالكي يدعو لمن عمى فيبصر ، وعلى من ظلمه وآذاه فيهلك من يومه ، ومن ضغطه امر فيفرج عليه ، ويدعو على من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيهلك (قلت) : وشاهدنا هذا منه في زماننا على صفة ما نذكره ، فكان عندنا رجل يقال له ساسي الزوار يزور الناس لقبور الصالحين — من الغرباء وغيرهم — ويعرفهم بفضائلهم ، وهو الذي عرفني بقبورهم وكان غير مخاطب فلا يصلي وماله تحت يد القضاة ومع هذا اوقفه الله في هذه

---

(60) ق : اصفر ·

الطريقة وكان لا يقرأ وعنده تأليف الشيخ ابي زيد عبد الرحمان الدباغ الذي جعلته اصلا لهذا التأليف في سفر فإذا اخذه انسان ممن يحضره ويقرأ منه فضل شيخ أو أكثر يبقى هو يقرأ معه من التكرار على سماعه ، واذا وقف في حرف رد عليه ، فعمي الرجل في آخر عمره وداواه الحاج ابو اسحاق ابراهيم بن مزغيش الطبيب بما يعرف فلم ينتفع بشيء ، وكذلك داواه غيره من العامة لمحبة الناس فيه لانه خديم المشيخة رضي الله عنهم فلما طال امره وفقه الله الى ان قال لهم : دلوني على قبر الشيخ ابي اسحاق السبائي فقال ما معناه : يا أبا اسحاق اليس اني خديمكم وازور الناس اليكم ؟ ومن فضائلك انك تدعو لمن عمي فيبصر وانا عميت ! وردوه الى القيروان يقاد كما كان ثم ابصر من الغد وصار لا يقاد ، قال الشيخ ابو محمد ، كان السبائي مستجاب الدعاء ، وذلك انه كانت لي بنت اصابها في عينها شيء فكرهت المشي بها الى ابن اعين الطبيب ، فأخبرت الشيخ بذلك فقال لي اتركها وانا أرقيها من ها هنا فما زال يرقيها وهو في داره وهي في دارها حتى ذهب ما كان في بصرها ، (قلت) : زاد غيره : في ثلاث ، وأراد كراهة السير بها لاطلاعه عليها كما صرح به في نقل غيره ، وانه قال له اولا ابعث بها ارقيها ثم رجع وقال من ها هنا ارقيها ، وقال ابو محمد : وكانت عندي طفلة استرخى وركها ، فمضت بها امرأة اليه فرقاها فرجعت صحيحة ، وقال ابو بكر المالكي : قيل كان موسى اليهودي عند معد (61) وعنده وجوه رجاله ، فقال له معد رجل في بيت من قصب يقرب الفحص يشتمنا وما قدرنا له على شيء فقال له رجل : من هو يا مولانا نقطع رأسه ، فقال : معد اسكت يا عبد السوء ! فقال موسى اليهودي لمعد : انك لن تطيقه ! فسكت عنه معد فلما خلا بهم المجلس قال معد لموسى اليهودي : ماذا الخطاب الذي خاطبتني به ؟ فقال له نعم انا اخبرك : انه كان عندي ابنة وكان بعينيها بياض فما بقي شيء مما امر به الاوائل الا وقد عملته لها

(61) هو المعز لدين الله العبيدى فاتح مصر والمنتقل اليها .

فلم تنتفع بشيء منه ، حتى اني وجهت الى مصر فاشتريت مثقالا توتتا بمائة مثقال ذهبا وعملتها لها فكانت لا تبصر ، وكانت تدخل الينا امرأة من المسلمات فقالت اعطوني هذه الصبية امضي بها عند السبائي فمضت بها اليه فرقاها في جملة من يرقي فجاءت وهي تبصر وزال ما بها في الوقت ، (قالت) : ودخلت علقة في فم صبي بدوي فعاناها الطبيب بما قدر لعلها ان تخرج فلما اعياه قال له : ما هذه في استطاعتي فامض بابنك الى السبائي لعله يدعو له فيفرج الله عنه ، فسار اليه فاخبره بقصته والناس وراءه ثم حرك شفتيه وقال للصبي تقدم وقرأ على فيه واوما بيده الى العلقة فسقطت من فيه ، وكان يرقي الناس الذين يأتون اليه جملة ويجد كل انسان منهم برء نفسه على وجهه ، قال الشيخ ابو القاسم ابن شبلون كانت رقيته بالحمد لله رب العالمين وقل هو الله احد والمعوذتين كل ذلك سبعا ثم يقول في آخر دعائه ببغضي في عبيد وذريته وحبي في نبيك واصحابه واهل بيته اشف كل من رقيته .

(ذكر اجابة دعائه بغير الرقى).

(قال) : قال أبو محمد ابن ابي زيد : وقع قط في بئر ابي اسحاق السبائي فقال اللهم يسر لي من يخرجه من البئر فنحن جلوس عنده حتى دخل علينا رجل عريان في وسطه مئزر فنزل في البئر فرفع القط حيا ، قال ابو محمد قلت لابي اسحاق : من اين هذا الرجل ؟ قال لا أدري وما ارسلت وراءه ، وقال ابو بكر النعالي الفقيه بمصر : والله انه لينزل بي الهم فيمنعني النوم فاذا كان عند التهجد في ثلث الليل الاخير يسكن عني ما اجده فاعلم ان ذلك من دعاء السبائي لي في ذلك الوقت وذلك انه عقد لي على نفسه وراسلني انه يدعو لي ويذكرني في كل ليلة ، (قلت) : ظاهر قوله ينزل بي الهم انه غيار من السلطان او غيره لا زيادة ، ففي كلامه بتر لقول ابى بكر المالكي عنه كان يقول لقد كان يطرقني ما يمنعني النوم فاسهر عامة ليلي اما لهم وغم

او لوجع وزاد بعد قوله ما اجده (وانام) وذكر ان حلقة النعالي كانت تدور على تسعة عشر عمودا لعظمها وكبرها ، (قلت) : وسمعت شيخنا ابا الفضل ابا القاسم البرزلي ينقل غير ما مرة انه قيل للشيخ النعالي هذا لم لا تكون (62) لاهل مصر كأبي اسحاق السبائي لاهل القيروان ؟ قال ذلك الشيخ يغضب لغضبه منها اثنى عشر ألف سيف وانا لا يغضب لي ولا واحد ! وقال محمد ابن ادريس خرجت اريد الحانوت فلقيني ابو العباس احمد بن غانم فقال لي وانتم ها هنا والله لا اسكنتكم معي فاعملوا على الانتقال لانكم من حزب السبائي ! فجئت الى السبائي فأخبرته فقال ما عليك منه شيء انما هو كلب ينبح اللهم عجله ولا تمهله فلما خرجت من عنده وقربت من داري اذ به قد اوتي به ميتا من الحمام ، قال ابو بكر المالكي دخل عليه ابو العباس بن ابي ثوبان صاحب المظالم فنهجه (63) الشيخ فخرج من عنده فلقيه بعض اصحاب الشيخ فذكر له قصته معه ثم قال له سوف ترى انت فخاف الرجل على ابى اسحاق فاعلمه ، فقال له : قل له سوف ترى انت ! قال الحاكي فخرجت من عنده الى داري فبعد ساعة خرجت فإذا الناس يقولون مات فلان فجئت الى الشيخ فاخبرته فقال قد كفينا ما نجده والحمد لله .

(ومن اجابته) ان ابا القاسم الفزاري الشاعر كان قد هجا بني عبيد في ايام ابي يزيد فطلبه السلطان اسماعيل ليقتله فلجأ الى السبائي وهو فزع خايف وقال له انت تعلم ما يراد بي ، فقام الشيخ ابو اسحاق فدخل خزانة واقبل يدعو ويقول كلاما بعضه يفهم وبعضه لا يفهم : ثم قال لابي القاسم امض اشتر غداءك وادخل الحمام وامض اليه فلن ترى شيئا تخافه ! قال ابو القاسم : فخرجت من عنده ففعلت ما امرني به من الغداء ودخول الحمام ووثقت نفسي بقوله ودعائه ثم مضيت الى

---

(62) في ق : لم تكن .

(63) ق : فانتهره .

السلطـان فدخلت عليه فقال بعض من في مجلسه يامرك السلطان بان تنشد ما قلت في ايام ابي يزيد فتوقفت عن ذلك وخفت فقـال انشد ولك الامان فانشدته القصيدة الرائية ، فلما فرغ من انشادها لم يعرض له اسماعيل بسوء فلما خرج من بين يديه قام احد الجند من بين يدي اسماعيل فاخترط سيفه ليقتل ابا القاسم فقال له اسماعيل : مالك ؟ قال : اضرب عنقه ، فقال : قد امناه والا كان هذا في حين اتانا فلما قام عنا وانصرف قمت اليه ، فعافاه الله من شره بدعاء السبائي قال بعض اصحابه : كنت ليلة عند الشيخ فجعـل يحدثني وتلذذت بحديثه حتى انقطع مشي الناس من الازقة وضرب البوق (64) فـكرهت ان اقطع عليه حديثه ــ وكان البوق اذا ضرب ومشى احد بعد ضربه ضربوا عنقه لانه لا يمشي حينئذ الا من يسرق او يخرج لضرب من الفساد ــ فـكان معدّ قد ثقف البلد تثقيفا شديدا بالعسس والحرس والرصد الشديد ، فلما فرغ الشيخ وسلمت عليه لاخرج قالت امرأته لي اين تخرج ؟ فقلت الى الدار ! فقالت البوق قد ضرب منذ ساعة ، فقال لي الشيخ اقعد تبيت عندنا الليلة قال فقلت له اصلحك الله تتحيّر تلك الوالدة وتظن انى قد اصبت بمصيبة او دهيت بداهية ، فقال لي الشيخ اصبر يا أخى يا ابا سعيد فوقفنى بين يديه وأقبل يشير عن شمـالي وعن يمينى فسمعته آخرا وهو يقـول : (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظـام وهى رميم قل يحييها الى آخر السورة) فإذا به انما قرأ علي وعوذنى بيس ! ثم اخذ فى الدعاء فدعا بدعاء عظيم ثم قال لي مرّ يا أخى يا أبا سعيد حفظك الله من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك ومن فوقك ومن تحتك قال فخرجت من داره فمررت برحبة ابي داوود فإذا رابطة وعساسة وكلاب فما كلمنى احد منهم ولا نبح علي كلب ، فتماديت في طريقي فمررت بالسمـاط على دار ابن أسود الدّاعي فوجدت عندها رابطة وعساسة وكلابا فما كلمني احد منهم ولا نبح علي كلب فتماديت الى ناحية سوق ابن هشام وعنده

---

(64) بوق الحراسة المؤذن بمنع التجول ٠

رصد وكلاب فما كلمني احد منهم فلما وصلت الى بئر ام عياض وجدت ايضا عنده رابطة مثل ذلك فتماديت حتى انتهيت الى الدرب فداخلني الهم والفزع وقلت هم صلوا واغلقوا الابواب فمن يفتح لي فهززت الباب فانفتح لي فاصبت امي واقفة خلف الباب فلما رأتني قالت خلف ؟ قلت خلف ! فدخلت وحمدت الله تعالى على السلامة ، قال فلما كان الغداة ومضيت الى دار الشيخ فسلمت عليه فما قال لي كيف كان وصولك ولا سألني عن شيء من ذلك ثقة منه بالله عزّ وجلّ انه لا يضيعني ولا يسلمني .

(قال) : وكان رحمه الله تعالى شديد العداوة لبني عبيد مجاهرا لهم بالسب والتكفير وسكناه بخارج باب الريح ليس بينه وبين الفحص الا نصف طوبة وقصب ويبلغ بني عبيد عنه ذلك فلا يقدرون له على شيء وكان ممن خرج عليهم بالوادي المالح وعصمه الله منهم (قلت) : قال المالكي قال ابو عبد الله محمد بن عبد الله الربعي عن ابيه : كان ابو اسحاق رضي الله عنه قد سأل الله عز وجل ان ينسى مدا اسمه : قال عبد الله بن هاشم القاضي فكان معد اذا اجتمعت به يقول لي ذلك الشيخ الذي يسكن بباب الريح قال فاقول له السبائي فيقول نعم (قلت) وقال الشيخ ابو اسحاق مشيت الى ابن المهزول فعلمني اسم الله العظيم الاعظم ثم انسيته ولعل ذلك خير لي .

(ذكر بقية أخباره).

(قال) قال ابو اسحاق وقفت بين المغرب والعشاء مع عمي ابى الحكم فجعلت يدي على الحايط فلدغتني عقرب واذا بشخص اقبل الي فقال لي افتح فاك فجعل فيه خرزة ثم قال لي مصها ثم اخذها ودخل فى زقاق ، فسكن الوجع . قال يونس بن سليمان السقا قلت لابي اسحاق — اصلحك الله — إن اناسا يقولون ان مروانا يجتمع بالخضر؟ فنثر يده في وجهي وقال : من دون مروان يرى الخضر فكيف بمروان رجل صالح من الابدال . (قلت) : قال ابو عبد الله بن هبة الله ذبح لابي اسحاق كبش

في عيد الاضحى فشوى له من زائدة كبده فدخل البيت ليأكل فخرج وهو يقول : لا حول ولا قوة الا بالله فقال له خديمه ابو سعيد مالك ؟ فقال له : لما مضغت لقمة احسست كأن الشوك في حلقى فما قصة هذه الشاة ؟ فقال له خديمه والله ما جئت بها الا ممن ارسلتني اليه ، فقال له اوقع لك في الطريق شيء ؟ فقال فرّت من يدي ودخلت قطيع غنم كان هناك فاخرج الراعي منها شاة وقال : هذه شاتك فاستقصى على ذلك فإذا بها قد ابدلت بغيرها ، وقال ابو الحسن القابسي اتاه رجل يوما ببطيخ — وكان يحبه — فقال له هذا جئت به اليك من البحيرة التي كان ابي يهدي اليك منها فقال له كم ثمنه فقال له وكم عسى ثمنه فقال ان كنت تأخذ ثمنه والا فامض به فأخذ ثمنه وقال خذ بطيخك واياك ان تعود فدهش الرجل واخذ البطيخ والثمن فكشف عنه واذا به اشتراه من السوق ، وقال خديمه ابو سعيد بعثني ابو اسحاق اشترى له فقوسا فاشتريته ممن اثق به واوصلته اليه ، فقلت في نفسي قلدني ولم أسأل بائعه من أين هو ؟ فجئته من الغد واعتذرت له فتبسم وقال لو كان فيه شيء ما جاز لي أكله ، وكان لا يأكل الا ما علم طيبه وطيب اصله وتصرّف المواريث فيه ، وقال ابو بكر عتيق بن خلف واتي ابو اسحاق في مرضه الذي مات فيه بتين اخضر اشتهاه واستخلص له اصله — في باكورة التين — فقال قد علمنا انه لا يطيب في هذا الوقت الا ان يدهن بالزيت فهل يعرف اصل الزيت الذي دهن به ؟ فتركه ولم يأكله ، قال المالكي وكان قد سد قبول الهدية فعوتب على ذلك وقيل له : ان النبيء صلى الله عليه وسلم تسليما كان يقبل الهدية فغضب لذلك وقال : لسنا كالنبي صلى الله عليه وسلم لو فعلنا نحن كذلك لمندلونا (65)، (قلت) : كان لا يقبل من احد شيئا الا بثمنه ويكافيء بضعف ثمنه ، وقال ابو سعدون وكان خبز السبائي السميد . فقيل له في ذلك ؟ فقال : والله لو قدرت على الجوهر وعلمت

---

(65) جعلونا كالمنديل الذى تمسح به الاوساخ .

انه يزيد في عقلي لسحقته واكلته فاني لا أجد نفسي تصلح الا اذا اكلت طيّبا ، وكان رحمه الله لا يزال سلاحه في بيته معتدّا لقتال بني عبيد مع كل بر وفاجر من المسلمين ، واقام ملازما لداره ثلاثا وعشرين سنة ، وقد كان معدّ بن اسماعيل قرب داره فأراد لقاءه فبعث اليه من يأتيه به ، فتعذّر ابو اسحاق بعذر ، فالح عليه الرسول فلما لم يمكنه من الجلوس دخل فتحزم بسلاحه ولبس منطقته وتلثم واخذ سيفه وخرج اليه ، فقال له ما هذه الحالة ؟ فقال له الشيخ عاهدت الله على ان لا ألقى اعداءه الا محاربا فقال له اجلس في مكانك ، واعتذر الرسول عنه (قلت) : لهذا قال احمد بن نصر كما تقدم لو وزن ايمان ابي اسحاق بايمان اهل المغرب لرجحهم ، وذكره معدّ يوما فقال اعد لنا السلاح وتربص بنا الدوائر وكفّرنا وشتمنا وعلّم الناس الجرأة علينا حتى تناكر الكبير والصغير ، واعان عليه قوم في المجلس وتكلم قوم له ، فأعلم بذلك فزاد ابو اسحاق حينئذ في السلاح وتقدم ان اهل القيروان ينظرون اليه فيما يفعله فعملوا مثله فليس المراد زيادته في السلاح وحده فقط والله اعلم واستأذن عليه يوما صاحب المحرس فهرب كل من كان معه — ومنهم ابو محمد بن ابي زيد — ولم يبق معه غير القابسي فقال الشيخ من هذا ؟ فقال انا فلان قال ادخل يا شيطان ما يريد الشيطان اخو الشيطان فلم يكلمه يومئذ الا بالشيطان ، فلما خرج رجع من هرب فقال لهم : ما هذا حق الصحبة تهربون وتتركوني ؟ ولامهم على فعلهم .

(ذكر رفاته وما يتعلق بذلك).

(قال) : توفي يوم الثلاثاء النصف من رجب سنة ست وخمسين وثلاثمائة ،(قلت) : وقيل توفي لثمان بقين من رجب ، قال : هو ابن خمس وثمانين سنة ودفن يوم الاربعاء بباب نافع ، (قلت) : يعني في وقت الضحى كما صرح به غيره ، (قال) : وصلى عليه عبد الله بن هاشم (قلت) : وتبعه العواني ، وقال ابو بكر المالكي : صلى عليه ابو الحسن الدباغ والناس يقولون صلى عليه عبد الله بن هاشم وهو وهم ،

(قال) : وحضر جنازته من الخلق من لم يحضر على جنازة قط ، (قلت) : يعني في زمانه ، (قال) : ودفن الى جانب قبر سحنون بن سعيد وتبعه العواني وظاهره انه ليس بينهما قبر ، وليس كذلك بل بينهما قبر ظاهر كقبرهما ، (قال) : فقبراهما مشهوران بباب نافع ، قال ابو القاسم ابن شبلون رأيت السبائي رحمه الله بعد غسله والنور يخرج من بين اصابعه كالمصابيح ، وقال الحسن بن سعيد الخراط — وكان فقيهـا عالما من نظراء ابن ابي زيد — قال اتيت بعد الفراغ من غسل ابي اسحاق السبائي فأخذ بيدي علي بن حمـود فجلست فغشينا نور حتى غلب على ابصارنا (قلت) : وقال ابو الحسن القابسي لما احتضر ابو اسحـاق رأى من حضر نورا دخل من باب البيت حتى اتى وجهه ثم زال عن وجهه ومر على صدره ثم الى رجليه ثم خرج من البيت فقبض الشيخ ، وقال ابو محمد بن التبان : لما توفي رجعت الى الدار فلما تحيّنتُ وقت غسله خرجت لحضوره ، فإذا بشيخ لقيني فسألني عن مسيري فأخبرته ، فقال قد صلينا عليه ، وكما جئت (66) فغمني ذلك ، وقلت امضي لاكمـل أجري ، فوصلت الى داره فاذا به لم يغسل ! فعلمت انه إبليس اراد ان يفوّتني ذلك ، قال أبو الحسن القابسي : نعي الينا ابو اسحاق السبائي وانا بمصر بعد سبعة عشر يوما من وفاته فجميع من بمصر من العلمـاء والفقهـاء والفقراء والصالحين والمحدثين كلهم عزاني فيه رحمة الله عليه ورضوانه لديه .

٢١٥ ● ومنهم أبو عبد الله محمد البرانسي اللباد الصامت رحمـه اللـه (*)

(قال) : كان عابدا فاضلا صامتا ، وكان يقيم رجبا وشعبان ورمضان لا يتـكلم بكلمة ويرد السلام اشارة ، وكان مستجاب الدعاء وله معاملات مع الحق ،

---

(66) أي ما زلت كما جئت وهو استعمال عامي .

(*) في ق : زيادة الساكن بمسجد الزيتونة .

(قلت) : ما ذكره من كونه يرد السلام اشارة ليس بصواب ولا يقتدى به في هذا لان السلام لا يكون الا بالنطق وكذلك الرد ، ولعل هذا الشيخ لم يكن عالما لأنهم لم يذكروا على من قرأ ، وان كان عالما فما ذكره ضعيف ، والخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع ، فمسك اللسان حسن فيما لا يخالف فيه سنة ، وسكوت الشيخ والعواني عليه غفلة ، (قال) : وتوفى سنة سبع (67) وخمسين وثلاثمائة ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

٢١٦ ● ومنهم أبو الحسن على بن محمد بن مسرور العبدى الدباغ (*) رحمه الله

(قال) : سمع من أحمد بن ابي سليمان ، وسعيد بن اسحاق الكلبي ، وجبلة بن حمود ، ومحمد بن بسطام ، وجرير بن محمد الفاسي وغيرهم . ولقي بمصر محمد بن رمضان ومحمد بن زيان ، واخذ عنه جماعة كثيرة ، وعليه كان اعتماد الشيخ ابى الحسن القابسي ، واخذ الناس عنه من بعد سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة الى سنة ست وخمسين ثم رفع السماع تورّعا لما دخله من السن .

(ذكر ثناء العلماء عليه).

(قال) : كان من أهل العلم والورع والعبادة والخشوع حسن التقييد ثقة لم ير اعقل منه ولا اكثر حياء منه ، قد اجتمع له مع العلم الورع والعبادة والتواضع وسرعة الدمعة وقلة الكلام والرفق بالطالب ، وكان عبد الله بن هاشم يثني عليه ويأمر بالسماع عنه ، (قلت) : وكان ابو اسحاق الجبنياني يحبه ويثنى عليه وقال أيضا للقابسي : أو ليس عندكم ابو الحسن الدباغ ؟ وددت ان وسادتي

---

(67) ق : ست وخمسين .

(*) فى ق : زيادة : الفقيه .

عتبة ابي الحسن الدباغ ! ما يكلمه احد الا احمرّ وجهه ، ولقد كان احيى من الابكار ، وقدم رجل من أهل المشرق فسمع الناس يقولون : ابو الحسن الدباغ الفقيه وابو اسحاق السبائي العابد فقال بل العابد ابو الحسن والعالم النحرير ابو اسحاق : (قال) : وقال ابو الحسن بن الحلاف : يخيل لي ان صاحب الشمال لا يكتب على ابي الحسن لطهارة قلبه وعفة بطنه وحفظ لسانه ورعاية جوارحه .

(ذكر بقية اخباره).

(قال) : كان ابو الحسن قد ورث مالا حلالا فأقام نفسه فيه مقام الفقراء واسوتهم وكان يغتلّ في كل شهر اربعة دنانير اثنين لصدقته واثنين لنفقته ، قال الشيخ ابو الحسن القابسي كان لابي الحسن الدباغ فندق له غلة كثيرة عظيمة ، وكان الناس يقصدونه من كل موضع ، فشرب فيه رجل مسكرا فأخبر الشيخ بذلك فوقع في قلبه منه امر عظيم ، وقال : عشت في الدنيا حتى يكون لي فندق يعصي الله فيه وبكى بكاء عظيما ، وقال لله علي ان بت (68) وهذا الفندق في ملكي ، ووجه في الحين رجلا وقال له : بعه ممن وجدت فبيع في الوقت وذكر انه تصدق بجميع ثمنه ، ويروى انه اصابه في آخر عمره بلغم فكان لا يستطيع القيام على قدميه ، فان كان له حاجة حمل اليها أو زحف في البيت ، فاذا توضا للصلاة أخذ بيده فاستوى قائما فاحرم وركع وسجد ولا أحد يمسكه ولا يستند اليه ولا يعتمد حتى يتم الصلاة ، فاذا فرغ من صلاته عاد اليه الضعف الى وقت دخول الصلاة الأخرى ، (قلت) : هذا من نقل ابن الحلاّف عنه ، وقال غيره بت : عنده ليلة فسمعت حس ماء يقطر فظننته آنية انكسرت فقمت لانظر ذلك ، فاذا به قائما يصلي ويبكي ، واذا الذي سمعته دموعه تقطر على الحصير ، وكان ايام بني عبيد لا يؤذّن الا على سنة الاذان ولا يقول (حي على خير العمل)

---

(68) ان نافيه ، اى ما بت وهو فى ملكى .

فحماه الله منهم ولقد كان اذن فخاطبته نفسه بقولها (69) وان لم يقلها يقتل ! فقالها فلما فرغ اذا اسود ناصب حربته بين كتفيه ان لم يقلها طعنه بها فعافاه الله وكان يقول للناس : تمالوا على الاذان على سنة في انفسكم ، فاذا فرغتم فقولوا حي على خير العمل ، فانما اراد بنو عبيد خلاء المساجد لفعلكم هذا وانتم معذورون خير من خلاء المساجد (70) (قلت) : قف على هذا فانه كان اعتقادي انهم انما كانوا يقولونها بعد حي على الفلاح في اضعاف الاذان حتى وقفت على كلامه هذا من انها بعد فراغ الاذان يسهل امرها حينئذ لضرورتهم ، وقد تقدم ان عروسا المؤذن قتلوه بسبب تركه لها وقبره مزار عندنا فكيف لا وقد مات شهيدا، (قال) : وكان رحمه الله تعالى يقول : ان الثواب (71) هاهنا قليل ان طال عمرك فجعت باحبابك وان قصر عمرك فجعت بنفسك ، وكان رحمه الله تعالى اذا كان يوم الجمعة تطهر ولبس احسن ثيابه وتردى (72) وتطيب وراح الى الجامع فاذا انتهى الى باب الجامع رفع عينيه الى السماء وقال اللهم اشهد ورجع الى بيته (73) ، (قلت) : هذا منه رحمه الله ورع ومبالغة في كمال الامتثال ، وكان ينهي على الكلام في مسألة انا مؤمن ان شاء الله ويقول : ان اصبنا فيها لم نؤجر وان اخطأنا فيها أثمنا ! ويقول لابي الحكم الزيات ذهبت الى العراق فأتيتنا بهذه البدعة — وهو الذي جاء بها والقاها في القيروان — فرأى رحمه الله ان الخوض في هذه المسألة فرغ منها فكان الكلام فيها من ايام محمد بن سحنون وابن عبدوس الى زمانه ، فرأى ان الاشتغال بغيرها اولى والا فالاصل ان العالم

---

(69) اى يقول كلمة (حى على خير العمل) .
والاسود الناصب حربته بربرى من جند كتامة عصبة العبيديين .

(70) يعنى قولوا (حى على خير العمل) التى هى شعار الشيعة فانتم معذورون بالجبر خيرا من ترك الاذان وخلاء المساجد .

(71) الثواب هنا لا معنى له وكذا كلمة التوا فى ق : وخير منها كلما التوقى .

(72) اراد ارتدى رداءه لا تردى من عل كما هو ظاهر .

(73) تحرصا من مناكر شعارات الشيعة بالمساجد .

المجتهد اذا اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد ، وكان بينه وبين الشيخ ابي اسحاق السبائي صحبة فلما أخبر بموته بكي بكاء شديدا وقال واكشفتاه اليوم انكشفت ، ولما خرج للصلاة عليه ازدحم الناس عليه يسألونه الدعاء ويسلمون عليه حتى كاد ان يموت لكثرة ازدحامهم فالزم نفسه ان لا يخرج من داره فلزمها حتى مات .

(ذكر موته رحمه الله).

(قال) : توفي يوم السبت للنصف من رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وأوصى ان لا يعلم بخبره حتى تخرج جنازته ، فلم يكن يصل إلى القبر الا بعد المغرب بجهد جهيد ، وسنه ثمان وثمانون سنة ودفن بباب ابي الربيع ، (قلت) : وانما أوصى بما ذكر لئلا يبعث له الامير كفنا وحنوطا وهو لا يريد ذلك رحمه الله .

٢١٧ ● ومنهم أبو مالك سعد ابن مالك الدباغ الصوفى رحمه الله تعالى

(قال) : كان من العلماء بالله العارفين به ذا امانة وصدق وتواضع مع فهم دقيق في القرآن واشارة لطيفة في الحقيقة وكان دينوري (74) المغرب قال ابو عبد الرحمان محمد السلمي في كتاب تاريخ الصوفية : ابو مالك الدباغ من اهل القيروان ، صحب ابا سعيد الخراز — وكان استاذه — ولم يكن يطاوقه احد في علم الحقيقة ، وكان ابو محمد بن التبان يجله ويبجّله ويتحرك له اذا اراد الانصراف ، وكان يقول لابي محمد : ما اتيتك الا مودعا لاني قد بلغت امنيتي من العمر اربعا وثمانين سنة ، وزاد عليها بعد ذلك ثلاثا وكان الغالب عليه الاجلال والتعظيم للحق

(74) لعله يشير الى ابى حنيفة الدينورى المؤرخ المفسر المهندس من نوابغ الدهر قالوا عنه انه جمع بين حكمة الفلاسفة وبيان العرب توفى سنة 282 هـ .

تعالى شاهده الوقار والهيبة وكان يتكلم على الحقيقة ـ بشرط الاتباع والديانة ـ كلام عقل وصيانة قال ابو سعيد خلف الزويلي دخلت على ابي مالك الدباغ وهو يجود بنفسه فقال لي قل :

وما راعني الا الرحيل وذكره　　وقد هتف الحادي سلام عليكم

فقلتها وعيناه تذرفان ، ومات آخر نهار ذلك اليوم ، وذلك سنة احدى وستين وثلاثمائة ودفن بباب نافع رحمة الله عليه .

٢١٨ ● ومنهم أبو القاسم زياد ابن يونس اليحصبى السدرى

(قال) : سمع من موسى بن عبد الرحمان القطان ودحمان بن المعافى وابى الغصن السوسي ومحمد بن عبادة ، وكان يحدث بالاجازة عن عيسى بن مسكين وغيره ، وسمع بمصر من محمد بن الربيع الجربري واحمد بن مروان وابن رمضان ، واحتاج الناس اليه فسمع منه أهل افريقية وطرابلس والاندلس ومنه اخذ ابو الحسن القابسي وكان عالما فقيها من ابهى المشايخ وانورهم وجها واحسنهم بهجة ، وكان من الصلحاء وذوي الحجا والنهى ثقة كثير الكتب عارفا بالرجال ، طلب للقضاء فامتنع ، وهو اول من ادخل كتاب محمد بن المواز افريقية وكان ينشد :

لم يبق مما فاتني كسبه　　الا اخ يسلم لي قلبه

ينادي فلا يفسده نايه　　عني ولا يصلحه قربه

يكون حسبي من جميع الورى　　في كل حال وانا حسبه

توفي يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة احدى وستين وثلاثمائة ـ ومولده سنة اثنتين وثمانين ومائتين ـ وصلى عليه عبد الله بن هاشم القاضي ودفن بباب ابي الربيع رحمة الله عليه .

٢١٩ ● ومنهم جعفر ابن نصيف رحمه الله ورضى عنه

(قال) : كان من اهل العلم والحديث يختم القرآن على اقدامه بوجهه آثار من كثرة السجود قد كسي وجهه نورا من قيام الليل ، توفي في اليوم الثامن من شوال سنة احدى وستين وثلاثمائة ودفن بباب سلم على قارعة الطريق خلف المصلي مع صهره ابن محرز (75) واحمد ابن عبد الرحمن القصري رحمهم الله تعالى .

٢٢٠ ● ومنهم أبو الحسن ابن نصر الزعفرانى رحمه الله

(قال) : كان جامعا لخصال كثيرة من الخير منها العلم والتعبد ومحبة الصالحين والعلماء وأهل الورع وكانت له آثار جميلة وهيئة حسنة توفى يوم الثلاثاء ودفن يوم الاربعاء ضحي يوم الاضحى سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ودفن بباب سلم — وهو ابن اربع وسبعين سنة — رحمة الله عليه .

٢٢١ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن هاشم بن مسرور القاضى

(قال) : كان من أهل العلم والعمل والتقشف والايثار والصدقة والمجاهدة وحسن المعاملة ، أوذي في الله فصبر ونصر الاسلام والمسلمين فشكر ، وكان كثير الصدقات وصلة أهل البيوتات ، روي انه وصل أبا ابراهيم بن ابي مسلم بنحو سبعمائة دينار ، وكان يعطي في كل جمعة المائة من الدراهم للضعفاء والفقراء ، وكانت له عبادة بختم القرآن على اقدامه ، وله حظ من التهجد والبكاء ، قال ابو الحسن الزعفراني جاء القاضى عبد الله بن هاشم لمسجدنا ليلة فقال أردت أن أبيت الليلة ها هنا ، فأردت ان أبيت معه فابى ، فجعلت صاحبا لنا يقال له احمد المؤدب يبيت معه ، فلما كان آخر الليل دخلت المسجد فوجدت القاضي قائما

(75) ق : أبى محرز .

يصلي ، فسألت المؤدب عنه فقال لي مازال قائما منذ تركته الى الآن في ذلك المكان ، ولقد ختم القرآن في هذه الليلة ختمتين ونصفا الى طلوع الفجر ، قال ابو الحسن ورأيت بمسجدنا نورا يزهر وما حوله من الازقة مملوءة ناسا ، واذا بمروان العابد في جملتهم ، فقلت ما بال الناس اجتمعوا الينا ؟ فقال : او ما عندكم خبر ؟ قلنا لا ، قال : فان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى اليوم في مسجدكم ، قلت : في أي موضع منه ؟ فأشار الى الموضع الذي كان يصلي فيه القاضي — فيما بين القبلة والغرب — توفي يوم الاثنين لست بقين من شعبان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وصلى عليه ولده القاضي محمد ، ودفن بباب سلم وقبره مشهور ، (قلت) : وعند راسه لوح من رخام فيه مكتوب اسمه واسم والده وتاريخ وفاته وغير ذلك بخط حسن ما عندنا يجبابين القيروان مثله ، ومكتوب من الجهتين ، والذي في هذه في هذه ، فقلت : لشيخنا ابي الفضل البرزلي — ونحن عند قبره — : وقع في نفسي انهم انما فعلوا ذلك لعزته عندهم خوفا ان يسقط اللوح على احدى الجهتين فيعتقد من يأتي بعد انه لا كتب فيه فيردم ويدثر قبره كما دثر كثير من قبور المشيخة لعدم الكتب عليهم .

٢٢٢ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد الخشني

تفقه بالقيروان على احمد بن نصر وابي بكر بن اللباد وابي الفضل عباس الممسي وغيرهم ، وقدم الاندلس — حدثا — سنة احدى عشرة ، وقيل سنة اثنتي عشرة ، فسمع من ابن ايمن وقاسم بن اصبغ واحمد بن زياد والحسن بن سعد واحمد بن عبادة الرعيني ، واستوطن بعد ذلك قرطبة ، ودخل سبتة قبل العشرين وثلاثمائة فحبسه اهلها عندهم وتفقه عليه قوم منهم ، وذكر [ابن فروخ الجياني — في تاريخه — انه حقق قبلة جامعهم اذ ذاك فوجد فيها تحريفا فامتثلوا رأيه وشرّقوها ، ثم دخل الاندلس وتكرّر في كور الثغور فاستقر آخرا بقرطبة وولاه الحكم

المواريث بجيانه (76) وولي الشورى بقرطبة وتمكن من ولي عهدها الحكم ، والف له تآليف حسنة ، منها كتابه في الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك ، وكتابه في تاريخ علماء الاندلس ، وتاريخ قضاة الاندلس ، وتاريخ الافريقيين ، قال ابن الفرضي : بلغني انه الف مائة ديوان وكان حكيما يعمل الادهان ويتصرف في الاعمال اللطيفة شاعرا بليغا — الا انه يلحن — وآلت به الحال — بعد موت الحكم وتقصير ابن ابي عامر في صنايع الحكم — الى الجلوس في حانوت ليبيع الادهان ، (قلت) : بلغني عن شيخنا ابى مهدي عيسى بن احمد الغبريني رحمه الله انه قال : حسدوه لمكانه من العلم فلم يقدموه في خطة تقوم به ، فاحتاج لصناعته قال ابن الفرضي وكان يتعاطى صناعة الكيمياء ، (قلت) : وظاهر هذا يقتضي انه ينفق من دراهمها ونقله عياض والعواني وسكتا ، وأخذ بعضهم جواز فعلها من قول المدونة في كتاب الصرف ، حيث قال : يفهم من قولها ذهبُ العمل ، اي ذهب الكيمياء ، وليس بصواب وانما قصد بذلك لاستعمال الناس له لرخصه ، وقيل لانه يتاتى منه الصياغة بخلاف الابريز لانه لا ينكسر على ما يزعم الصناع ، مع ان اصول المذهب تدل على تحريمها ، قال الشيخ ابو محمد في رسالته ، ولا يجوز في البيوع التدليس ، ولا الغش ، ولا الخلابة ، ولا ان يكتم من امر سلعته ما إذا ذكره كرهه المبتاع او كان ذكره ابخس له في الثمن ، فأخذ منه بعض المغاربة ان عملها لا يجوز لان من يدفع له من ذهبها شيء لو علمه ما قبله ، ولا يمكنه ان يبينه لكونه يخاف على نفسه من السلطان ، قال شيخنا ابو عبد الله محمد ابن عرفة وايضا فانه لا يقدر على وجوب المواساة وارتضاه شيخنا ابو الفضل البرزلي واجبته بانه يواسي من يامن منه على نفسه ويسقط ما زاد فلم يقبله ، قال شيخنا ابو مهدي عيسى الغبريني رحمه الله وايضا فصيرورتها لاصلها وان بعد امدها وقد كان رجل من اصحاب المازري يطلب تعليمها فسافر بقصد ذلك ثم جاء بدنيا وافرة واتى بشيء من صنعته فامر المازري باستخباره فنظره اهل المعرفة فكل

---

(76) ق : بتجانة .

من رآه يقول طيب فقال : ابقى احد ممن يعرف الطيب ؟ فقالوا نعم فلان وقد لزم داره من كبر سنه فقــال : اسالـوه فسألوه فعرفهم بما يختبر به ذلك فـآل الامر لتلاشيهــا فأمر ان يتصدق بما اكتسبــه من السلع وغيرها منها ، وفيمـا ذكره نظر ! وقد وجد في تركة ابي عمران الفـاسي الكبريت الاحمر واشتراه السلطـان المعز بن باديس امير افريقية فرده لبيت المـال ! فهذا مما يدل على انه ليس كل كيمياء ترجع الى أصلها والله أعلم ، فلو كانت كل كيمياء ترجع الى اصلها لما امر المــازري باختيار ما صنع منها ، وكذلك سمعت من شيخنــا ابي محمد عبد الله الشبيبي انه لما مات ابو محمـد عبد الله بن ابي زيد وجد في تركته آلتها ولـكن وجود ما ذكر مما وجد في تركة ابي عمران عزيز الوجود فالصواب الجزم بحرمتها ، وسئل شيخنا ابو محمد المذكور ايجوز البحث عن عمل الـكيمياء والنفقة على طلبها ؟ — على ان الاصابة فيها في حـكم النادر — وهل يؤجر على النفقة وعلى نصبه وتعبه ام لا؟ وهل يسوغ اطلاق اللفظ بالـكناية عن فائدتها بالمـاء الالاهي ؟ ام هذا اللفظ موهم لا يحل النطق به ؟ فأجاب : الذي يظهر لي ان طلب ذلك من السفه والنفقة عليه من اضاعة المـال لعدم الاصابة في ذلك ، والله اعلم . ومثل ذلك سمعت من شيخنا ابى عبد الله محمد السكوني مفتي تونس — وذكره عن والده ، واما ما ذكرتم من تسميتها فان كان قصد قائل هذا كما يقال سر رباني وسر الاهي وعطاء رباني فذلك جائز ، لنسبتها الى الله تعالى ، اذ لا فاعل الا هو تعالى وتوفى ابن حارث بقرطبة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة اربع وستين وثلاثمائة — في نقل ابن عفيف — وقال ابن الفرضي سنة احدى وستين ولم يذكره الشيخ الدباغ كما لم يذكر ابا محمد مـكي ابن ابي طالب وشيخه ابا محمد عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي وغيرهما فترك جماعة كثيرة تواترت عنهم الاخبار بالصفات الجليلة والافعـال الجميلة وذكر من هو دونهم في الشهرة او مثلهم او قريبا منهم وسبق الى الاعتراض بهذا عليه ابو اسحـاق ابراهيم العواني رحمه الله تعالى .

٢٢٢ ● ومنهم أبو القاسم ابن سعيد العابد قريب أحمد ابن نصر من أهل القرآن والتهجد

(قال) : ابو بكر بن عمر : حج ابو القاسم اربعين حجة واعتمر الف عمرة واقام يخدم قبر ابراهيم الخليل سنة كاملة ، قال ابو بكر : صحبته وشاهدته فكان يوثر الفقر ويكتمه ويصبر على مرارته ، وساح في الجبال ودخل جبل اللكام (77) ورأى فيه الابدال وتعبد في الغيران ، وكان حصورا لا يأتي النساء ، وقال ابو بكر عتيق بن خلف التجيبي : اخبرني ابو القاسم قريب احمد بن نصر قال : مررت في يوم شديد الحر بالحجاز واذا بشيخ جالس تحت ام غيلان (78) فسلمت عليه فرد علي السلام ، قلت : ما اقعدك ها هنا ؟ قال : اطلب العيش ! قلت : ليس موضعه ها هنا ان اردت العيش فعليك بالارياف ! فقال لي : أخطأت الطريق ، قلت : وما العيش عندك ؟ قال : ان تكون جالسا ليس فيك جارحة الا وهي متعلقة بالله تعالى ! قال ابو القاسم اشتهيت اسفنجة بعسل فاقمت سنة وقد تاقت نفسي اليها ، فمررت بسماط القيروان واذا بشاب جالس على بابه ، فلما رآني سلم عليّ وقال : احب ان تدخل عندي ، فدخلت وقدم اليّ اسفنجة وعسلا جلوليا (79) ابيض في مثرد فاكلت حتى تملّيت ، ثم طيّبني وخرجت من عنده وانا والله ما اعرفه ، فمررت بصبي يلعب فرفع بصره اليّ وقال : يا عم سبحان من يجود بالنعم على من يستحق النقم ! وتوفى ابو القاسم سنة ست وستين وثلاثمائة وصلى عليه ابو بكر الزويلي ودفن بالرمادية الى جانب احمد بن نصر الفقيه رحمهم الله اجمعين .

---

(77) هو جبل لبنان وكان مقصودا للسائحين من الصلحاء.

(78) شجرة صحراوية .

(79) الظاهر انه منسوب الى جلولا من مدن افريقية المندثرة .

٢٢٤ ● ومنهم ابو السرا (*) واصل ابن عبد الله العابد رحمـه اللـه

(قال) : كان من اهل الفقر والتقشف والجد والاجتهاد ولزوم الاسفار والتغرب عن الاوطان ، وكان ياوي الى مسجد السدرة بالقيروان يركع ويسجد فيه الى صلاة العصر ، فاذا قيل له ارفق بنفسك قال : انا رجل مطالب مديان ، انشد بعض القراء وهو جالس هذه الابيات .

كأنّ رقيبا منك يرعى خواطري   وآخر يرعى ناظري ولساني

فما نظرت عيناي بعدك منظرا   يسوءك الا قلت قد رمقاني

ولا خطرت فى السر دونك خطرة   لغيرك الا عرّجا بعناني

واخوان صدق قد سمعت حديثهم   فامسكت عنهم ناظري ولساني

وما ـ الدهر ـ اسلوعنهم غير انني   وجدتك مشهودي بكل مكان

فبكي وصاح وفارق الدنيا ، توفى سنة سبع وستين وثلاثمائة ودفن بباب سلم خلف مروان العابد رحمه الله .

٢٢٥ ● ومنهم أبو بكر هبة الله بن محمد ابن أبى عقبـة (**) التميمـي

(قال) : قرا على جبلة بن حمود واخذ الناس عنه المدونة والمختلطة والموطا (قلت) : منهم ابو سعيد خلف بن بلقاسم الازدي المعروف بالبراذعي اخذ عنه المدونة (قال) : كان من اهل العلم والتقوى والتعبد والصدقة والايثار ثقة صحيح

(*) فى ق : السرى بفتح السين وياء النسبة وفى م أبو السر بالضم والف اللين ويظهر ان الثانى أصوب لانهم يقصدون الى علاقة فى الكنيـة وهى هنا بالنسبة لواصل فى السرا لا فى السراوة .

(**) زيادة فى ق : العطار .

الكتب بساما بالنهار بكاء بالليل حزين القلب من اورع المشايخ واحسنهم استقامة واحد وقته في فنه وطريقته ، وله فضائل جميلة وآثار مستفيضة ، قال ابو بكر ابن عبد الرحمان حدثني من اثق به انه قال : حججت سنة من السنين فانا عند البيت واذا بانسان يطوف بالبيت ويقول يا رب افعل بابن عقبة كذا وكذا فاقبل يدعو له دعاء عظيما ، فقلت له : ما فعل بك ؟ فقال كنت رجلا فقيرا وكانت عندي زوجة وعيال ، فقدر ان ولدت زوجتي وليس في الدار غطاء ولا وُطاء ، فخرجت من داري وانا تحت حيرة ، فمررت بمسجد ابي بكر ابن بي عقبة فالفينه خارجا من المسجد فسلمت عليه فرد علي السلام ثم اخذت بيده وقلت له : اصلحك الله احب ان تمضى معي الى الدار ؟ فقال نعم وكرامة ، فتوجهت به ويدي في يده فادخلته الدار فوجد المولود ملقى على الارض ! فاقبل الشيخ ابو بكر على البكاء فقال هذا وانا في الدنيا حي ! فتوجه في الوقت الى داره فاتى بأكسية وغطاء ووطاء وخبز ولحم وحطب وقمح واوقد النار بيده وقطع اللحم وشواه واقبل يلقم الاطفال بيده وهو يبكي ، فلما شبعوا مد يده الى اربعين دينارا عينا فقال لي : خذ هذه فوسع بها على نفسك وعلى اولادك ! فاخذتها منه ثم خرج ، فلما كان بعد ذلك وجه ورائي وقال هل تعودت السفر والتجارة ؟ فقلت نعم فمد يده الى مائة دينار ودفعها لي وقال : خذ هذه البضاعة واخرج بها الى مصر لعل الله تعالى يفتح فيها بخير منها ، فخرجت بها فربحت ، فقلت له مالك فقال وكأنني انما دفعتها لك لآخذها منك ؟ انا بحمد الله غني عنها ، فأنا اتقلّب فيها الى الساعة ، وروي ان الشيخ ابا الفضل الغدامسي اقام نحوا من عشرين سنة يشتهي الغسانية (80) فقال يوما لخادمه : خذ هذين الدينارين فاشتر لنا بهما — من سوسة — عسلا وسميدا وزعفرانا وحوائج الغسانية فاني ورثتهما (81) من امي وانا لا آكل شهوتي دون اهل القصر — يعنى

(80) لون من الطعام اندثر الان ·

(81) اى الدينارين ·

قصر ابي الجعد – بالمنستير ، ففعل الخادم ذلك ، ووضع الغسانية فلما كملت لم يبق صحفة لاحد من اهل الرباط الا وقد جعل سهمه فيها وصحفته بينهم ، فلما صارت كل صحفة لصاحبها نسي بينهم شيخا صالحا لم يوجه له ، فقال لخادمه اذهب اليه بسهمى في هذه الصحفة ؟ فقال انا امضى اليه بسهمى في هذه الصحفة وتاكل انت سهمك فانت لك مدة تشتهيها ! فقال لا افعل ! فقال وانا امضي بسهمي وسهمك ان شئت ، فقال افعل ! فمضى بهما معا فلقي غلاما لابي بكر هبة الله بن ابي عقبة اقبل من القيروان وعلى عاتقه خرج مملوء بالغسانية وانواع الحلاويات وانواع الكعك ! فقال له قال لي مولاي : ان انت اوصلت هذا الخرج الى ابى الفضل فانت حر لوجه الله وزوجتك وبنوك ، فوضع الخرج بين يديه وعاد الى مولاه ، ونقلت الكافة عن الكافة ان ابا بكر بن ابى عقبة هذا لما خرج الى الحج مات جمله وفاته اصحابه ، فحمل زاده على رقبته واذا بجمل يقول له احمل زادك علي ! فقال له ما يحل لي ! ظهرك لمولاك ، فقال له : احمله على رقبتي قال له لا يحل لي ، فقال له الجمل رقبتي ليست لمولاي ولا له عليها حمل ، قال لا يجوز لي تثقيلك ، واذا برجل قد اخذ الزاد من على ظهر ابن ابي عقبة وسار به حتى اوصله الى بطحاء مكة (82) ، توفي ليلة الجمعة الثامن عشر من المحرم سنة تسع وستين وثلاثمائة – صلى عليه القاضي محمد بن عبد الله بن هاشم – وهو ابن ست وثمانين سنة ودفن بباب سلم قرب شقران وابي ميسرة ومروان العابد وعبد الله بن مسرور الحجام

(قلت) : وقبره مزار معروف قال الشيخ ابو الحسن القابسي : حكي لي من اثق به انه راى على نعش ابي بكر بن ابي عقبة طيرا ابيض يرفرف عليه من داره الى ان انزل في قبره ، وقال ابو بكر التجيبي : نعي الينا ابو بكر بن ابي عقبة وانا بمصر فرايت ابا بكر النعالي وابا القاسم ابن الجوهري وابن أبي الشريف والحسن (83)

---

(82) من هذه القصة سمى مسجده بجامع مكلم الجمل كما يؤخذ من تعليق فى ك ٠

(83) فى ق : وأبا الحسن ٠

ابن علي بن شعبان فقهاء القسطاط لما بلغهم موته استرجعوا وتوجعوا لمصابه وذكروا فضله واخلاقه ، (قلت) : العجب من عياض كيف غفل عن هذا الشيخ وامثاله كالشيخ ابي القاسم ابن شبلون وعبد الله بن هاشم ووالده هاشم ، ولما قرىء على شيخنا ابي الفضل البرزلي قول الشيخ ابي سعيد البراذعي في خطبته (84) قال : وصححتها على ابي بكر بن ابي عقبة عن جبلة بن حمود عن سحنون فعرف بابي سعيد وبجبلة وسحنون (قال) : واما هبة الله فلم يذكره عياض ولا اعرف من عرف به ، فقلت له : ذكره الدباغ وذكرت له ما تقدم من اعطائه لذلك الرجل ما تقدم وما نقلته الكافة عن الكافة باختصار فامرني ان اوقفه على ذلك فاوقفته عليه وامسكته اياه وأعطاني اياه ، فيغلب على الظن انه نسخ ذلك والله اعلم .

٢٢٦ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن اسحاق ابن التبان رحمه الله

قد تقدم انه قرأ على الشيخ ابى بكر ابن اللباد وذكر عنه انه قال : كنت اول ابتدائي ادرس الليل كله فكانت امى تنهاني عن القراءة بالليل ، فكنت آخذ المصباح واجعله تحت الجفنة واتعمد النوم فاذا رقدت اخرجت المصباح واقبلت على الدرس ، وكان كثير الدرس ذكر انه درس المدونة الف مرة ! وقال قال لي ابي ذات يوم : يا بني ما يكون منك ؟ لا تعرف صنعة واشتغلت بالعلم ولا شيء عندك ! فلما كانت ليلة سمعته يقول لوالدتي : عرفت اليوم اني عُرفت بابني ! وذلك اني حضرت املاكا (85) في مسجد سماه فوجدته مملوءا بالناس ولم اجد مجلسا فقام لي رجل من مجلسه واجلسني فيه ، فساله انسان عني ؟ فقال له اسكت هذا والد الشيخ ابي محمد ! وقال آخر : خرج والد الشيخ ابى محمد بن التبان

---

(84) زاد في ق : في التهذيب – أي تهذيب المدونة للبراذعي – .

(85) جعله مراكنة على النكاح .

يوما من مسجد السبت فزلق فى طين فبادر اليه رجل واخذ بيده وقال لصاحبه هذا والد الشيخ ابي محمد الفقيه ، فرجع وحرض ابنه على طلب العلم والتزم القيام بشانه من يومئذ .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان من العلماء الراسخين والفقهاء المبرزين ضربت اليه اكباد الابل من الامصار لعلمه بالذب على مذهب اهل السنة وكان فصيح اللسان رقيق القلب غزير الدمعة ، وله علوم شتى منها علوم القرآن والفقه والرقايق والنحو واللغة والنجوم والطب والشعر الرقيق وله مع ذلك ورع شديد (قلت) : زاد غيره وكان مستجاب الدعاء ، وقال ابو العباس الابياني : يكاد ان كل شعرة في جسده تنطق بالحكمة وسيكون له في الفقه باع .

(ذكر ما يدل على كمال فضله وورعه)

قال الاجذابي : رأى أبو محمد بن التبان رب العزة في النوم فقال له يا عبدي تكون في المغرب فتن كقطع الليل المظلم لا ينجو منها الا من بسوسة والمنستير وما والاهما ، فكان اذا حدث بالقيروان امر فر ابو محمد بن التبان الى سوسة أو المنستير حتى ينكشف ذلك الامر ، وكان يقرا لاخوانه ميعادا فى الرقايق فقطعه اياما فعاتبوه فى ذلك فاعتذر فضيقوا عليه فقال : اذا كان غد تاتوني ان شاء الله فاتوه من الغد وبين يديه شيء مغطى فقال لهم : اكشفوه ، فوجدوا طبقين صغيرين احدهما مملوء دنانير والاخر مملوء دراهم فقال لهم : هذا منعني لان من ملك من الدنيا هذا يقبح به ان يزهد الناس فيها فيدخل في ذم الله عز وجل (أتامرون الناس بالبروتنسون انفسكم الاية) (قال) : وذكر عبد الحق بن هرون الصقلي في كتابه : ان ابا محمد بن التبان وقعت يده على ساق ابنته وهو يظنها انها زوجته ففارق الزوجة ام البنت ورأى انها حرمت عايه بهذا القدر وكان يفتي بذلك وهذا غاية الورع ، (قلت) ما ذكره من قوله : وهذا غاية الورع فيه نظر لانه

لا يكون غاية الورع الا لو كان يفتي بعدم التحريم لغيره ويأخذ هو - في خاصة نفسه - بالتحريم عملا بقول غيره ليخرج من الخلاف ، هذا الذي يقال فيه وهذا غاية الورع ، وما ذكر من تحريمها عليه به قال اكثر القرويين ، وقيل ان لمسه وان التذ بذلك لا اثر له قاله ابو القاسم الطاشي وابو سعيد بن اخي هشام وابو القاسم بن شبلون وابو محمد بن ابي زيد - في احد قوليه - وهو مقتضى قول سحنون واختاره الشيخ ابو القاسم بن محرز والف تاليفا فيه ، واختاره المازري ايضا والف فيه تاليفا ، واعتمد على تاليف ابن محرز وسماه كشف الغطاء عن لمس الخطا ، وراى الشيخ ابو الحسن القابسي وابو عمران الفاسي ان الاجتناب في ذلك على طريق الاستحباب لا على الاجبار وهو مذهب ابى الطيب عبد المنعم فانه امر بالفراق وتوقف في الاجبار ، وكل هذا الخلاف انما هو اذا التذ بقلبه ، وذهب بعض الصقليين الى ان لمس البنت ينشر الحرمة وان لم يلتذ اذا كان اصل لمسه اللذة ، قال المازري وهو ضعيف لا يتخرج على اصل ، وما ذكره فيه نظر بل اصله نقض الطهارة به وان كانت الطهارة ايسر .

(ذكر ما يدل على حفظه وحسن مناظرته)

(قال) : وروى انه خرج مرة الى المنستير فخرج اليه اهل البوادي والقرى والمهدية وسوسة والحصون يسالونه عن نوازلهم ، فسالوه الى وقت الظهر ، فاغلق بابه ثم قال لمن كان معه افتيت اليوم فى الف مسالة (قلت) : وهذا غاية الحفظ لجوابه عن هذا العدد لحضري وبدوي اشارة منه لمسائل صعبة وسهلة ولم يقل في واحدة منها لا ادرى وفي زماننا اليوم يصنع مثل هذا شيخنا ابو الفضل البرزلي لا ثاني له في سائر بلاد افريقية ولذلك كان هو المفتي الاكبر بالحضرة العلية فى بلد السلطان مدينة تونس وعليه المعول (قال) : وروى ان نصرانيا وفد على عبد الله ابن محمد الكاتب صاحب القيروان - وكان النصراني راسا فى مذهبه - فبعث عبد الله الكاتب الى ابى محمد عبد الله بن التبان ليناظره ، فلما جلس معه مجلس

المناظرة قال ابو محمد بن التبان لعبد الله الكاتب : ان اخترت ان اطيل معه اطلت والا اوجزت فقال له اوجز فقال ابو محمد لترجمانه قل له انتم تعتقدون ثلاثة ؟ قال نعم ! فقال له اخبرني : الواحد مفتقر الى اثنين او مستغن عنهما ؟ فضرب النصراني على وجهه واطرق وعليه كآبة الانقطاع .

(ذكر اخباره مع بني عبيد وحسن مقامه في الدين)

كان ابو محمد بن التبان شديد البغض لهم ، قال بعض اصحابه كنت معه يوما بالمنستير في يوم عاشوراء ، فلما راى جمعهم بكى فقيل له ما يبكيك فقال والله ما اخشى عليهم من الذنوب لان مولاهم كريم وانما اخشى عليهم ان يشكّوا فى كفر بني عبيد فيدخلوا النار ، (قال) : وكان في زمانه مثل ابي عثمان الحداد (قلت) : كان عبد الله المعروف بالمختال صاحب القيروان شدد في طلب العلماء ليشرّقهم ، (86) فطلب الشيخ ابا سعيد بن اخي هشام ، وابا محمد بن التبان وابا القاسم بن شبلون وابا محمد بن ابي زيد وابا الحسن القابسي فاجتمعوا فى مسجد ابن اللجام — وسمعت شيخنا ابا الفضل البرزلي ينقل غير ما مرة ان اجتماعهم كان بدار ابي محمد بن أبي زيد — فقال لهم ابن التبان : انا امضي اليه واكفيكم مؤونة الاجتماع به ويكون كل واحد منكم فى داره ، — ويقال انهم ارادوا المسير اليه فقال لهم : انا امضي اليه ابيع روحي من الله دونكم ، لأنه ان أتي عليكم وقع على الاسلام وهن ، ويقال أنه قال لعبد الله هذا لما دخل عليه : جئتك من قوم ايمانهم مثل الجبال أقلهم يقينا أنا ، فحدث بعض من حضر قال كنت مع عبد الله — وقد احتفل مجلسه باصحابه وفيهم الداعيان ابو طالب وابو عبد الله لعنهما الله — وقد وجّه في (87) ابن التبان فاذا به داخل وعيناه تتوقدان كانهما عينا شجاع (88) فدخل وسلم ، وقال له : ابطات

---

(86) المراد فيما يظهر : ليحملهم على مذهب المشارقة — وهو التشيع — .

(87) أى فى طلب ابن التبان .

(88) ثعبان عظيم .

عنا يا ابا محمد ! فقال في شغلك كنت الفت كتابا في فضايل اهل البيت اتاني به المسفر — (89) واخرجه من كمه ودفعه اليه — فقال له يا ابا محمد ناظر هؤلاء الدعاة، قال بماذا ؟ قال في فضايل اهل البيت ! فقال لهما ما تحفظان في ذلك ؟ فقال له ابو طالب انا احفظ حديثان (ولحن) ثم سال الاخر فقال له وانا احفظ حديثان ايضا ، فقال له هذان الحديثان اللذان تحفظهما انت هما الحديثان اللذان يحفظهما هذا ؟ قال نعم، قال : هما يحفظان حديثان — ونطق بلحنهما — وانا احفظ من ذلك تسعين حديثا : فالاولى بهما الرجوع الي ، ثم قال عبد الله : يا ابا محمد من افضل ابو بكر او علي ؟ قال ليس هذا موضعه ، فقال لا بد ! قال ابو بكر افضل من علي ، فقال عبد الله : يكون ابو بكر افضل من خمسة جبريل سادسهم ؟ (90) فقال ابو محمد يكون علي افضل من اثنين الله ثالثهما ؟ (91) اقول لك ما بين اللوحين (92) وتقول لي اخبار الاحاد ؟ فضاق عبد الله فقال : من افضل عايشة او فاطمة فقال احد (93) من سؤالك اولا ! فقال لا بد فقال عائشة وسائر ازواج النبي صلى الله عليه وسلم افضل من فاطمة ، قال فمن اين ؟ فقال قال الله تعالى : (يا نساء النبيء لستُنّ كاحد من النساء) فقام اليه بعض الدعاة فقال له : ايما افضل امراة ابوها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامها خديجة الكبرى وزوجها علي بن ابي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وولداها الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة او امراة امها رومان وابوها

---

(89) في ق : المسير وكلا الوجهين خطا والصواب ، والله اعلم ، الميسر بتقديم الياء بمعنى يسره الله وانما استدرجه لهذا الموضوع ليبعده عن مسائل الخلاف فلما أبى الا اياها قال فيها كلمة حق كما ياتي .

(90) يشير الى حديث العباء المعروف .

(91) يشير الى آية الهجرة لقوله تعالى : (اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان اللـه معنـا) سورة التوبة .

(92) المصحف .

(93) كذا في جميع النسخ والاقرب في تصويبه : (ابـك) اي هل لك بـد من هذا السؤال بد ليل جوابه بلا بدا اي لا محيد عنه انظر المصباح .

عبد الله بن ابي قحافة ؟ فقال ابو محمد أيما افضل عندك امراة اذا طلقها زوجها او مات عنها تزوجت عشرين زوجا او امراة اذا مات عنها زوجها او طلقها لم تحل لمسلم ؟ فسكت ، وما زلت اسمع من شيخنا ابى الفضل البرزلي ينقل – غير ما مرة – انه قال لهم : الجواب عن ذلك من عشرة اوجه ، أحدها ما تقدم ، الثانى ان عائشة رضي الله عنها مع النبي صلى الله عليه وسلم فى درجته ، وفاطمة مع علي بن ابي طالب في درجته ، ودرجة علي لا تساوي درجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه سرد عليهم بقية الاجوبة ! فيحكى أن عبد الله قال له : يا ابا محمد انت شيخ المدنيين ادخل العهد وخذ البيعة ، فعطف عليه ابو محمد وقال له شيخ له ستون سنة يعرّف حلال الله وحرامه ، ويرد على اثنتين وسبعين فرقة ، يقال له هذا ؟ لو نشرتني في اثنين ما فارقت مذهب مالك ! فلم يعارضه ، وقال لمن حوله : امضوا معه ، وخرجوا – ومعهم سيوف مصلته – فمر بجماعة من الناس ممن حضر لاخذ الدعوة وقال لهم : تثبتوا ليس بينكم وبين الله الا الاسلام فان فارقتموه هلكتم ، فترك عبد الله بقية الشيوخ ، (94) واعجباه ! هكذا يكون الذب عن الدين ، ولما كان القوم الاصل عندهم حفظ دينهم والدنيا عندهم كالعدم ابتلوا – رضي الله عنهم – في دينهم فصبروا وقالوا لا نبرخ ، (95) ونحن لما كانت الدنيا عندنا اكبر همنا اذا وقعت اذية من الغير انا انما نؤذى فيها خاصة »

(ذكر جملة من اخباره)

قال ابو محمد بن التبان يوما : لا شيء افضل من العلم فبلغ خبره ابا اسحاق الجبنياني فقال : العمل به افضل ، فلما بلغه كلامه قال : صدق : اذا لم يعمل

---

(94) الشيوخ المحضرون لتلقى الدعوة الشيعية – وقد تركوا عبد الله أى المختال السابق الذكر – بسبب هذه المقالة من المترجم .

(95) فى بقية النسخ : لا ابرح والمعنى على كل انهم يصمدون للمعارضة ولا يبرحون الموقف بينما المتأخرون متخاذلون فاذا اصيب الخواص لا يجدون نصيرا .

به صاحبه فهو وبال عليه واذا عمل به كان حجة له ونورا يوم القيامة ، وروي أنه سار لزيارة ابي اسحاق الجبنياني فلما قرب من جبنيانة هابه وقال أخشي ان يجري الله على لسانه شيئا يعز عليّ فنكون ممن عادي وليا من الاولياء الله تعالى فوجه اليه بالسلام وانصرف ، (قال) : وله كتب في النوازل ، وقال ابو محمد لو ان رجلا مر بارض مغصوبة وحضرت الصلاة وخاف ان صبر حتى يخرج منها ذهب الوقت صلى ولا اعادة عليه ، ولا ياكل منها بقلا ولا يشرب منها ماء ولا يتوضا الا من ضرورة — سواء كانت بها عين تجري او ماء مطر — وماء المطر اخف من ماء العيون ، (قلت) : ما ذكر من عدم اعادة الصلاة في الارض المغصوبة هو الصواب ، وياتي خلافه عن ابي سعيد بن اخي هشام وابي بكر بن عبد الرحمان وياتي الكلام عليه هناك باوفي من هذا ان شاء الله تعالى (قال) : وقال ابو محمد بن التبان : اذا اشترى رجلان عنبا فاقتسماه بالوزن فكان احد القسمين اطيب من الاخر جازت القسمة على التراضي واما بالسهم فلا ، وان اختلفا في الوزن واتفقا في الجودة لم يجز القسم بالتراضي ولا بالسهم (قلت) : وقال ابو محمد لبعض من تعلم عليه خذ من النحو ودع ، وخذ من الشعر وأقلّ ، وخذ من العلم (96) وأكثر ، فما اكثر احد من النحو الا احمقه ولا من الشعر الا اذله ولا من العلم الا شرفه ، وقال يوما — في انجرار كلام له — الاجماع على ان القاء المسائل بدعة فبلغ كلامه الشيخ ابا اسحاق السبائي فشق عليه (قلت) : القاء المسائل هو كون الناس يجتمعون على رجل واحد يعلمهم العلم بتكلمه عليهم كما تقدم ان ابا محمد عبد الله بن ابي زيد كان هو الملقي على الجماعة بدار الشيخ ابي اسحاق السبائي ، واذا كان هكذا فكان هذا في زمن الصحابة — يحلّق الناس على عبد الله بن عباس وابي هريرة وغيرهما فكيف يقول الاجماع على انه بدعة؟ ولا اعرفه لغيره ولا لواحد، ولعل هذا هو معنى قوله شق على السبائي، اي

---

(96) اى الفقــه

كيف يقول هذا وفعل الصحابة على خلافه ؟ وتقدم الخلاف بين ابن عبدوس وابن سحنون : هل يجوز ان يقول الانسان انا مؤمن ان شاء الله ام لا ؟ ثم وقع خلاف في زمن هذا الشيخ ، وهو هل يجوز ان يقول انا مؤمن عند الله ام لا ؟ فجوّزه ابو محمد بن التبان وقال بقوله جماعة وخالفه ابو محمد بن ابي زيد وانكر عليه ذلك وقال انما يقال ان كانت سريرتك مثل علانيتك فانت مؤمن ووافقه على هذا اكثر القرويين .

(ذكر اجابة دعائه رضي الله عنه)

(قال) : ابو القاسم اللبيدي ذكر ابو محمد بالمنستير كراهة مالك بن انس الاجتماع على قراءة القرآن وان ذلك بدعة ! فقال له رجل كيف تقول ان قراءة القرآن بدعة ؟ فقال لم اقل هذا ، فخرج الرجل وصاح ان ابن التبان قال ان قراءة القرآن بدعة فزحف الناس من كل جهة منكرين هذا واتوا حجرته ، فبين لهم فمنهم من فهم ومنهم من لم يفهم ، ثم حول ابو محمد وجهه للذي شنع عليه وقال له افجعت قلبي افجع الله قلبك افجعك الله بنفسك وولدك ومالك : فاجيبت دعوة الشيخ فيه فهوّس ولده فكان من المجانين ، وذهب ماله ، وابتلى بداء البطن فكان منها موته ، وقبله عياض ، وفي دعائه بان يفجعه في نفسه وولده نظر لانه (97) لم يظلمه وانما يدعى على الظالم وحده ، وقد قال الشيخ شهاب الدين القرافي الدعاء عليه له احوال فذكر منها الدعاء عليه بذهاب ولده ونحوه منهي عنه لانه مما يتعلق به حق الغير ، ولما جرت له المسالة التي تكلم فيها في الايمان المتقدم ذكرها وخالفه فيها من تقدم ذكره وحدث بينه وبين بعضهم وحشة بسببها جعل موعدا للالتقاء ، فالقى عليهم كتاب الوضوء فخالفوه في مسالة ، فقال لهم : اسمعوا ما اقول درست هذا الكتاب الف مرة ! فابوا

---

(97) اى الابن .

الا مخالفته فقام بهم الى داره فاخرج الكتاب واراهم المسالة كما قال ، ثم دعا على نفسه وقال : اللهم لا تقضي (98) علي حتى القى عليهم شيئا اللهم اقبضني اليك وارحني منهم فما اقام الا يسيرا حتى مات رحمة الله تعالى عليه (قلت) : في دعائه بالموت نظر والصواب انه لا يجوز الا اذا خاف على نفسه فتنة .

(ذكر موته رحمه الله تعالى)

(قال) : توفى ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ودفن بالرمادية وخرج الناس لجنازته من ثلث الليل الاخير وقد ضاقت الشوارع والموارد حتى فاض النـاس فى الصحراء غداة يوم الثلاثاء ، (قلت) : وقبره غير ظاهر ، فجرت عادتي اذا وصلت الى ذلك المكان ونتوسط المقبرة نادي بصوت عال (رحمك الله يا ابا محمد بن التبان) وغالب الحال لا يحفظ القبر الا الكتابة على مشهده ، ومع عدم الكتابة يكون مشهورا ثم بموت كثير من الخلق بوباء فلا يبقى الا من لا يعرف قبره ومع الكتابة وان جهله جاهل فياتي بعد من يجوز ذلك المشهد فاذا قراه اعلم الغير بذلك فينشر معرفة الناس له ولقد قال لي اخي لابي ابو عبد الله محمد رحمه الله ونحن في الزيارة بجبانة باب سلم وهي الجبانة الغربية بمقربة من قبر الشيخ عتيق السوسي يا اخي انت تزعم انه لا احد اليوم بالقيروان اعرف منك بقبور مشيختنا فاين قبر سليمان بن عمران القاضي ؟ فقلت له قبره غير معروف ، فقال ان قبره وجدناه وهو الذي بين يديك ، فنظرت مشهده فاذا فيه مكتوب هذا قبر سليمان بن عمران القاضي توفى ليلة السبت لسبع بقين من صفر سنة سبع وسبعين ومائتين فاشتهرت معرفة قبره شهرة تامة .

---

(98) كذا بالنسخ والسياق ان يقول : لا ـ تبغى على الغ .

٢٢٧ ● ومنهم أبو العباس تميم ابن أبى العرب محمد بن أحمد بن تميم

(قال) : لقي عيسى بن مسكين واخذ حديثه عن ابيه ابى العرب ، وذكر انه لقي جبلة بن حمود واخذ عنه ، ولقي موسى بن عبد الرحمان واخذ عنه كتاب الامامة لمحمد بن سحنون واجاز له كتاب محمد ابن المواز ، ولقي حماس بن مروان وسمع منه كتاب ابن المعذل وكتاب انس بن عياض ، ولقي محمد بن عمر اخا يحيي بن عمر واخذ عنه الدمياطية والبرقية ومنتخباته ، وكان من اهل العلم والعبادة والتقشف والزهادة والورع والرقة وسرد الصيام ، وكان شديد الورع . كان اذا اراد ان يطرّ داره (99) او سقوفه احتفر في وسط داره حفرة وطرّ من تراب الحفرة ، ويقول ان السلطان يغرم على التراب ! وكان حائط حجرته من قصب ، فكان كلما خرج في الليل او دخل ينظر اليه ، فعوتب في ذلك فسده بالقشور والصوف والخرق لتورعه عن التراب وغرمه لقبالة السلطان وكان غالب احواله الايثار والسخاء مات بمدينة سرت وهو متوجه الى مكة وذلك سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ودفن هناك رحمه الله .

٢٢٨ ● ومنهم أبو محمد عبد الله (*) ابن سعد الصايغ المعروف بابن التفاحى رحمه الله

(قال) : لقي جماعة من رجال سحنون منهم جبلة بن حمود ، وسمع منه الموطا واحاديث يسيرة (100) وكان شيخا متواضعا شديد الاتباع للسنة صلبا في الدين ثقة ، توفي في شعبان سنة سبعين وثلاثمائة وهو ابن تسع وثمانين سنة رحمه الله تعالى.

---

(99) يطر داره أى يجدد بناءها .

(*) فى ق : أبو عبد الله محمد .

(100) فى ق : وأحاديثه متبعا لسيرته .

٢٢٩ ● ومنهم أبو الازهر عبد الوارث ابن حسن بن احمد ابن معتب ابن أخي (*) الازهر عبد الوارث

تقدم ذكر جده في اصحاب سحنون ، وصحب ابو الازهر ابا بكر بن اللباد وغيره ، قال كان من ايمة الدين والعلماء الراسخين ذا علم بارع ومعرفة بالاصول والفقه والقضاء والنوازل كثير التواضع حسن السمت ، وكان ابو محمد عبد الله ابن ابي زيد يقول : ما بافريقية افقه من ابي الازهر بن معتب وانما قطع به قلة دنياه (قال) : وكان عيشه من كتب الوثائق واراد عبد الله بن هاشم القاضي استكتابه فاستشار ابا محمد عبد الله بن ابي زيد فرده عنه (101) فبلغ ذلك ابا الازهر فجلس بالقرب من درب السكة (102) فاذا خرجت مسالة من عند ابن ابي زيد كتب تحتها : الجواب غير هذا ، فضاق من ذلك ابن ابي زيد ووجه اليه معتذرا له وقال انما فعلت ذلك اجلالا لك اذ انت من شيوخنا ، (قال) : قال الشيخ ابو الحسن القابسي اختلف اصحابنا فيمن صلى بامراته المكتوبة هل يصلي تلك الصلاة في جماعة ؟ فقال ابو سعيد ابن اخي هشام وغيره لا يفعل وجعلوا صلاة الرجل مع زوجته جماعة ، وقال ابو الازهر لا باس بذلك (قال) : توفي سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (قلت) : وقال غيره توفي سنة اثنتين وسبعين ويقال سنة ثمان وسبعين رحمه الله تعالى .

٢٣٠ ● ومنهم يونس ابن سليمان السقاء

(قال) : كان لسان اهل السنة في الرد على المخالفين من اهل البدع فصيح اللسان حلو المناظرة حكى عبد الوارث الزاهد قال جمعني مجلس فيه مكي بن يوسف ويونس بن سليمان فغلبتني عيناي فرايت كان بين يدي مكي شجرة ورد لا يزال

(*) في ق : أبي الازهر .

(101) ق : فكره ذلك .

(102) ق : بالقرب من داره .

ينثر منها الورد ويسقط وشجرة ورد اخرى بين يدي يونس لا يسقط منها الا واحدة بعد واحدة ولما احتضر يونس غمض احدى عينيه بيده ثم فاضت نفسه فغمض بعض الحاضرين عينه الاخرى ، توفي سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ودفن بالرمادية بازاء قبر ابي محمد بن التبان رحمه الله تعالى .

٢٣١ ● ومنهم أبو سعيد ابن أخي هشام الربعي الفقيه

(قال) : هو ابو سعيد خلف بن عمر بن اخي هشام (قلت) : كذا قال ابن الرقيق ، وقال ابو بكر المالكي : عثمان بن عمر ، وقال ابو عبد الله الخراط عثمان ابن خلف المعروف بابن اخي هشام الربعي الخنّاط ، قرا على احمد بن نصر — وعليه تفقه — وعلى ابي بكر بن اللباد وابي القاسم الطرزي وغيرهم ، وعليه تفقه اكثر القرويين .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان امام الزمان وواحد الفقهاء في عصره واعلمهم بمذاهب اهل المدينة — ما اختلف فيه وما اتفق عليه — وقال ابو القاسم بن شبلون ما أخذ على ابي سعيد مسالة واحدة خطا قط وذلك لعلمه باختلاف العلماء ونوازل الاحكام والقضاة مع تواضع ورقة قلب وسرعة دمعة وملاحة اشارة وتقريب معنى وخلاص نية وجميل طوية (قلت) : وقال ابو بكر المالكي كان عارفا بعلم الفقهاء لم يكن في زمانه احفظا منه ، اختلط علم الحلال والحرام بلحمه ودمه وما اختلف الناس فيه وما اتفقوا عليه حافظا بارعا فراجا للكرب ، وما ذكره من اختلاف الناس يشمل الاربعة مذاهب واوسع من ذلك ، فهو اخص مما تقدم اولا من اعلمهم بمذاهب اهل المدينة ومساو لما قال ابن شبلون (قال) قال ابو محمد بن ابي زيد : سالني عبد الله بن محمد بن الكاتب صاحب البلد — من افقه اصحابكم ؟ فقلت ابو سعيد بن

اخي هشام ! قال فمن احفظكم باختلاف الناس ؟ قلت ابو سعيد بن اخي هشام ! وقال ابو محمد ايضا ان ابا سعيد ليس يلقى الله تعالى بمثقال ذرة رياء (قلت) : قال هذا ابو محمد لما لُفَّ ابو سعيد في اكفانه ، (قال) وقيل لابي العباس عبد الله بن احمد الابياني (103) الفقيه مَن اجلّ من رايت بالقيروان بعد ابن اللباد وابن العسال؟ قال دخل علي ثلاثة نفر احدهم اكبر من الاثنين فقال جواب هذه المسالة فظننت انها نازلة (104) فاجبته عنها حتى القى عليّ نحوا من مائتى مسالة فقلت فرغت محفوظاتك ؟ قال هكذا الى قابل القي عليك من حفظي فرايت رجلا كالبحر الذي لا تكدره الدلاء يقال له : ابو سعيد بن اخي هشام ، واما الثانى من الاثنين فانى رايت شابا عاقلا كاملا فاضلا لو وزنت الجبال الرواسي بعقله لرجحها يقال له : عبد الله بن ابى زيد ، والثالث يقال له عبد الله بن التبان تكاد كل شعرة فى جسده تنطق بالحكمة — يكون لهما في الفقه باع — (قلت) : ولما ورد دارس بن اسماعيل ابو ميمونة من مدينة فاس وعجب الناس من حفظه سمع ابو سعيد تقصيره بعلماء القرويين واضافته قلة الحفظ اليهم ، فقال لاصحابه اعملوا على ان تجمعوا بيني وبينه لئلا يقول دخلت القيروان ولم ار بها عالما فما زالوا حتى أتوا به الى ابى سعيد في مجلسه ، فسلم عليه فالقى عليه ابو ميمونة نحوا من اربعين مسالة من المستخرجة والواضحة(105)

---

(103) فقيه تونس كبير توفى 352 هـ انظر شجرة النور الزكية 58 .

(104) يعنى ظنه مستفتيا فى نازلة واقعية وانما عرض لمحفوظات فقهية كانوا يتدارسون به العلم .

(105) هما كتابان من أمهات كتب المذهب ، اما الواضحة فمؤلفها عبد الملك بن حبيب وهى اصل الفقه الاندلسى واما المستخرجة فنسبها ابن فرحون لمحمد بن احمد العتبى وقدح فيها ابن عبدالحكيم وسئل عنها الشيخ ابن ناصر — أى — الدرعى فأجاب : هى العتبية شرحها ابن رشد شرحا سماه البيان والتحصيل ، وقال : أمهات الفقه الكبار المعتمد عليها عند المالكية : المدونة ، والموازية والواضحة والعتبية ، ذكر ذلك الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالى السجلماسى فى شرحه على خطبة خليل طبع فاس حجَرى سنة 1303 .

فاجابه عنها ابو سعيد ثم القى عليه ابو سعيد عشر مسائل من ديوان ابن سحنون فاخطا فيها ابو ميمونة كلها فعطف عليه ابو سعيد وقال له لا تغفل عن الدراسة فاني ارى لك فهما فان واظبت كنت شيئا ، فلما قام ابو ميمونة ليخرج لم يعرف الباب من الحيرة ! وقال ابو العباس عبد الله الاجذابي (106) كان ابو سعيد من اجل من يعرف طريق الصوفية ويحبها وكان اذا قال أجمعت الامة لم يوجد خلاف لقوله .

(قال) : قال ابو سعيد خلف بن تميم الهواري : سالت الشيخ ابا سعيد فقلت ، ما تقول في كرامات الاولياء ؟ قال ما ينكرها (107) الا صاحب بدعة ، قلت له فانقلاب الاعيان ؟ فقال ، ما جاء من طرق صحيحة فانا اقول به ، قلت : له ايما افضل عندك الفقر او الغنى ؟ فقال اختلف الناس في ذلك ، فقلت له : ايما افضل عندك فقال : قال سحنون الفقر افضل .

(قلت) : وذكر انه كان يمشي مع بعض طلبته في فحوص صبرة فحضرتهم الصلاة ، فاراد الشيخ الصلاة ، فقال الطالب : اصبر حتى تخرج من اراضي هذه المدينة السوء ، فقال له ابو سعيد هذا جهل منك اي ضرر على الارض من صلاتنا ؟ ولو لزم ترك الصلاة في الفحوص المغصوبة وجب على المصلي ان يستاذن اربابها اذا كانت غير مغصوبة ، فقال ابو بكر بن عبد الرحمان : قال صلى الله عليه وسلم : جعلت لي الارض مسجدا ، وان الصلاة في ارض المسلمين بغير اذنهم جائزة بلا خلاف ، وقبله عياض ، والصواب عندي انه لا يصلي في ارض بالاطلاق اذا كانت مملوكة للغير الا برضاء ربها اما نطقا واما بعلمه بطيب نفسه بذلك الا اذا خاف خروج الوقت وقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا عام يتخصص بما ذكرناه لان الاصل منع تصرف الانسان في غير ملكه الا باذن ويدل

---

(106) في ق : أبو العباس عبد الله الابياني .

(107) ق : ما يدفعها .

على هذا ما تقدم – عن قرب – عن ابى محمد بن التبان انه لا يصلى في ارض مغصوبة الا اذا خاف خروج الوقت ولا اعادة عليه حينئذ ، ولما ورد شيخنا ابو يوسف يعقوب بن يوسف الزعبي من تونس – وكان قاضي الانكحة بها حينئذ – الى القيروان وزرنا معه قبر الشيخ ابي زمعة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ في الرجوع للبلد شق بنا خرايب في ربضها ، فاردت الرجوع عنه وتوهم الاعتراض عليه مني – وكنا جماعة – فقال اهذا جائز ام لا ؟ فقلت الصواب انه لا يجوز وهذا المكان الذي انت به الان مار به دار جدي ناجي رحمه الله تعالى فانا وان رضيت بمرورك ومرور اصحابنا وامثالهم فلا ارضاه من غيرهم لانها تصير طريقا (108) وقد شاهدت شيخنا ابا محمد عبد الله الشبيبي بالقيروان اذا مر بالمكان الفلاني منها وعينته له لا يمشي منه لمراده لانه مملوك للغير – وقد اتخذه الناس طريقا – ويدور من مكان ابعد وذلك يدل على انه لا يجوز عنده فقال لي ما ذكرته عنه صحيح وكنت اراه يفعل ذلك ولكن الصواب جواز ذلك لمشي ابي سعيد ابن اخي هشام في فحوص صبرة وصلاته بها ، واشار الى هذا واجبته بما تقدم الا ما ذكرته عن ابن التبان فاني كنت لم اقف عليه ، فتحصل في جواز الصلاة في الارض المغصوبة قولان احدهما جواز ذلك قاله ابو سعيد بن اخى هشام وابو بكر بن عبد الرحمان ، والثاني عدم جوازه الامع خوفه خروج الوقت قاله ابو محمد ابن التبان – وبه اقول – وكذلك القولان في جواز المرور فيها فلازم قول ابن التبان انه لا يجوز الا من ضرورة وهو الذي اخترناه ، وفعل ابى سعيد وهو مشيه فيها يقتضي الجواز لانه لم يذكر انه لم يجد طريقا وهو الذي فهم منه شيخنا ابو يوسف يعقوب وعمل عليه ، وفعل شيخنا ابى محمد الشبيبي ظاهر في الاول الا ان يكون منه على جهة الورع والاصل خلافه .

---

(108) هذا الاستدلال على منع التطرق مقبول وتطبيقه على منع الصلاة فيه نظر لانمجرد أداء الصلاة ليس فيه تصرف .

(قلت) : قال الشيخ ابو محمد عبد الله بن ابي زيد كان بين ابى سعيد بن اخي هشام واخيه مشاجرة فى ربع فرفعه الى النعمان قاضي القيروان للبيع ، فاخبر القاضي بمكانه فامر بادخاله ومن معه وقال ، هاهنا جواري ! قال : جئت مخاصما قال جواري ولو خاصمك اهل القيروان ! فذكر له خبر اخيه فهم النعمان بضربه وسجنه ! فقال له لم ارد هذا وانما اريد ان تاخذ على يده وتزجره ، — وقبله عياض لسكوته عنه — وفيه عندي نظر والحقّ التسوية بينه وبين اخيه ، واما جلوسه بجواره دون اخيه على ظاهر الكلام فلا يجوز عندي ولا افعله ولو كان امير المؤمنين وليس له الا المساواة واما ان يوكل غيره وينصرف واحرى ان لا يسمع كلامه مجردا على اخيه دون بينة ، وعادتي نتحفظ فى هذا كل التحفظ حتى اسوى بين الغريمين في النظر . اذا لم ننظر للمدعى وهو يتكلم لامر مّا — كضر ووجع بعيني اشتغلت بحكها — لا انظر للمدعى عليه وقد زال وجع عيني ونسمع كلامه كما سمعنه من الاول ومن شرط القاضي العدل ان يسوّي بين القوى والضعيف والشريف والمشروف بحيث لا تاخذه في الله لومة لائم ، واكثر قضاة الوقت بالقيروان وغيرها لا يحافظون على هذا ومثله ، وذلك لا يجوز لهم وهو من جورهم ، وصرع انسان بجنب ابي سعيد ، فقال له الجان على لسان المصروع انت تنكر هذا يا ابا سعيد فانا اخبرك ان اردت بما فى بيتك وما جرى لك مع خادمك البارحة فقال له ابو سعيد اسكت يا مشئوم — وكان ابو سعيد ينكر مثل هذا قبل هذا فصار يصدق بمثل هذا ونحوه — وذلك انه دخل على امراة من قرابته صرعت فقال له الجني : كنت البارحة جالسا تحت الميزاب وانت تاكل التمر ولقد رميتني بنواة تحب اتيك الليلة فقلت لا يا مشئوم .

(قال) : وقال احمد ابن القاضي النعمان يا ابا سعيد لم تقولون ان من قذف عائشة يقتل وانما قال الله تعالى (والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) وجلد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلما

اهل الافك ثمانين جلدة فلم لم تاخذوا بالقرآن ولا بما فعل النبي صلى الله عليه وسلم تسليما ؟ فقال ابو سعيد قال الله تعالى (اولئك مبرءون مما يقولون) وقال : (الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات) فجلد من قذفها قبل البراءة بالقرآن ، وبعد القرآن من قذفها فقد رد القرآن ومن رد حرفا من القرآن فقد وجب قتله باجماع (قلت) : السائل له كان عراقي المذهب (109) وكان رحمه الله اولا يبيع الحنطة ثم رجع يكتب الوثائق وياخذ عليها الاجرة لقلة ذات يده .

(قال) توفي ابو سعيد يوم الجمعة السابع من صفر سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة (قلت) : كذا قال ابو بكر المالكي وابن الرقيق وقال غيرهما بل توفى سنة احدى وسبعين وثلاثمائة (قال) : وحضر جنازته اهل المدينتين المخالف والموالف وحضر السلطان في موكبه (قلت) : المراد بالمدينتين القيروان وصبره والسلطان هو عبد الله ابن زيد الصنهاجي (110) ورثى بمراث كثيرة ، (قال) : وصلى عليه ابن الكوفى القاضي ودفن جوار القاضي عبد الله بن هاشم في صحنه على طرف الحفرة (قلت) : وقبره مزار وعند قبره بويقات لطاف تقول العامة نسمع انه كان فى القديم اذا استنقع فيها ماء المطر فيستشفى بذلك الماء من وجع العين بان يمسح بشيء من ذلك على العين من فوق ثم ترك الناس ذلك .

٢٣٢ ● ومنهم أبو بكر عمرون المتعبد

(قال) : سمع من ابى عبد الله العسال وابي محمد بن الحجام وكان يختلف

---

(109) وهو ابن النعمان ، قاضى الشيعة المعروف ، وقوله بعد ذلك وكان رحمه الله يبيع الحنطة الخ كلام مستأنف يعود على المترجم ٠

(110) المعروف فى التاريخ ان والى القيروان حين وفاة المترجم هو بلقين بن زيرى الصنهاجى الذى استخلفه المعز العبيدى لما انتقل لمصر واسمه فى التاريخ يوسف وربما انتحل اسم عبد الله حين ولى الامارة ، فيكون قوله : ابن زيد تحريفا عن ابن زيرى وهو قريب ٠

الى ابي محمد بن التبان ثم لزم داره فكان يزار وكان ذا تقشف وعبادة وحسن حال ولم ير في العباد اجمل منه كان يلبس الاسماط والشروف وتصدق بثلاثة ءالاف دينار عينا ذهبا من مال ورثه من ابيه توفى سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة رحمه الله تعالى .

٢٣٣ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن حسن الزويلى السرتى رحمه الله

(قال) : سمع بافريقية من ابي عبد الله محمد بن مسرور العسال وابى محمد ابن الحجام واحمد بن نصر وابن اللباد ومحمد بن ابى المنظور القاضى وابى العرب ابن تميم واحمد بن عبد الرحمان القصرى وغيرهم ، ورحل الى المشرق ، فسمع من ابى اسحاق بن شعبان وغيره وكان من اهل العلم والقرآن والفرايض وكان يجلس في مؤخر الجامع وتجتمع اليه الناس ويفتي في المسائل ، وما تزوج قط ولا تسرى ، صحب مروان العابد ، وكان مروان يقدمه للصلاة به ، وكان يسرد الصوم حتى ذهب بصره ، وكان فقيرا صابرا على الباساء والضراء ولما احتضر راى بعض الجيران فى داره جواري يتلاعبن فقال لمن انتن قلن لهذا الشيخ اونسه حتى يخرج من هذه الدار ، توفى سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وقد بلغ خمسا وثمانين سنة ودفن بباب سلم رحمه الله تعلى .

٢٣٤ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبى سعيد ابن أخى هشام

(قال) : كان اوحد العباد في وقته من اهل مكابدة الليل والتهجد بالقرآن وسرد الصيام ، رقيق القلب غزير الدمعة كثير الخشوع ممن يمشي على الارض هونا واذا نظر الناظر الى وجهه كانه ثكلى ذو سكينة (قلت) : زاد غيره : وكان

زاهدا ورعا عفيفا (قال) : وكان يختم القرآن كل ليلةختمة ، قال ابو بكر التجيبى انشدني لعمران بن حطان :

حتى مات تسقى النفوس بكاسها ريب المنون وأنت ساه ترتع
أفقد رضيت بان تعلل بالمنى والى المشيئة كل يوم تدفع
احلام لوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع
فتزودن من قبل يومك دائما ام هل لغيرك — لا ابا لك — تجمع

توفى رحمه الله سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ودفن بباب سلم مع والده .

٢٣٥ ● ومنهم أبو القاسم ابن حمديس القطان العابد رحمه الله تعالى ورضى عنه

(قال) : كان من ازهد الناس في الدنيا واحسنهم حالا مع الله يوالى في الله ويعاد في الله ويغضب له لا يخاف ولا يرهب الا الله عز وجل ، ذو حنين وزفير وانين لجراحات من الذنوب دامية قدمها ، وميدان لهو جر فيه اذياله ، ثم تاب وارعوى ، وعطف من عنانه فسما ، وتخلى عن الدنيا ورفضها ، ولبس المنبوذ ورضي بالتافه حتى فارقها ، قال عبد الله بن التبان قال لي ابو القاسم ركعت ليلة ما قدر ونمت ، فبرز لي كف وقيل اقرا فقرات (هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب) ، وكانت اشارة الى المحبة والشوق مع خوف وحزن واسف وانابة ، توفى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ودفن بالرمادية على قارعة الطريق وقبره معلوم رحمه الله .

٢٣٦ ● ومنهم أبو العباس عبد الله بن عبد الرحمان الاجذابى المؤرخ

(قال) : كان عالما فاضلا عارفا بالتاريخ وكان في كل فن واحد وقته مع

صحبة للصالحين وكان ثقة ، توفى فى السابع عشر من جمادى الاولى سنة اربع وثمانين وثلاثمائة ودفن بباب سلم وقبره معروف رحمه الله تعالى .

٢٣٧ ● ومنهم أبو بكر بن على بن نصر الزعفرانى رحمـه اللـه

(قال) : كان صالحا صاحب نسك وتقشف وعبادة ومجاهدة وكرم اخلاق ومعاشرة محققا فى مقامات الصديقين ومنازل العارفين (قلت) : زاد غيره وكان ورعا زاهدا في الدنيا راغبا فيما عند الله من رآه فكانما راى السلف الصالح من الصحابة والتابعين رد كثيرا من الخلق الى الله عز وجل بعذوبة الفاظه ورقة طبعه وحسن هديه وكان كثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تاخذه في الله لومة لائم ولا يهاب احدا في قول يقوله ولا يترك شيئا مما يجب عليه فعله اوينذب اليه من اجل احد من الناس سلطانا كان او غيره (قال) : قال ابو بكر التجيبي حدثني ابو عبد الله محمد بن مسرور العسال عن المقدام قال لما حج ابو جعفر المنصور اشخص الحسن بن زيد امير المؤمنين (111) وكان في مجلسه ابن شبرمة القاضي ومالك بن انس وابن ابى ذئب وعبد الملك بن جريج فسال ابن ابي ذئب عنه فاساء القول فيه فقال الحسن يا امير المؤمنين هذا قوله فينا اهل البيت فلو سالته عنك فقال له المنصور وما تقول فيّ ؟ فقال له وما عسى ان اقول ؟ ومعن ابن زايدة خطيئة من خطاياك : فاطرق ابو جعفر قال ابن جريح فقبضت ثيابي وجمعتها اليّ لئلا يصيبني دمه ، فوضع المنصور يده الى قفاه وقال له والله لولا انا لاخذت ابناء فارس والروم والترك والديلم هذا المكان منك ! قال ابن ابى ذئب قد ولي ابو بكر وعمر فاخذا بالحق وقسما بالسوية واخذا ابناء فارس والروم فازال ابو جعفر يده وقال والله

(III) الظاهر انه يعنى بأمير المؤمنين زيدا بن على زين العابدين الذى ادعـى الخـلافة وقتله هشام وصلبه بالكوفة : وذكر النسابون من ولده ـ الحسن فلعله هذا .

لولا اني اعلم انك صادق لقتلتك ، (قلت) : في كلامه بتر لانه بقى منه وكان لابى جعفر خادم كريم فجعل يمسح صدر ابن ابي ذيب وهو يقول هذا رجل لا تاخذه فى الله لومة لائم (112) (قال) : توفى ابو بكر سنة تسع وثمانين وثلاثمائة رحمه الله تعالى .

٢٣٨ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط الواعظ ويعرف بابن قمرة (*)

(قال) : لقي بمكة ابن الجلا وابا يعقوب النهرجوري ولقي الدينوري وابن الكاتب وابن جابان وعتبة وكان ذا تقشف وعبادة متصوفا تصوفا مشوبا بتقوى رقيقا شفيقا رد كثيرا من الخلق الى الله تعالى بعذوبة الفاظه ورقة طبعه ، يضع دواءه على داء القلوب وجراح الذنوب حتى كثر الخير بمجالسته والنسك فى اهل عصره برقة حكاياته قال ابو بكر التجيبي انشدني :

ماذا تقول – وليس عندك حجة – لوفد اتاك منغص اللذات ؟
ماذا تقول اذا دعيت فلم تجب واذا سئلت – وانت في غمرات –
ماذا تقول – وليس حكمك جائزا فيما تخلفه من التركات – ؟
ماذا تقول اذا حللت محلة ليس البغاة من اهلها بثقات ؟

قال ابو بكر التجيبي شهدت بمسجد السبت وقد قال بعض القراء :

امن بعد ستين تبكى الطلولا وتندب ربعا يبابا محيلا
وقد ضحك الشيب فى عارضيك وجر على مفرقيك الذيولا

---

(112) هذا المجلس ليس من الترجمة وانما اورده تنظيرا للمترجم بهذا الامام الجرى.
(*) بالاصل أبو عبد الله احمد ويعرف بابن نمرة – والاصلاح من ق وهي أصح .

فقام وهو مستغرق فى حاله ، ثم قال : من لم يصلح الماضي بالآتي أخذ بالوقتين ، ودخلت عليه حين موته وقد سجي بثوب وانه لمبتسم على سريره حتى غسل ، ولم يوجد له كفن ولا ما يحفر به قبره فكفنه ابو محمد بن ابى زيد ، توفى يوم السبت السابع عشر من شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة وتوفى ابو محمد بن ابى زيد بعده بثلاثة أيام يوم الاثنين .

٢٣٩ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن أبى زيد واسم أبى زيد عبد الرحمان النفزاوى (*) نسبا القيروانى مولدا ومنشا ومدفنا

(قال) : سمع بافريقية من ابي بكر محمد بن محمد بن اللباد وعليه كان اعتماده في الفقه ، وسمع من عبد الله بن مسرور بن الحجام ، وابى عبد الله محمد بن العسال ، وحبيب بن الربيع ، ودارس بن اسماعيل الفاسي الجراوي ، والحسن بن نصر التوزري ، وابي الحسن علي بن محمد الخولاني ، وابى الفضل العباس بن الممسى ، وابي ميسرة احمد بن نزار ، وابي العرب محمد بن احمد بن تميم ، وعبد الله بن سعيد الحداد ، والحسن بن بدر ، وحبيب بن ابي حبيب الجزري ، ومحمد بن موسى القطان ، وسعدون الخولانى ، وابى الحسن الكنايسي وابى عبد الله محمد بن الفتح المرجي ، وعثمان بن سعيد الغرابلي ، وابى بكر بن سعدون ، واجازه من اهل المشرق ابو سعيد بن الاعرابي ، وابراهيم بن ابى بكر بن المنذر عن ابيه ، وأبو بكر الابهري ، وجماعة من البغداديين (قلت) : وتفقه عليه جلة من القرويين والاندلسيين واهل المغرب فمن القرويين ابو بكر بن عبد الرحمان وابو القاسم (113) خلف البراذعي وابو القاسم اللبيدي وغيرهم .

(*) ق : النفزى ولا سواء بينهما لانه يوجد بالقطر التونسى شمالا نفزة ـ وجنوبا نفزاوة واكثر النقول النفزى .

(113) ق : وأبو سعيد .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان من اهل العلم والعبادة والورع والفضل والاحسان بالمحل الاعلى انتشرت امامته فى العلم شرقا وغربا ، وظهرت فضائله وفواضله بعدا وقربا ، واحد الزمان جلالة وعلما ، وفريد العصر عقلا وفهما ، مع ورع حاجز ، وحسن سمت ووقار ، وارتفاع همة ، وعذوبه الفاظ ، وملاحة ايراد ، وجزالة معان ، ضربت اليه الاكباد من سائر البلدان ، (قلت) : وقال بعضهم : كان ابو محمد امام المالكية في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح اقواله ، وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية ، كتبه تشهد له بذلك ، فصيح اللسان ذا بيان ومعرفة بما يقوله ، ذابا على مذهب مالك قائما بالحجة عليه ، بصيرا بالرد على اهل الاهواء ، يقول الشعر ويجيده ، ويجمع الى ذلك صلاحا تاما وورعا وعفة ، وحاز رئاسة الدين والدنيا ، واليه كانت الرحلة في الاقطار ، وقال الشيخ ابو الحسن القابسي : كان ابو محمد اماما مؤيدا موثوقا به في درايته وروايته ، وقال غيره : اجتمع في ابي محمد العلم والورع والفضل والعقل شهرته تغنى عن ذكره ، وقال ابو الحسن علي بن عبد الله القطان : ما قلدت ابا محمد حتى رايت السبائى يقلده ، وقال الشيرازى : كان يعرف بمالك الاصغر ، وزاد غيره : وبقطب المذهب ، وكان اذا اشكل عليه شيء من كلام السلف يرى بيانه في النوم ، ويقال : لولا الشيخان والمحمدان والقاضيان لذهب المذهب ! فالشيخان ابو محمد بن ابي زيد وابو بكر الابهري ، والمحمدان محمد بن سحنون ومحمد بن المواز ، والقاضيان ابو محمد عبد الوهاب وابو الحسن بن القصار ، وكان مؤيدا في فتاويه وتواليفه من ذلك ما ذكره ابن بزيزة في تفسيره لقوله تعالى (يسالونك عن الانفال) قال سمعت بعض شيوخنا يحكي : انه توفيت امرأة بالقيروان كانت مشهورة بالزنا ، فلما جاءت الغاسلة لتغسلها – وهي ميتة – ضربت بيدها على فرجها وقالت : قد طالما عصيت الله سبحانه بهذا الفرج ! فالتصقت يد الغاسلة بفرج الزانية ! فجاء الناس الى ابي محمد بن ابى زيد فاخبروه بالقضية فامر بان

يقام على الغاسلة حد القذف : ففعل ذلك فزالت يدها (قلت) : ويعني بعد طلب الوارث ذلك .

(قال) : وله تواليف كلها نبيلة ، منها كتاب النوادر ، وكتاب المختصر للمدونة ، وكتاب الرسالة ، وكتاب الاقتداء وكتاب الذب عن مذهب مالك ، ورسالته في رد السائل ، وكتاب المضمون من الرزق ، وكتاب المعرفة واليقين والتوكل ، وكتاب المناسك ، وكتاب شرح مسالة الحبس ، وكتاب اعجاز القرآن ، وكتاب التنبيه ، وكتاب رد الخاطر من الوسواس ، وكتاب قيام رمضان والاعتكاف ، وكتاب اعطاء الزكاة للقرابة ، وكتاب كشف التلبيس ، وكتاب الرد على ابى ميسرة المارق ، وكتاب حماية عرض المؤمن ، ورسالة وعظ — وعظ بها محمد ابن الطاهر القايد — وكتاب فيه حكايات عن ابن الحداد ، واول تواليفه الرسالة كان الشيخ ابو اسحاق السبائي سأله وهو في سن الحداثة ان يؤلف له كتابا مختصرا في اعتقاد اهل السنة مع فقه وآداب ليتعلم ذلك اولاد المسلمين ، فالف الرسالة وذلك سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وسنه اذ ذاك سبع عشرة سنة

(قلت) : وقال ابو عبد الله محمد بن سلامة التونسى وابو علي ناصر الدين البجائى : انما سأله تاليفها الشيخ المؤدب محرز بن خلف التونسي — وهذا هو الصحيح عندي — لان قول الشيخ ابى محمد كما تعلمهم حروف القرآن يدل على ذلك لاني لا اعلم ان احدا ممن تعرض الى مناقب ابي اسحاق السبائي ذكر انه كان مؤدبا ، ولا يقال : لا مانع ان يكونا معا سالاه واسعفهما لان إفراد الضمير في قوله (وإياك) ياباه (قال) : فانتشرت الرسالة في سائر بلاد المسلمين حتى بلغت العراق واليمن والحجاز والشام ومصر وبلاد النوبة وصقلية وجميع بلاد افريقية والاندلس والمغرب وبلاد السودان ، وتنافس الناس فى اقتنائها حتى كتبت بالذهب ، واول نسخة نسخت منها بيعت ببغداد في حلقة ابي بكر الابهري بعشرين دينارا ذهبا ، (قلت) : ولما فرغ من تاليفها كتب منها

نسختين وبعث بواحدة الى ابى بكر الابهري ببغداد فوصلت اليه فاظهر الفرح بها وأشاع خبرها بين الناس واثنى عليها وعلى مؤلفها ، وامر ببيعها ليحسن بثمنها الى الواصل بها ، فبيعت بمائتى دينار دراهم فقال لا تباع الا وزنا بوزن ففعل ذلك فجاء وزنها ثلاثمائة دينار ونيفا ، وبعث بالاخرى الى ابى بكر ابن ابى زرب بقرطبة فوصلت اليه فاخفاها واخذ في تاليف كتاب الخصال عوضها ، فبعد ذلك اظهرها ، فقال لسان الحال : (وطئوا ووطأنا وسيظهر ما كان لله) فكتب ابو محمد الى الأبهري يخبره بما فعل ابن زرب فراجعه الابهرى برسالة يقول فيها

اعجب ما في الامور عندى اظهار ما تدعي القلوب
تأب نفوس نفوس قوم وما لهم عندهم ذنوب
وتصطفى انفس نفوسا وما لها عندهم عيوب
ما ذاك الا لمضمرات يعلمها الشاهد الرقيب

ومدحها القاضي ابو محمد عبد الوهاب بن نصر المالكي فقال :

رسالة علم صاغها العلم النهد قد اجتمعت فيها الفرايض والزهد
اصول اضاءت بالهدى فكانما بدى لعيون الناظرين بها الرشد
وفي صدرها علم الديانة واضحا وعاداب خير الخلق ليس لها ند
لقد أمّ بانيها السداد فذكره بها خالد ما حج واعتمر الوفد

وشرحها القاضي ابو محمد هذا في نحو من الف ورقة منصوري ، واول نسخة من هذا الشرح بيعت بمائة مثقال ذهبا ولما كان القصد بها ان تعلم لاولاد المسلمين لم يبق بلد من بلاد الاسلام الا بلغت اليه ولم يكن احد من الفقهاء الا وهو يثني على ابي محمد ويصف كماله فى العلم ، وذكر ان القاضي ابا بكر بن الطيب الباقلاني ذكر ابا محمد في بعض تواليفه واعتذر عنه فيما نسب اليه من انكار الكرامات

ولم يكن مذهبه انكار سائرها وانما كان يبلغه عن ابن الصقلي اشياء الله اعلم بها وبصحتها كانها عنده من جنس المحالات فكان ينكر ذلك وكيف وهو يحكي كثيرا من الكرامات عن ابى اسحاق السبائي ، ومنها ما جرى له معه فى قصة ابنته حيث مرضت عيناها فرقاها ابو اسحاق من داره وهي في دارها فبرئت من حينها ، (قلت) : وتقدم عند التعريف بالسبائي عن ابى محمد انها برئت في ثلاث (قال) : ولابى محمد جزء في اثبات كرامات الاولياء ، وكان رحمه الله تعالى متفننا في علوم كثيرة منها علوم القراءات ، وتفسير القرآن ، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، ومعرفة رجاله واسانيده وغريبه ، والفقه البارع واثار العلماء ، وكتب الرقايق والمواعظ والاداب .

(ذكر) جوده وسخائه .

(قال) : كان رحمه الله من الاجواد واهل الايثار والصدقة كثير البذل للفقراء والغرباء وطلبة العلم ، كان ينفق عليهم ويكسوهم ويزودهم ، وقد ذكر انه بعث الى القاضي ابي محمد عبد الوهاب بالف دينار عينا ، (قلت) : وكان شيخنا ابو الفضل ابو القاسم بن احمد البرزلي يزيد : فلما بلغته قال : هذا رجل وجبت عليّ مكافاته فشرح الرسالة ، (قال) : ووصل يحيى بن عبد الله المغربي حين قدم القيروان بمائة وخمسين دينارا ذهبا ، وجهز ابنة الشيخ ابي الحسن القابسي باربعمائة دينار عينا وقال كنت أعددتها من حين إملاكها لئلا يشتغل قلب ابيها من قبلها ، وبعث الى الفقيه ابي القاسم بن شبلون — فى مرضة مرضها — بخمسين دينارا ذهباً ، وذكر الفقيه ابو بكر بن ابي العباس الصقلي يوما ابا محمد فى مجلس فتاويه وذكر فضائله فبكى وقال : كان اعطاني ايام طلبي عليه بالقيروان جارية وان ولدى هذا منها واشار الى ولده ، وله صنائع مشكورة ، ولقد حدثني الشيخ ابو بكر محمد بن احمد بن سيد الناس اليعمري عن ابيه عن الحافظ ابى الربيع سليمان بن محمد المقري عن ثقاة شيوخه ان بعض طلبة الاندلس

وصل الى الفقيه ابي محمد للقراءة عليه فاكرمه وانزله واجرى عليه ما يحتاج اليه من نفقة وجعله امام مسجده فبينما هو ذات يوم خارج من داره الى الصلاة – وكانت داره التي انزله فيها مجاورة للمسجد في قبالة حمام ابى محمد – اذ نظر الى امرأة خارجة من الحمام وقد كشفت عن وجهها لما نالها من حر الحمام ولم تظن ان احد ينظر اليها ، فلما راته سترت وجهها وانصرفت فقيدت بصره واخذت من نفسه مأخذا عظيما ، فتبعها الى ان دخلت دار الفقيه ابي محمد بن ابي زيد – والفقيه ابو محمد ينظر اليه في تلك الحالة – فلما رآه ينظر اليه سقط في يده ، وداخله من الحياء والخجل ما لا مزيد عليه ، ورجع الى داره حزينا كئيبا ، فلما تاخر عن الصلاة اتاه المؤذن يؤذنه بها ، واعلمه ان الشيخ أبا محمد بعث اليه ، فاتى فصلى بالناس ، ثم اخذ الفقيه معه فى المذاكرة والمؤانسة الى ان صلى العشاء الآخرة ، فقال له ابو محمد : انصرف الى دارك حتى اصل اليك ، فلم يشك انه يقول له فى ذلك وظن سوءا وعاد اليه حزنه وكآبته ؟ فلما وصل الى داره لم يجلس الا وابو محمد فى اثره ، فقال له : يابني انما جئتك معتذرا من تقصيري فى حقك اذ لم أقم بجميع ما تحتاج اليه ، وذلك اني لم أتفقد انك تحتاج الى النساء فانك شاب – وها انا شيخ احتاج الى الزيادة من ذلك – فكيف انت ؟ واما الصبية التي رايتها خارجة من الحمام فاني ربيتها صغيرة لنفسي ، وهي لك ، وما اخرتها لهذا الوقت الا انهم في الدار من ذلك الحين يصلحون من شانها فلم يبرح حتى وصلت الصبية بجميع ما تحتاج اليه من ثياب وحلي وفرش وتركها في منزله وانصرف .

(قلت) : يعني بعد ان عقد له النكاح عليها وانما سكتوا عنه لوضوحه ، واعجباه ! هكذا كان خواص العلماء فى اخلاقهم وانصافهم واعانتهم ، ولو وقع اليوم اقل من هذا لتلميذ مع شيخه لما نظر له في وجه ولا صلى وراءه ابدا ولا يقدمه فى خطة شرعية ولا يقبل له توبة ابدا ! وكان شيخنا ابو الفضل

البرزلي حفظه الله تعالى اذا نقل هذه الحكاية يقول : انما تبعها ليعرف دارها حتى يسال عنها هل لها زوج ام لا فان لم يكن لها زوج خطبها ، فتبعها حتى دخلت دار الشيخ فخجل فرفع بصره واذا بالشيخ ينظره وهو جالس من طاقة في علو داره ، وكان شيخنا المذكور ينقل غير ما مرة حكاية اخرى ، وهي ان ابنة الشيخ ابى محمد دخلت حماما في اول الليل فاطالت الاقامة وهي معتقدة ان اول الليل لم يزل فلما خرجت لم تجد احدا يمشي فخافت ان هي مشت الى دار ابيها قد يقع بها من يؤذيها ، فضربت باب علو فخرج لها منه رجل فقال لها ما تريدين ؟ فقالت كنت في الحمام واعتقادي ان اول الليل لم يزل وخفت ان مشيت الى داري يضرني من يجدني فاحببت ان ابيت عندكم حتى يطلع النهار ، فقال افعلي ، فوجدت رجلا من طلبة العلم وكتبه بين يديه ، فاخذ ينظرها وليس معه في الموضع احد ، فخافت منه ، فلما كان بعد ساعة وسوسه الشيطان لعنه الله تعالى وقال له هذه طفلة جميلة الصورة جاءت لمكانك ! فقال : لا افعل فان النار عظيمة وطرد ذلك عنه فعاودته الوسوسة فاخذ يعظ نفسه بالنار فلم تنته ، فاخذ اصبعه فوضعه على ذبالة المصباح وقال لنفسه : نار القيامة اعظم فهل لك صبر عليها ؟ وجعل ينقل اصابعه العشرة على الذبالة والنار تشوطها وهي تنظر ، وما زال كذلك حتى طلع الفجر فقال لها سلمني الله واياك وان الفجر قد طلع فامش الى دارك ، فمشت فوجدت امها خلف الباب وهي تلتهب عليها ، فقالت لها يا بنية لعلك سالمة ؟ قالت سالمة واعلمتها كيف جرى لها ، واعلمت والدتها والدها ابا محمد ، فجعل الشيخ ينظر فى طلبته لعله يعرف الرجل فلما جاءت الدولة اليه اخذ الكتاب ليقرا فيه بيديه وهما مغطماتان فى كمه فعلم انه هو ، فلما فرغ الميعاد واخذ الناس فى الخروج واراد الرجل الخروج كغيره اشار اليه الشيخ بالجلوس ، فساله عن كونه لم يخرج يديه ؟ فكلمه بكلام علم انه صاحبه ، فعرفه انها ابنته وزوجه اياها ، واعجباه هكذا كان خوف العلماء من النار فغلب نفسه رحمه الله تعالى وصبر فربح خير الدنيا والاخرة .

(ذكر كراماته وبقية اخباره)

كان رحمه الله تعالى يفتح مجلسه بجواب سؤال السائلين عن غوامض المسائل ودقايقها ، وربما قال حدثتني نفسي ان في هذا المجلس كذا وكذا سؤالا فايكم صاحب سؤال كذا ؟ فيقول بعض الحاضرين انا فيجيبه ، قال : ذكر ان المؤدب محرز بن خلف التونسي رحمه الله قصد الى زيارة ابى محمد فلما دخل الى داره اتوه بابنة الفقيه ابى محمد ليدعو لها — وكانت قد اقعدت — فدعا لها فقامت على قدميها ومشت من ساعتها ! فكثر التعجب من ذلك ! فقال المؤدب محرز والله ما قلت الا : اللهم بحرمة ابيها عندك اكشف ما نزل بها ، فشفاها الله ببركة ابيها . (قلت) : ومثل هذه سمعت ممن يوثق به ان مؤدب اولاد الشيخ ابى محمد ضرب واحدا منهم بسوط فاخطا السوط فجاء على عينه فسالت ! فبادر ورد العين لموضعها ورمق ببصره الى السماء ودعا بدعاء خفى وأزال يده فرد الله بقدرته العين كما كانت ! وكان ابو محمد ينظر من طاق وهو جالس في علو له شارف على المكتب ، فوقع بصرة على جميع ذلك ، فبادر الى دواة وقلم وورق واتى الى المؤدب فاخذ المؤدب يعتذر ، فقال ابو محمد : كل ذلك رايته ولكن أمل علي الدعاء الذى دعوت به لئلا تنساه لادعو به لنفسي فقال : يا شيخ لما رايت مصيبتي عظمت دعوت الله تعالى فقلت اللهم ببركة والده رد عينه كما كانت .

(قال) : روي ان المؤدب محرزا زار الشيخ ابا محمد بالقيروان على عادته فبات عنده ليلة ، فلما كان بعد ذهاب النصف الاول من الليل قام الشيخ محرز لحزبه ، فطلب الماء فلم يجده فقال لابي محمد : قل للخادم تكنس السطح وتفتح الميزاب ففعل ، ورقى محرز السطح ودعا ما شاء الله فاقبلت سحابة بماء غزير وامتلا ما جل الدار ، ثم نزل محرز واستقى الماء وتوضا جميعا وقضيا وردهما ، فلما اصبح خرج ابو محمد لمجلسه فاخبر اصحابه بما نزل من المطر ! فقالوا

ما نزل عندنا منها شيء ! ولم يكن المطر الا بمقدار دار الشيخ أبي محمد ولم ينزل بالدار الملاصقة لها شيء ! (قلت) : هذه الكرامة انما هي مختصة بالشيخ محرز فليس لابى محمد فيها شيء فتذكر فى كرامات المؤدب محرز (114)

(قال) : حدثنى ابو الحسن احمد بن محرز بن السراج اخبرنا ابو القاسم خلف بن عبد الملك اخبرنا ابو علي الصدفي اخبرنا ابو عبد الله بن سعدون اخبرنا الشيخ ابو بكر ابن عبد الرحمان اخبرنا الشيخ ابوالحسن علي بن محمد القابسي ان رجلا راى النبي صلى الله عليه وسلم تسليما في المنام فقال له : اقرا على ابن ابي زيد السلام وقل له جزاك الله عن نبيك خيرا ، (قلت) : وكان بعض الثقات من اصحابنا يزيد في هذا الحديث لانك حفظت على امتي دينهم في قولك ويسترخى قليلا (115) — ويذكر ان ابا محمد لم يسبقه احد الى هذا التنبيه — (قال) : وكان رحمه الله تعالى كثير الاشفاق على ما كان عليه من الاجتهاد فى الخير قال ابو القاسم عبد الرحمان بن محمد اللبيدى : اجتمع عيسى بن ثابت بالشيخ ابي محمد بن ابى زيد فجرى بينهما بكاء عظيم ، فلما اراد فراقه قال له عيسى احب ان اكتب اسمي على البساط الذي تحتك فاذا رايته دعوت لي ، فبكى ابو محمد وقال له : قال الله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) فهب اني دعوت لك فاي عمل صالح يرفعه ؟ (قلت) : وذكر عن ابي محمد انه قام ليلة للوضوء فصب الماء من القلة فى الاناء فانهرق ثم صبه ثانيا فانهرق ثم جرى له ذلك ثالثا فاستراب وقال : من يتمرّد علينا ؟ فسمع من يقول له ولا يراه : ان الصبى بال فرشّ القلة فكرهنا وضوءك منها .

(ذكر وفاته وما يتعلق بذلك)

---

(114) بل هما مشتركان فى الكرامة ولعله دعا بمثل دعاء المؤدب ولا مانع من اشتراكهما معا فى الدعاء .

(115) نص من الرسالة فى كتاب الطهارة .

(قال) : توفي ابو محمد يوم الاثنين عند الزوال الموفى ثلاثين من شهر شعبان سنة ست وثمانين وثلاثمائة (قلت) : وعاش ستا وسبعين سنة (قال) : وصلى عليه الشيخ ابو الحسن القابسي بالريحانية عند باب اصرم يوم الثلاثاء في جمع لا يحصون ودفن بداره وروى عنه (116) انه لما سمع بوفاته سقط الى الارض وقال الان انكشفت عورتي لما كان ينوب عنه في الفتوى ، وبكى عليه حتى كاد ان يغمى (قال) : ظاهر هذا انه لم يخلق اعمى ولا عمى قبل موت ابي محمد وهو خلاف ما ياتي لعياض في قوله كان القابسي فقيها اصوليا متكلما مؤلفا مجيدا وكان اعمى لا يرى شيئا ، وذكر ابو محمد انه راى في منامه ان باب داره سقط فمات عن قريب (قال) : وقد رثي بمراث كثيرة تركتها لشرط الاختصار ، منها مريثة ابى زكريا يحيى بن علي الفقيه الشقراطسي يقول فيها :

خطب المّ فعم السهل والجبلا ... وحادث حلّ انسى الحادث الجللا
ناع نعى ابن ابي زيد فقلت له ... اشمسنا كسفت ام بدرنا افلا
ام مادت الارض وارتجت بسا كنها ... ام الحمام بعبد الله قد نزلا
فان يكن صدرنا حام الحمام به ... فالصدر صاد ومن نار الاسي شعلا
رزية عظمت اتراحها : أفلا ... ابكي ؟ وهل سلوة والبدر قد افلا؟
رجت لموقعها الارجاء وارتجفت ... وزلزلت لضجيج بالعويل علا
والناس من فرق سكرى على فَرق ... وكلهم كلّهم خطب به ذهلا
على الجليل الذي جلت مفاخره ... ومن ماثره اضحت لنا جملا
كل البسيطة بسط الحزن قد بسطت ... وقبره بسنا انواره ابتهلا
وكيف لا وولي الله حل به ... قطب المشايخ نور للهدى اكتملا
ما بالصلاة ولا بالصوم فاتهم ... لو كان هذا المكان الامر قد سهلا
لكن بسر من الرحمن اوقره ... بصدره فليهن الصدر ما حملا

---

(116) أي القابسي .

(قلت) : وكنت كثير الزيارة لقبره والجلوس بداره وحفظت فيها كثيرا من ابن الحاجب ويغلب على ظني ان ما فتح الله علي الا بملازمتي للدعاء عند قبره وقبر الشيخ ابى الحسن القابسي ونحوهما ، وكنت نويت في صغري ان كان مني شيء اضع على رسالته تاليفا فوفقني الله لذلك فالفته وانا بتونس فى حال القراءة بها وفرغت منه فى زمن قريب خشية حضور أجلي اذ الفته فى زمن الوباء ووصل الموت وانا اؤلف فيه ثلاثمائة كل يوم ، فاذا وجدت في هذا التاليف بعض تقصير مني فى حفظ المذهب فطالعه في شرح التهذيب تجده على اكمل وجه ، ولما فرغت منه رايت في منامي ابا محمد بن ابي زيد وكانه اعطاني قلنسوة وفيها اسطار مكتوبة فى بعضها بعض محو فاخذت اجدد ذلك المحو وعملنها على رأسي فقدمت قاضيا بجزيرة جربة باثر ذلك ، واقبل اشياخي وغيرهم على التاليف المذكور فكان ينقل منه بحضرتي وغيبتي على شيخنا ابى مهدي عيسى الغبريني قاضي الجماعة بتونس وشيخنا ابى الفضل ابي القاسم البرزلي وغيرهما وله منذ الفته ما يزيد على سبع وثلاثين عاما ووضعت بعده شرحا على تاليف الشيخ ابي القاسم بن الجلاب وذلك فى ثلاثة اسفار فى القالب الصغير في شرح الرسالة ووضعت على التهذيب تاليف الشيخ ابي سعيد البراذعي فشرحت منه على اكثره وكل ذلك ينقله طلبتى بين يدي وينقل في مواعيد اصحابنا والله سبحانه قال (واما بنعمة ربك فحدث) ونسال الله عز وجل ان لا يميتني حتى اكمله ليكون رحمة لي وللناس ، ولما مشيت لتونس للقراءة مكثت خمسة اعوام لم ازر القيروان — وفيها والدتي ووالدي واخوتي مع قرب الموضع ، فحاسبت نفسي يوما من اجل والدتي ، وقلت : من محبتها في لا تبعث لي بالوصول اليها لانى قد لا نريد ذلك، فمن طريق البر انى امشي اليها ، فمشيت فلما سلمت علي قالت لي : يا ولدي ما سبب وصولك وما بعثت وراءك ؟ فاعلمتها بما تقدم ، فقالت لي : كذلك كنت اقول ، فلما لم تنصف من نفسك بغير بعث مشيت الى قبر الشيخ ابي محمد بن ابى زيد ، وقلت يا شيخ ولدي — الذي كان يقرا عندك تأليف ابن الحاجب — غاب عني يقرا بتونس فله اليوم خمسة اعوام لم يزرني ، اللهم يا رب

بحرمة هذا الشيخ قلّب قلْب ولدي للوصول اليّ ، فغلب على ظني انه الوقت الذي تحرك فيه قلبي ، فاقمت عندها سبعة ايام خاصة ، واذنت لي فى الرجوع فرجعت .

وكان رجل من اصحابنا عنده ابنة فعرضها عليّ للتزويج فابيت ، فاخذ يشكرها شكرا تاما ، وكنت صغير السن فتعلق بي مذي وصار يلازمنى — وكنت اماما — فشق ذلك علي لاجل الصلاة بالناس — لما قد عرفت من الخلاف فى امامة صاحب السلس — فاتيت قبر الشيخ ابى محمد وبسطت له المسالة وتوسلت الى الله تعالى بما قرا وما قرىء عليه ان يرفعه عني ، فرفعه الله فورا وما رايته الى الان ، ولذلك نحو من اربعين سنة ، وما اتيت قبر الشيخ ابي محمد ودعوت الله عنده في شيء الا جعل الله من امري فيه فرجا ومخرجا ، واذا كنت خائفا من شيء ونقل نصل لقبره ندعو ثم نزاهد ولا نصل (117) ننتكب فى غالب الحال ككوني اعزل عن قضاء بلدة اكون فيها وقد عزلني السلطان امير المؤمنين ابو فارس عبد العزيز من بعض ولاياتي وامتلا علي غيظا لكثرة ما سمع ، وما علم ما عندي ، ووصلت الى القيروان باهلي فسكنت اعمل فيها الميعاد كعادتي ، فاكثرت عند قبره بالدعاء والتضرع الى الله عز وجل — بما قرأ الشيخ وقرىء عليه — ان يعرف السلطان حالي وما انا عليه ، فقدمني شيخنا ابو مهدي عيسى (118) رحمه الله تعالى قاضيا ببلد الاربص وامرني بالوصول لتونس لاخذ الظهير (119) بها فحضرت مجلس السلطان يوم توديع مشيخة تونس له لسفره — وهو فى محلته خارج تونس — فقال للكاتب اكتب فى ظهير ابن ناجي : انه يعمل الميعاد (120) فقال له شيخنا ابو مهدي هو مدرس مليح وطالب ، على ذلك

---

(117) يقول : انه تارة يزهد يعنى يتقاعس عن الزيارة فينكب الخ والعبارة عامية ومنها استعمال ضمير الجمع فى مقام ضمير المتكلم والخطب سهل ٠

(118) الغبرينى ٠

(119) أمر الولاية ٠

(120) مجلس ذكر مخصوص ٠

فما يفتقر للكتب (121) ، وقال آخر انه الف على رسالة ابن ابي زيد وقال شيخنا البرزلي والف على غيرها ويخطب في خطبه (122) ، فقال السلطان واذا كان هكذا اذا مله اهل بلد فلينقل لبلد آخر فان عزل هذا او مثله عجيب (123)

٢٤٠ ● ومنهم أبو عبد الله محمد الارشانى المتعبد

(قال) : كانت له سياحات ورياضات ورباط وعزلة وانفراد ، وحج فوق العشرين حجة ، وصام حتى نحل وغارت عيناه وعلاه شحوب ، قال ابو بكر التجيبي انشدني .

ارض بقوت تعش عزيرا ... سقيا لحر كفاه قوت
كم يرغب الراغب المعنّى ... حسبك فالرزق لا يفوت
احسنت ظنى فطاب عيشي ... علما بانى غدا اموت

توفى رحمه الله سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وصلى عليه ابو الحسن القابسي في جمع كثير ودفن بباب نافع رحمة الله عليه ورضوانه .

٢٤١ ● ومنهم أبو بكر بن يوسف الخزاعى المتعبد

(قال) : كان حسن البيان رقيق الكلام ذا عبادة وتلاوة وصلاة طويلة — وله لسان في علم القرآن والمعاملة ، يظهر الغنى ولا شيء عنده ، كثير الايثار ، صاحب كرامات كثيرة مشهورة ومعرفة بالله واخلاص فى معاملته ؛ وروي ان

---

(121) على ذلك اى بناء على حسن دراسته مع عالميته لا يحتاج الى كتب ، وبذلك اعفاه من هذه الزيارة .

(122) يعنى يجيد الخطابة .

(123) ق : عيب .

سائلا وقف ببابه فى مجاعة ولم يكن عنده الاثمنتان (124) من قمح فاراد صرفهما للسائل فاعترضته زوجته ، فقال لها خذي انت ثمنة وأنا ثمنة وحلف ان لا ياكل من ثمنتها شيئا واعطى ثمنته للسائل ، فصلى العشاء الاخيرة ودخل داره فوجد فيها قفيزا (125) قمحا ، وذلك ان بعض الناس قال له قالت لي نفسي ، ادفع قفيزا قمحا للشيخ ابي بكر في الحين والا تموت في هذه الليلة ، ثم عاوده الخاطر بما لم يقدر على دفعه فقام فحمل القفيز الى دار الشيخ ابي بكر ، فقال الشيخ ابو بكر لزوجته لو دفعنا الثمنتين للسائل لجاءنا قفيزان ، وحكي انه اشتهى يوما فقاعية فوقف على الجزار ليشتري لحما بسببها فساله سائل فدفع اليه ما كان معه من الدراهم ولم يترك ما ياخذ به اللحم فتركه ومضى فلما كان عند الفطر قدمت له زوجته فقاعية محكمة وخبزا سميدا ! فسالها عن ذلك ؟ فقالت وصل فلان بها ، فلقيه بعد ذلك وساله ، فقال اشتهيت ذلك اللون فلما حضر واعجبني خطر ببالي ان ابعثه لك فبعثته ، وحكى موفق الحجام — وكان يخدم الصالحين ويحلق رءوسهم — قال اصبحت يوما فى حانوتى فلم ياتى احد ، فقلت : اتفقد الشيخ ابا بكر لعله يحتاج الى حلق راسه ، فاخذت ماعوني وقصدت الى داره فلم اجده ، وقيل لي فى دار اخته ، فلما وصلت الى الدار نظرت من خلل الباب واذا بالشيخ ابى بكر جالس على كرسي واخته تصب الماء على راسه ليحلقه ، فضربت الباب فقال لي الشيخ : ادخل ! فدخلت فحلقت راسه ، قال ابو بكر التجيبي انشدنا الشيخ ابو بكر :

ذهب الذين عليهم وجدي ‏ ‏ ‏ وبقيت بعد فراقهم وحدي
سلف مضوا وبقيت بعدهم ‏ ‏ ‏ وكذلك يمضي من بقى بعدي

(قلت) : وقال ابو بكر التجيبي ايضا شهدته والقاريء يقول .

---

(124) الثمنة مكيل ستة اصواع .

(125) القفيز ستة عشرة ويبة ، الويبة ثمنتان .

ان لاهل الخلود منزلة — من ربهم فى الجنان اذ نزلوا
يقول يا صفوتي رضيتُ لكم — داري ففردوسها لكم نُزُل
فلو رايتهمُ وهو يكلمهم — وقد جزى القوم بالذي عملوا
يالك من مشهد ومن ملا — يحضره الانبياء والرسل

فبكى واضطرب وخلته فارق الدنيا (قال) : وكان الشيخ ابو الحسن القابسي يعظم الشيخ ابا بكر ويصب الماء على يديه عند الطعام ، وكان من دعاء الشيخ ابي بكر اللهم امتني ميتة هنيئة ولا تحوجني الى القصرية (126) فاجاب الله دعاءه فوجد جالسا مستقبل القبلة ميت ولم يحتج الى قصرية ولا غيرها ، وصلى عليه الشيخ أبو الحسن القابسي ودفن بسدس الليل ، وخرج العامل على القيروان الى قبره بالمشاعل ، ولما اصبح الصبح من ليلة دفنه اخبر ابو حفص عمر بن حسين المفسر قال رايت البارحة فى المنام اشخاصا لم ار مثلهم مروا على دكاكين الجامع وفي ايديهم بطايق وهم يكتبون فقال لي قائل منهم لقد غفر الله لكل من حضر هذا الجنازة حتى عبدي ابي حبوس وكانا ممن حضرها ودفن بباب نافع جوار قبر السبائى وسحنون رضي الله عنهم (قلت) : قبره عند رجلى السبائى ولا شك انه جوار لهما وهو مزار رحمه الله تعالى .

٢٤٢ ● ومنهم أبو القاسم عبد الخالق ابن خلف ابن شبلون رحمه الله

(قال) : جمع الفقه الحسن والاحوال السنية وسرعة الاجابة والتواضع وعلم الاحكام والنوازل والوثايق ، وكان مفتي الحاضرة والبادية مع نزاهة وقلة رغبة وعفة وطهارة صدر(127)وحسن خلق سريرته اشبه شيء بعلانيته من العلماء الراسخين

---

(126) انية للفضلات .

(127) ق : وطهارة وصدق .

المقتدى بهم في الدين وله مسائل في نوازل كثيرة (قلت) : ومعلوم اختلافه مع صاحبه الشيخ ابي محمد بن ابي زيد في بعض مسائل المدونة فكان هو — رحمه الله — لا يتأوّلها ويحملها على ظاهرها ، ورأى ان ذلك اسلم له ، وكان ابو محمد يفسرها على المعنى فيتاوّلها كقول المدونة في مسح الخفين أرانا مالك فوضع يده اليمنى على ظاهر اطراف اصابع رجله اليمنى ، واليسرى تحتها من باطن خفّه فامرّهما الى حذو الكعبين ولم يبين لهم صفة رجله اليسرى ، فقال ابن شبلون : صفة مسحها كاليمنى ، ولو كانت مخالفة لها لبينها مالك ، وقال ابو محمد بل صفة مسحها على العكس لانه امكن في التناول وانما لم يبينه مالك لوضوحه (قال) : وكان يفتي كل يوم في مائة واقل واكثر ، (قلت) : وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي يحمله على انه يجيب فيها بلسانه لا انه بالكتب لانه لا يطيق ذلك مع ما هو فيه من إقراء العلم ، وكنت اقول له : الصواب انه يجيب فيها بخطه لا بلفظه لاهل البلدان بسائر افريقية ، ولذلك ذكر له هذا والا فانا اليوم مع صغري اجيب في مثل هذا بلفظي فيما نعرفه اذا سئلت عنه ولايقطعني عما انا فيه ، فالغرابة انما هو اجابته فيما ذكر بخطه لا بلفظه ولم يقبله مني ، والله اعلم بما كان منه (قال) : وكان الشيخ ابو اسحاق السبائي يحبه ويعظمه وقال مرة : لو قاسمته في كل ما املكه ، فقال له خادمه ابو سعيد القلال : وهل عندك غير مصحف وجلد مصوف ؟ فقال نعطيه نصف دعائي والنصف لسائر المسلمين ، توفي ليلة الاربعاء الثامن عشر من ربيع الاول سنة تسعين وثلاثمائة ودفن يوم الخميس في داره ثم نقل الى باب سلم وصلى عليه في جمع لم يجتمع على غيره ، روي انه لما احتضر شخص ببصره نحو الباب وقال هذا ملك الموت : ادخل يا ملك الموت : سالتك بالله الا ما رفقت بي ، ثم قضى كذا حكى ابن ابنته عبد الله (قلت) : وقبره مزار ، وممارثي به رحمه الله تعالى .

مالي ارى الدنيا تغير حالها والنور في المقل النواظر يظلم
وارى نفوس الخلق ذابت حسرة فجرى بها دمع يمازجه دم

عرّج ببلدتنا ترى لفقيهنا منعى له فى كل دار مأتم
وانظر الى العلماء حول سريره تنظر الى شمس حوتها انجم
شقت عليه يد العلوم جيوبها وبكت بكاء مذلة لا يسأم
ذهب المحامى عن شريعة احمد وسراجها بحر العلوم المفعم
اودى بحفظ الخلق طود رعاية وانفلّ للاسلام سيف مخذم
سكن العلوم أصيب فهي ثواكل(129) ركن المعالي انقض فهي تهدم
يغشاه طلاب العلوم كانما بفنائه للحج عاد الموسم
في برده تقوى وبين ضلوعه قلب معنى بالعبادة مغرم

٢٤٣ ● ومنهم أبو الحسن على ابن عبد الله القطان المعروف با بن الخلاف

(قال) : كان من اهل العلم والفضل والورع والزهد والعقل الرصين والتهجد بالقرآن وسرد الصيام فتاشا عن مطعمه ومشربه وملبسه مراعيا للفظه ولحظه متفقدا لخواطره وسرائره ووسواس نفسه ، عامل الله بالصدق وعرف الناس فانزوى عنهم ثم انبسط فى آخر عمره ، لم يُر فى وقته اكبر همة ولا اصدق حالا منه ، وله سؤالات سأل عنها ابا محمد بن ابى زيد تدل على تدقيقه في الورع وتحفظه لدينه (قلت) : وكان (129) سؤاله لابى بكر بن اللباد قبله حسبما تقدم ، وهو ، قول ابي الحسن ، اجتمع اليّ جماعة فى حانوتي بالقطانين بعد وفاة والدي فقسموا قطنا بينهم فنفضت الموضع الذي قسم فيه القطن فاجتمع فيه من القطن نحو من وزن اربعة دراهم ، فذهب الى ابي بكر بن اللباد فسالته ما الذي اصنع بالقطن ؟ فانتهرني وقال لي يا هذا سل عن وضوئك وصلاتك ودينك فان هذا وسواس ،

---

(129) سكن العلوم مكانها الذى تسكن اليه وهو هنا المرثى .
(129) ق : وكذلك .

قال ابو الحسن فضاق صدري ولم اطق صبرا فغلبني البكاء والعبرة فوثب الي وجذبني الى نفسه وقبلني بين عيني وقال لي احسنت يا بني ما عرفتك فقد قيل حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزن عليكم وتجهزوا للعرض على الله (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) قال ثم امرني بما اصنع بالقطن ، (قال) قيل انه لم يخلق الورع في الدنيا الا لرجلين ابي اسحاق السبائي وابى الحسن ابن الحلاف — روي عنه انه قال — رجل لسليمان الخواص ، الا تغزو معنا ؟ قال : باى شيء اغزو معكم ؟ انى لفي جمع ثلاثة دراهم — من حلّها — منذ سنة ! فقال له الرجل لو كان الناس هكذا ما غزى الروم احدا فقال له سليمان لو كان الناس هكذا لكبر المسلمون تكبيرة ينهدم لها سور القسطنطينية ، وقال في وصيته ان ابن اخي يبيع الدار فاعلموا المشتري ان النمل في سقوفها وان الحناش سكنها فاذا ظهرت له فليؤذنها (130) فكان كما قال الشيخ واشترى الدار الصنوبري فلما ظهرت له آذنها فلم تعد للخروج ، وكان مولده سنة ثلاثمائة ، وتوفي يوم الاربعاء في ربيع الاول سنة احدى وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه ابو الحسن القابسي وكثر الناس حتى سدوا الفضاء وكان يوما صاحيا والنهار قد ارتفع واذا بشيء يسقط على النعش من السماء كانه اللؤلؤ ، وقبره بباب سلم مشهور يتبرك الناس به ويدعون عنده رحمه الله تعالى .

٢٤٤ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبى بكر الانصارى ابن أخي مروان (*)

(قال) : كان كثير القيام ، ذا تهجد وجدّ وتلاوة للقرآن ، مع نسك وفقر وصدق احوال ، وله حج وءاداب ورقة ، كف بصره في آخر عمره نفعه ، الله

(130) آذنه بشر توعده له كما في قوله تعالى : فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله سورة البقرة آية 278 .

(*) في ق : زيادة ، بن نصر العابد .

بصحبة عمه ، وبصحبة ابي اسحاق السبائي ، قال ابو عبد الله سمعت عمى رحمه الله يقول العازم بين هوى يوقفه وحزم يطلقه ، وكان من اهل الادب والمروءة وغزارة الدمع والكد والذكر بالمحل الرفيع ، توفي ليلة الجمعة — ودفن يوم الجمعة — الثالث عشر لذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ودفن بباب تونس رحمه الله ونفعنا به آمين .

٢٤٥ ● ومنهم عبد الرحمان ابن عبد الله الخولانى الجزيرى والد الفقيه أبى بكر ابن عبد الرحمان

(قال) : كان من اهل الدين والعبادة والزهد والورع صحب جماعة من العلماء والعباد وكان مختصا بصحبة مروان بن نصر العابد كثير الزيارة للعباد فى الساحل ، وكان يشتري الشواشي للاطفال الفقراء ويكسوهم اياها ، وكان كل غزل ضعيف يوصى العمالين عنده ان لا يغشوا به المسلمين ويُترك ناحية حتى يجتمع فيعمل منه مقاطع للعبادات والفقراء كانت وفاته في ربيع الاخر سنة اربع وتسعين وثلاثمائة ودفن بباب تونس وقبره مشهور ، ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فكان في هذه السنة قحط شديد وموت ذريع حتى خلت البوادى واكثر الحواضر وخلت الاسواق والمساجد وعدمت البهايم فمات في هذه السنة عدد كثير من العلماء والصلحاء (قلت) : زاد غيره وتحول كثير من وجوه الناس فضلا عن عامتهم وسوقتهم واهل البوادى الى جزيرة صقلية لرخاء سعرها وأمن سبيلها وعدل سلطانها .

٢٤٦ ● ومنهم جابر ابن عبد الله ابن هاشم

(قال) : كان شيخا جوادا كثير الصدقة والرفق بالضعفاء مع معرفة وحياء وسلامة وعفة وديانة توفى في ربيع الاول (131) وصلى عليه اخوه محمد بن عبد الله ابن هاشم القاضي ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

---

(131) لم يذكر السنة احالة عما تقدم بالترجمة قبلها من موت كثير من العلماء سنة 395 .

٢٤٧ ● ومنهم أبو موسى عيسى ابن مناس (*)

(قال) : كان فقيها مفتيا بارعا له فصاحة وجزالة وله لسان وجميل لقاء وقديم طلب وعناية بالعلم ، (قلت) : قال الشيرازي وتفقه بابن هشام وكان الاعتماد عليه في القيروان في الفتوى والتدريس بعد ابى محمد بن ابي زيد (قلت) : ولا يقال فى هذا نظر مع وجود الشيخ ابي الحسن القابسي لانه لا مانع ان يكون كل منهما مفتيا وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي يقول انما تولى بعد ابي بكر في طبقته الدلفيون (132) ، والف ابن مناس كتاب القصر وكان يفتي فى اللازمة بطلقة (133) (قال) وتوفى في ربيع الاخر (قلت) : وبخط ابي عمران الفاسي توفى في ربيع الاول سنة تسعين ، وقال غيره توفى سنة احدى وتسعين .

٢٤٨ ● ومنهم عبد الواحد ابن الشيخ أبى الحسن القابسى

(قال) : كان من اكرم الناس وانضرهم وجها واحلاهم معنى ، نشأ على طهارة وربي في حجر امام هدى ، وكان درّاسا حافظا للقرآن والفقه ، ووصل الى المشرق فحج ، توفى في ربيع الاخر من السنة المذكورة وصلى عليه والده ودفن بباب تونس (قلت) : وقبره في حوطة ابيه من جهة القبلة معروف وكان عينه لي شيخنا ابو الفضل البرزلي لما كان يزور بنا .

٢٤٩ ● ومنهم أبو بكر أحمد ابن أبى بكر الزويلى

(قال) : كان من العلماء العباد الزهاد المتبتلين المجتهدين المبرزين مع حفظ للقرآن ومعرفة بتفسيره وورع ورقة وكد وجد ، صلى حتى اقعد وصارت مباركه

(*) مضبوط فى ق : بدون تشديد .

(132) هذا الاسم غريب وكتبه فى ق : هكذا الزلفيونى والاقرب ابن شبلون وقد مر قريبا انه كان مفتى الحاضرة والبادية .

(133) وهو منزع اجتهادى مخالف للفقه .

كمبارك الابل ، وكانت له اشارة في المعاملات سالم الصدر قليل المثل ، (قلت) : وفي قوله ومعرفة بتفسيره بتر ، لقول غيره عارفا بناسخه ومنسوخه وقراءاته وتفسيره مقدما في ذلك على غيره فى اهل عصره ، إذ ليس فى كلامه ما يدل انه مقدم على غيره في عصره ، واما معرفته بقراءاته فيدخل فى كلامه ، (قال) : توفى ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الاولى من السنة المذكورة ودفن بباب سلم رحمه الله .

٢٥٠ ● ومنهم أبو جعفر أحمد ابن خلف الاجدابى

(قال) : وكان ذا فقه بارع وجدل وأدب وكرم نفس وطلاقة وجه وجميل خلايق محببا في الناس مع تهذيب ، (قلت) : زاد غيره صالحا فاضلا جليلا صاحب احوال سنية وهمة عالية ، (قال) : توفى يوم الثلاثاء التاسع من جمادي الاول من السنة المذكـورة رحمه الله تعالى .

٢٥١ ● ومنهم عبد الله ابن بنت أبى القاسم ابن شبلون

(قال) : كان من اهل العلم والمروءة وعلم الاقضية والاحكام والوثائق والادب والشعر توفى مع الاجدابي ودفن بدار جده .

٢٥٢ ● ومنهم أبو القاسم عبد الله ابن القاضى محمد بن عبد الله ابن هاشم

(قال) : نسيج وحده وفريد وقته لا يعرف أحد على سيرته وطريقته في سمو نفسه ورقة طبعه وجميل فعله وشرف اخلاقه وجلالة قدره وسماحته وكثرة صدقته ، توفى ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادي الاول من هذه السنة وصلى عليه والده القاضي ودفن بباب سلم .

٢٥٣ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل المهدى

(قال) : كان جميل المنظر حسن المخبر كريم النفس وطيء الخلق ، من جلة طلبة الشيخ ابي الحسن القابسي والمقدم فيهم لحفظه وصيانته وادبه ورئاسته ونفاسة نفسه ، وكان اوصى عند موته للشيخ ابي الحسن القابسي بمائة دينار ذهبا ، توفي لسبع بقين من جمادى الاولى قبل موت ابي بكر الزويلي بليلة رحمه الله تعالى (في السنة المذكورة) .

٢٥٤ ● ومنهم أبو سعيد خلف ابن منصور القلال المعتبد خديم الشيخ أبى اسحاق السبائى رحمه الله

(قال) : كان رحمه الله رجلا صالحا فقيرا زاهدا حريصا عل الخير وطيء الخلق نزيه النفس فاضلا نفعه الله بصحبة الشيخ ابي اسحاق وخدمته ، توفي في هذه السنة ودفن بباب نافع بالقرب من قبر الشيخ ابي اسحاق السبائي رحمه الله .

٢٥٥ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن اسحاق ابن التبان أخو أبى محمد

(قال) : كان من المتعبدين ذا رقة وبكاء وتلاوة متفننا في كل علم ، ختم اربعة آلاف ختمة : وقيل خمسة آلاف ! وبكى حتى عمى ، وكان رقيق القلب كثير الخشية على وجهه نور وعليه قبول قال ابو بكر التجيبي انشدني ابو عبد الله ابن التبان .

الموت لا بد آت فاستعد له ... ان اللبيب بذكر الموت مشغول
وكيف يلهو بعيش أو يلذ به ... من التراب على خديه مجبول

توفي يوم الخميس ودفن عصر الجمعة السابع من المحرم سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه القاضي عبد الرحمان بن محمد بن هاشم ودفن بالرمادية .

٢٥٦ ● ومنهم أحمد بن محمد النجار

(قال) : سماه ابو اسحاق السبائي أحمدين بلفظ التثنية لحفظه الحديث والرقائق وكان يحدّث ويعظ ويحكى اخبار العباد والابدال من صدره ، وكان طويل اللسان حسن البيان يسرد الصيام ويتهجد بالليل والناس نيام ، قد كسي وجهه نورا ، توفى في ليلة الثلاثاء ، وصلى عليه محمد بن الحلال لا حدى عشرة من المحرم سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ، ودفن بباب نافع رحمه الله تعالى .

٢٥٧ ● ومنهم أبو الحسن على ابن الساحلى غاسل الموتى

(قال) : كان من اهل التقشف وسرد الصيام والجد والكدّ والصلاة فى جنح الليل ، وأقام يحضر مصلى الجنايز بباب سلم اربعين سنة ، ذو نسك وزهد وعبادة ، توفى في الثامن من المحرم سنة سبع وتسعين وثلاثمائة وصلى عليه عبد الرحمان بن الكاتب الفقيه ودفن بباب سلم وقبره معروف رحمه الله تعالى .

٢٥٨ ● ومنهم أبو عبد الله محمد الزيات رحمه الله تعالى

(قال) : كان من اهل الحديث وتصنيف الكتب والاداب والاخبار (قلت) : قال غيره كان خيرا فاضلا ثقة صالحا من اهل القرآن والعلم والتفقه والفهم عارفا بالحديث ووجوهه مشهورا بذلك ، نشأ في العلم ومات عليه لم يُر مثله في المحدثين وقارا وسمتا كثير الانقباض والتصاون حسن التصنيف اماما في العربية ، والاداب والاخبار ، (قال) : توفى يوم الجمعة فى رجب من هذه السنة يعني سنة سبع قال وصلى عليه ابو سعيد الحرمي رحمه الله تعالى .

٢٥٩ ● ومنهم القاضى محمد بن عبد الله بن هاشم

(قال) : كنيته ابو بكر (قلت) : وقال العواني كنيته ابو عبد الله وما اظنه

الا وهما منه ، (قال) : كان من دعائم الكرم وقواعد الجود الماثـور من السلف ذو عقل وصيانة وتواضع واتباع لسنن اهل الدين مع فقه وورع وإيثار وخشية كثير الذب عن الاسلام واهله ، تصدق باموال ورثها عن ابيه وبها جاد ، ولم يُر احد على مثل جوده في زمانه ، جمع العلم والقرآن وقام به ، توفى فى نصف شعبان وصلى عليه ولده القاضي عبد الرحمان غداة يوم الجمعة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ودفن بباب سلم رحمه الله تعالى .

٢٦٠ ● ومنهم أبو الفضل العراقى المتعبد رحمه الله

(قال) : كان كثير الفضل والايثار ، وكانت له ضيعة ورثها من اجداده ياكل منها حلالا ويبعث من طعامه وصابته الى العلماء والمتعبدين بقدر ما يكفى كل واحد منهم في سنته ، وكان كثير العبادة صام ستين سنة حتى ضعف بصره فقيل له الا أفطرت فان الصيام يضر ببصرك ؟ فقال لا والله لا افطرت الا بين يدى الله تعالى ، توفى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وصلى عليه ابو عبد الله الخوّاص الفقيه ودفن بباب سلم خلف المصلى رحمه الله تعالى .

٢٦١ ● ومنهم أبو بكر الحذاء الزاهد المتعبد

(قال) : كان ذا حج واسفار وتغرب عن الاوطان ، من اهل الجد والاجتهاد والانزواء ، وله رياضة حسنة واحوال شريفة ، وكنت اذا نظرت اليه ذكرت الله ، قد غارت عيناه ونحل جسمه وجف جلده على عظمه ، أقام ملازما للصيام والقيام سبعين سنة لانه تعبّد وهو مناهز الاحتلام ، يحذو (134) النعال في داره ، رحل الى

---

(134) فى ق : يخدم ، وهما بمعنى واحد .

المشرق فصحب ابا الحسن بن العزّافى خمس عشرة سنة بمصر يحج فى كل سنة حجة ، (قلت) : في كلامه بتر لزيادة غيره : ويزور زورة (قال) : ثم رجع بعد ذلك الى افريقية فسكن زغوان وكان ياتي الى القيروان مستترا للزيارة ، له بنات كلهن متزوجات لاولاد اخيه خوفا ان يراه الناس ، ولم يزل بزغوان متعبدا الى ان مات بها سنة اربعمائة في نصف جمادى الاولى رحمه الله .

(قلت) : قال ابو بكر التجيبي حدثنى ابو بكر الحذاء ، قال حدثني ابو الحسن بن العزّافي بدمياط ، قال حدثني عمرو بن علي الدينوري بالمسجد الحرام ، قال ابراهيم التميمي (135) بينما انا في الجبانة اعتبر بالموتى واذكر طول البلا إذ رايت شابا قد استغرقه الوله ، فسلمت عليه وقلت له : من اين اقبلت ؟ قال : من هذا العسكر — واشار الى المقابر — فقلت : واي شيء قلت لهم ؟ قال قلت : متى ترحلون ؟ قالوا حتى تقدموا قلت : انى اراك حكيما فاخبرنى من أين سلوك الطريق فى كبد فجاج المضيق ؟ قال : من ضعف دعائم التصديق ، قلت : أخبرني عن الصادق لله في حبه متى يشتاق الى قربه ؟ قال ، اذا نزع حب الدنيا من قلبه ، وتبرم ببقائه ، واشتاق الى لقائه ، قلت : متى النجاة من الناس ؟ قال : عليك بالفرار ، فى البراري والقفار ، فقد اشتدت مثونة الزمان ، فالق نفسك مع القدر حيث القاك ، وانعم لعيشك واقلل لفناك .

٢٦٣ ● ومنهم أبو محمد عبدون ابن الشيخ أبى محمد التبان رحمه الله تعالى

(قال) : كان من اهل العلم والرقة والادب وغزارة الدمع مع كرم ومروءة وصدق نية ومعونة ومعرفة بالكلام والفقه ، توفى يوم الاثنين السادس من ذي

---

(135) ق : التيمى .

القعدة سنة احدى واربعمائة وحمل لدار الشيخ ابى الحسن القابسى فصلى عليه ، ودفن بالرمادية مع ابيه رحمه الله تعالى .

٢٦٣ ● ومنهم أبو الحسن على بن حمديس المتعبد المـؤدب الفـاضل

(قال) : كان من العبّاد المجتهدين المحزونين يختم كل ليلة ختمة ، وله في شهر رمضان تسعون ختمة واذ قرأ الوعد والوعيد بكى بكاء النائحة الثكلى التي لا ترقأ لها دمعة ، وكان قوته في الشهر اثنى عشر مدا ، وصام احدى وخمسين سنة ولم ياكل اللحم قريبا منها ، وختم نيفا وثلاثين الف ختمة ، توفى يوم الاربعاء ودفن غداة يوم الخميس بباب سلم لعشر بقين من ربيع الاول سنة ثلاث واربعمائة وصلى عليه ابو الحسن القابسي بوصيته له بذلك فى عدد لا يحصون ، واتصل التكبير الموارد بالتكبير على المنار لضيق الشارع رحمه الله تعالى .

٢٦٤ ● ومنهم الشيخ أبو الحسن على ابن محمد بن خلـف المعافرى المعروف بابن القابسى الفقيه رحمه الله

(قال) : عياض ولم يكن قابسيا وانما كان له عم يشدّ عمامته بشدّ قابس فسمي بذلك وهو قيرواني الاصل (قلت) : وهذا فيه نظر ، وظاهر قولهم المعروف بابن القابسي يقتضي ان والده كان من اهل قابس ، فاما ان يكون اتى للقيروان وتزوج بها وتزايد له بها واما ان يكون اتى به صغيرا ، ولما وليت قضاء قابس وجدت بقربها قرية خالية تسمى بالمعافرين وفيها مسجد يقصد الناس الصلاة فيه تبركا به ويقصدونه بالوعدات يقال له مسجد سيدي علي ولا يدرون من يكون عليا ؟ فلما خطبت خطبة العيد انجر فى كلامي انه ينبغي للانسان ان يكثر من زيارة قبور الصالحين ، وان يوصي بالدفن فى جوارهم ، ثم ذكرت الحكاية الاتية : وهي

ان الشيخ ابا الحسن القابسي لما دفن بالقيروان رأى رجل في منامه كان رجلا خرج من قبره فقال : لي اليوم في العذاب اربعين سنة فلما دفن هذا الشيخ ابو الحسن عندنا غفر الله لي ولجميع من في المقبرة ، فسألني بعضهم من اي بلدة هو ؟ قلت هو ينسب للمعافرين فجزموا — من محبتهم فى ذلك المسجد وفرحهم بالحكاية المذكورة — أنه صاحب ذلك المسجد فزاد تبركهم وصلاتهم به وجددوا ما اختل من بنائه وقالوا : لما كان الشيخ اسمه علي ويعرف بابن القابسي وبلده المعافرين وهذا المسجد بالمعافرين وسمي عندنا بالتواتر مسجد سيدي علي فهو المراد لا غيره ، ونرجوا من الله ان يحشرهم في زمرته وقد قال عليه السلام ، من احب قوما حشر معهم .

(قال) : سمع بافريقية من ابى العباس عبد الله بن احمد الابيانى ، وابى محمد عبد الله بن مسرور التجيبي ، وابي عبد الله بن مسرور العسال ، وابي الحسن علي بن بدر بن هلال وابن اسحاق السبائى وابي القاسم زياد بن يونس اليحصبي السّدري وابي الحسن علي بن محمد بن مسرور العبدري الدباغ وابي الحسن علي ابن محمد الخولاني (قلت) : وتقدم ان اعتماده كان على الدباغ ، وظاهر تعيين من ذكر دون غيره يقتضي انه لم يقرا على ابي بكر بن اللباد (قلت) : ثم رحل الى المشرق سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة وحج سنة ثلاث وخمسين ، ثم عاد الى مصر فاقام بها يسمع الحديث ، فسمع بالاسكندرية من ابى الحسن علي بن جعفر الثابيانى وسمع بمصر وبمكة من جماعة يكثر عددهم ، (قال) : ثم عاد الى القيروان سنة سبع وخمسين ، (قلت) : وسمع منه خلق كثير منهم ابو عمران الفاسي ، وابو بكر بن عبد الرحمان ، وابو القاسم اللبيدي ، وابو عبد الله المالكي ، وابو علي حسن بن خلدون ، وابو القاسم بن الكاتب ، وابو عبد الله محمد بن ابى موسى عيسى بن مناس ابو عمرو الداني .

(قال) : وله تواليف منها الكتاب الممهد — بلغ فيه الى ستين جزءا ومات

ولم يكمله — وهو كتــاب كبير كثير الفائدة مبوّب على ابواب الفقه جمع فيه بين الحديث والاثر والفقـه ، أجــازه لجماعة منهم ابو عمرو عثمـان بن سعيد الداني المقرىء ، وله كتاب الملخص ، وكتـاب المنبه للفطــن ، والمبعدّ من شبه التاويل ، ورسالة في الاعتقـادات ، والرسالة النـاصرة ، ورسالة في الذكر والدعاء ، ورسالة أحمية الحصون ، وكتاب المناسك ، والرسالة المفصّلة لاحوال المعلمين والمتعلمين ، وغير ذلك من تواليفه ، وقد اشغلته العبادة عن التاليف فان اوقاته كلها كانت عامرة بالخير .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان عالما عامـلا جمع العلم والعبادة والـورع والزهد والاشفاق والخشية ورقة القلب ونزاهة النفس ومحبة الفقراء ، حافظا لـكتاب لله ومعانيه واحـكامه ، حافظا للسنة عالما بعلوم الحديث والفقه واختلاف الناس ، سلم له اهل عصره ونظروه في العلم والديـن والفضل ، كثير الصيـام والتهجد بالليـل والناس نيـام مع كثـرة التلاوة ، وكانت فيه خصال لم تـكمل الا فيه ، منها القناعة ، والرفق باهل الذنوب ، وكتمان المصائب والشدائد ، والصبر على الاذى ، وخدمة الاخوان والتواضع لهم والانفاق عليهم وصلتهم بما عنده ، قد نشر الله له لواء الولاية وحلاّه بحسن النية (قلت) : وكان ابو سعيد بن أخي هشام يعظم ابا الحسن القابسى ، ويقول : ابو الحسن لا يحاسب على مـكيال ولا ميزان وان كان لا يدخل الجنة إلاّ مثل ابي الحسن فما يدخلها منّا احد ، وقال الشيرازى جلس مجلس ابن شبلون بعد وفاته ، وقال ابن سعدون لما طلب للفتوى وعزم الناس عليه تابي وسدّ بابه دون الناس ، فقال لهم اكسروا عليه بابه لانه قد وجب عليه فرض الفتيا هو اعلم ممن بقى من القيروان ، فلما راى ذلك خرج اليهم ينشد :

لعمـر ابيـك مـا نسب المعلّى الى كـرم ، وفي الـدنيـا كريـم
ولـكن البـــلاد إذا اقشعــرت وصـوّح نبتهـا رعــى الهشيــم

وقال ابو الحسن القابسى لما رحلت لتونس الى ابي العباس الابيانى انا وابو محمد الاصيلى وسعيد بن سعادة الفاسى كنا نسمع عليه ، فاذا كان بعد العصر ذاكرنا فى المشكل فتذاكرنا يوما وطال الذكر فخصّني بان قال لي : يا ابا الحسن لتضربن اليك آباط الابل من اقصى المغرب ! فقلت له ببركتك ان شاء الله ولما نرجوه من النفع ، ثم جرى لي معه مرة اخرى كذلك ثم ذاكرني يوما فاستحسن فهمي في ذلك فقال لي مثل ذلك فقلت ببركتك ان شاء الله ، فقال لي والله لتضربن اليك آباط الابل من أقصى المغرب (قلت) : فى حلف الشيخ الابياني دليل على انه يجوز عنده اليمين على غلبة الظن وليس بغموس ، وفي النوادر عن محمد بن المواز انه غموس كالشك ، وعلى هذا القول فاختلف فيه وفي الشك اذا وافق ما حلف عليه فالاكثر على انه آثم ، وقال محمد لا شيء عليه ، وهو بعيد لان كون الحلف والحالة كما ذكر غموس يقتضي الاثم لجرأته . وان وافق ، ودعا له الشيخ ابو اسحاق الجبنياني عند رجوعه عنه اول ما زراه بما دعا له به ابو اسحاق السبائي وهو أعلى الله قدرك في الدنيا والاخرة ، ولما قدمت اليه دابته ليركبها امسك الجبنياني بركابه كعادته لمن قبله من علم او خير .

(ذكر عبادته وتعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وورعه)

(قال) : قال ابو عبد الله محمد بن عبد الله المالكي كان يُحيي ليلة الجمعة فلا ينام فيها البتة ، وربما احيى غيرها من الايالي ، واما شهر رمضان فكان يقوم ليله كله يتهجد فيه بالقرآن مع قطع نهاره بالتلاوة والذكر والصلاة ، وكان اذا مر بآية في تهجده فربما رددها باكيا الى الصباح ، وقد صلى ليلة من الليالي بختمة من اول الليل الى آخره ، فلما صلى الصبح جلس لالقاء المسائل الى الظهر ، ولما تفرق الناس عنه قال لي : يابني اعمل فلو علمتُ ان هذا الضعف يدركني عند كبري لاستغنمت ايام شبيبتي ، وكان هذا قبل وفاته بنحو العامين ، وكان يصوم ويفطر الا فى رجب وشعبان فما رئي فيهما مفطرا قط ، وكان

يصوم ايضا في شوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة ويصوم المحرم ولقد صام سنة كاملة واراد التمادي على الصوم فضعف جسمه وضاق خُلُقه ، ولقد ختم القرآن بقصر ابي الجعد (136) من الظهر الى العصر ثم صار بعد ذلك يتفهم القرآن .

واما تعظيمه للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فشيء كثير ، كان اذا استدعاني لعلم او لعبادة او لقربة قال يا محمد واذا استدعاني لقضاء حاجة يقول لي يا مالكي اعظاما لاسم محمد صلى الله عليه وسلم ان ينادي به في غير قربة ، وكان من اصحابه المتصرّفين في خدمته رجل عثماني (137) ولم يعلم بنسبه فلما علم بعد ذلك استدعاه وقال يا بني لو علمت انك عثماني ما صرفتك ، واما ورعه فشيء لا يطاق ، وذكر انه احتاج الى غسل يديه فاوتي بماء من المسجد فامتنع من الغسل به ! وقال انما جعل للشرب ولم يجعل لغسل اليد ، (قلت) : في هذا نظر ، وليس هذا من باب الورع وانما هو من باب الواجب إذا كان ماؤه محبسا على من يشربه فقط كما هو ظاهر لفظه ، قال — وظاهر نقله عن المالكي — وكان لا ياكل ما يباع بصبرة ولا ما يشترى منها ولا يشرب من ماء العين التي تاتي من صبرة ، واخبر انه كان في صغره أخذ سنبلة من زرع فتصدق عن صاحبها بقمح كثير ، وكان بعد ذلك يقول : في نفسي منها شيء (قلت) : وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي اذا نقل هذه الحكاية يقول عنه : اخذت سنبلة من حد بين زرعين ورميت بها على احدهما وتصدقت عنه باقفزة قمحا ، ولا ازال اخافها ، (قال) :

---

(136) هو من مجموعة رباطات المنستير قال الشريف الادريسي في نزهة المشتاق ومن سوسة الى قصر سقانص ثمانية أميال ومن سقانص الى قصر ابن الجعد أربعة أميال ومنه الى قصور المنستير ميلان الخ ، وقول الادريسي (ابن الجعد) أولى بالصحة .

(137) يظهر انه منسوب الى الخليفة الثالث رضى الله عنه .

وقد كان بعث اليه عبد الله بن الكاتب صاحب القيروان ليساله عن حرف في القرآن فلم يجبه حتى قال له اخوه ابو سعيد : يا اخي اني اخاف منه على نفسي ان لم تجبه ! فسار الشيخ ابو الحسن اليه ، فلما دخل اخذ يعلّم مواضع قدميه من الارض : فلما دخل عليه لم يسلم وجلس ، فسئل عن الحرف الذي أشكل عليهم فلم يجب بشيء فقرا القاري ذلك الحرف مرة بعد اخرى وهو ساكت ، حتى قرأه بالصواب فاشار اليه اي نعم ، ثم خرج من عنده وما وافاه بكلمة تورعا ! فلما رجع أخذ يتبع آثار قدميه في السير فيضع فيها قدميه لئلا يكثر الخطأ في الارض المغصوبة .

(قلت) : ظاهر هذا يقتضي ان الشيخ انما عمي في آخر عمره ، ومثله قوله فيما تقدم لما مات ابن ابي زيد بكى عليه القابسي حتى كاد ان يعمى ، وهو خلاف ظاهر قول عياض — فان كلامه يقتضي احد امرين اما انه خلق أعمى واما انه عمي في صغره — في قوله : كان فقيها اصوليا متكلما مؤلفا مجيزا وكان أعمى لا يرى شيئا وهو مع ذلك من اصح الناس كتبا واجودهم ضبطا وتقييدا بضبط كتبه بين يديه ثقات اصحابه ، والذي ضبط له البخاري — في سماعه على ابن ابي زيد (138) بمكة — أبو محمد الاصيلي بخط يده ، وسمعت ممن اثق بنقله : أن الشيخ ابا محمد بن ابي زيد اتاه راعي غنمه بشاة فامر ببعثها الى الشيخ ابي الحسن فامر بذبحها ، فلما ذبحت وسلخت رمى بطرف منها الى قطته فشمتها ولم تاكلها فامر بردها الى ابي محمد ، فسأل ابن ابي زيد الراعي فقال له انها اختلطت علي غنم ولم يات لها طالب ! فعجب ابو محمد وقال افي غنمي الحرام ؟ قطة ابي الحسن القابسي أورع منك يا ابن ابي زيد !

(138) هكذا وهم فانهم لم يذكروا ابن أبي زيد في سماعات المترجم والصواب كما في طبقات مخلوف انه أبو زيد المروزي .

(ذكر إجابة دعائه)

كان الشيخ ابو الحسن معروفا بالاجابة ، فكان إذا دخل محرابه وانتفخت عيناه واحمرت ولجأ الى الله عز وجل ورثي ذلك منه انتظرت اجابة دعوته ومنتهاها ثلاثة ايام ، وكان بالمهدية نصراني – ابن اخي حاضنة باديس صاحب القيروان – فافتض هذا النصراني صبية شريفة ، فلما سمعت بذلك العامة قتلوه ، فبلغ ذلك باديسا فعظم ذلك عليه وارسل قائدا بعسكر الى المهدية وامر بقتل كل من بلغ ، فبلغ ذلك ابا الحسن فدخل المحراب واقبل على الدعاء في كشف هذا ، فلما وصل القائد الى قصر مسوّر قرب المهدية بات فيه ، فقام بالليل وهو سكران يمشي على السطح ، فمشى فى الهواء فسقط على راسه وانتثر دماغه ، وجاء البريد بذلك الى باديس واعلم بدعاء ابي الحسن فرعب لذلك ، وقال لابي العرب وكبراء رجاله : تمشون للشيخ ، فلما ضربوا عليه وأعلم بهم قال لهم : تمضون الى الجامع حتى ياتيكم العلماء – ولم يدخلهم الى داره – ووجه الى ابي بكر بن عبد الرحمان ، وابى عمران الفاسي ، وابى القاسم بن الكاتب وأبي عبد الله المالكي ومكي المقدسي (139) وأبي عمر بن العتاب ، والخواص ، وابن سفيان ، وغيرهم وأملى عليهم رسالة فيها باسم الله الرحمان الرحيم بالله استعين وعليه اتوكل ، الغوث الغوث بما حل بالمسلمين من الافتيات عليهم ، وفي فصل منها : كيف يحل لمن يعتقد الاسلام ان يقوم فى دم كافر افتض صبيبة من سلالة المصطفى صلى الله عليه وسلم لو انطبقت السماوات والارض من اجل هذا الفعل لكان قليلا ، وقال لاصحابه اذا وصلتم الى الجامع فليقراها واحد منكم على المنبر ممن له صوت ، ففعلوا ذلك ، فجعل القواد يقول ، بعضهم لبعض : والله ما السلطان الا هذا الشيخ (قلت) : هكذا كانت همة العلماء لمّا لم يحضر السلطان باديس لم يحضر الشيخ معهم فابقى نفسه اشارة الى هذا والله اعلم .

---

(139) ق : مكى بن عبد الرحمان .

(ذكر بقية اخبـاره)

(قال) : كان رجل من اصحاب الشيخ ابي الحسن غره القمر ليلة فاخذه الحرس بالقيروان فاستعاذ بهم واعلمهم بانه ضيف ومن اصحاب القابسي فلم يلتفتوا اليه وحملوه الى السجن واودعوه الحرس ، فاطلّع رجل من غرفـة على ذلك فلما اصبح اعلم الشيخ ابا الحسن بذلك ، فقال له اذهب فاخرجه من السجن وثق بالله – أو كما قال – فذهب الرجل فدخل السجـن حتى وصل الى الرجـل دون ان يعترضـه احد ، فوجـد الرجل في ثقل الحديـد فلم يقدر الرجل على الخروج فى حديده ، فرجع الرجل الى ابى الحسن فاخبره ، فقال له اذهب بحداد يحل عنه ، فاخذ الرجل معه حدادا حتى حل عنه حديده فى السجن ، وخرج ثلاثتهم وحرس السجن ينظرون اليهم فلا ينـكرون عليهم شيئا مما صنعوه او كأنهم لم يروهم او كأنهم القى عليهم النسيان ، (قال) : قال ابو عبد الله بن سعدون عن شيوخه : انا ابا الحسن جاءه سائل فساله فلم يجد ما يعطيه فقال له اقلع هذا الفرد باب وخذه ففعل ذلك السائل .

(قلت) : كانت عجوز بالقيروان صالحة وبلغ من حالها انها اتته يوما وهو في ميعـاده فقالت له : يا علي يابني تعال : فقام اليها الطلبة ينـكرون عليها فقال خلوها فانها عجوز الحارة فقام اليها ، فقالت : يابني فانى اخرج فى الليل الى الجامع لصلاة العتمة وعرضت لي طريقان : طريق قريب فيها ضوء مصابيح اهل السوق وفي اموالهم اشتباه ، وطريق بعيد ليس فيها ضوؤهم فهل اتجنب الطريق الاولى ام لا ؟ فقال لها تجنبي ذلك فان فى اموالهم اشتباهه ورجع الشيخ ابو الحسن عنها وهو يبكي ويقول اي والله على علوش (140) والله ما خطر لي هذا الورع قط ، وهذا يدل على انه لم يخلق اعمى (141) ، واتت اليه رضى الله عنه يوما آخر فقالت

(140) العلوش حمل الغنم معروف وكان نذره كفارة عن غفلته عما فكرت فيه العجوز .

(141) سبقت هذه الملاحظة قريبا .

له يا علي ذلك الرجل الطويل الذي كان البارحة يحدثك من الطاق من هو ؟ فقال لها هو الخضر واتت اليه يوما آخر فصاحت له واسرّت له شيئا فرجع الى اصحابه وهو حزين يبكي وقال ما بقي اليوم ميعاد ، فخرجوا الى العجوز وهم يذمونها ومضوا اليها وقالوا ما الذي قلت له حتى قطع علينا الميعاد ؟ فقالت لهم : فانه حلفنّي ان لا اذكره في شيء من هذا الوقت ، فلما كان بعد ايام مات الشيخ ابو الحسن ، فمضى اصحابه الى العجوز فسالوها ماالذي قالت له ؟ فقالت لهم فاني رايت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي أتقرا للشيخ أبي الحسن السلام وقل له : تاهب فانك عندنا ليلة الاثنين : فحلفني ان لا أذكره حتى يموت ، فهذا الذي منعني من ذكره ، (قلت) : ولما كان قوله عليه السلام تاهب يشعر بانه يجدد عملا صالحا حزن وبكى لا انه لفراقه للدنيا والله اعلم .

(اذكر موته وما يتعلق بذلك)

(قال) : وتوفي رحمه الله ليلة الاربعاء ودفن يوم الخميس صلاة الظهر لثلاث خلون من ربيع الاخر سنة ثلاث واربعمائة وما ذكره مثله نقل غيرُه ، وهو خلاف ما فوقه (142) (قال) : وله من العمر ثمانون سنة الا خمسة اشهر وذكر بعد هذا ان الذي غسله هو مكي بن عبد الرحمان الانصارى (قال) : وصلى عليه ابو عمران الفاسى فيما بين الماجل ومقبرة باب تونس فى امم لا تحصى ودفن بباب تونس ، وضربت الاخبية على قبره وبات عليه عالم كثير ، ورثاه الشعراء بنحو المائة مرثية واقيم المبيت على قبره وانشدت المراثي سنة كاملة ، وقال المالكي راى رجل صالح ممن كان احتسب نفسه للمبيت على قبره والقراءة عليه كانّ رجلا خرج من قبره فقال لي اليوم في العذاب اربعون

(142) هذه العبارة غير ظاهرة وفى ق : خلاف ما قد قال وهى ايضا مشكلة فان المصدر كلها لا خلاف بينها فى تاريخ الوفاة والظاهر ان هناك نقصا ولكنه غير مخل بالسياق .

سنة فلما دفن هذا الشيخ ابو الحسن بيننا غفر لي ولجميع الموتى ، قال المالكي وقنط الناس بالقيروان سنة تسع او سنة ثلاث عشرة واربعمائة فرأى رجل صالح كأن قائلا يقول له في منامه استسقوا بهذا الهرموس قال قلت ومن هو ؟ قال ابو الحسن القابسي : فاصبح الرجل فاتاه الى قبره وتوسل الى الله به فسقى الناس مطرا وابلا ، وما من احد تنزل به مهمة اوملمة او فاقة في معيشة فيتوضا وياتى قبره ويصلى ركعتين ويتوسل الى الله به الا ويخرج من عسره ذلك ، هذا مجرب صحيح .

(قلت) : والصلاة في هذا هو ان لا يجعل القبر بين يديه بل يصلي عن يمين القبر او عن يساره كما هو موجود في قبر الشيخ بمحراب خارج عن قبره عن يمينه يصلي فيه من شاء ، وعلى هذا يحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد من دونك ، وكان شيخنا ابو الفضل البرزلي ينقل ان ابا عمران الفاسى ممن اقام على قبره مدة السنة مع من اقام وان ابا الحسن القابسى وقف له في المنام وقال يا ابا عمران ادخل القيروان وفقه اهلها في الدين نورت قبري نور الله قبرك وعوام القيروان عندنا يقولون ان من يدفن بمقبرة الشيخ ابي الحسن القابسي فانه يحاجج عنه منكرا ونكيرا وان ابا يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني رآه في المنام فقال له يا ابا الحسن ما يقال عنك انك تحاجج عن كل من يدفن بمقبرتك منكرا ونكيرا اصحيح هو ؟ فقال له نعم حتى عنك يا ابا يوسف ، وانه السبب فى دفن الشيخ ابى يوسف تحت رجلي ابى الحسن القابسي : وهذا الذي قالوه لا تدفعه النصوص ، ولعله من نقل بعض العلماء سمعوه ، وقد قال الشيخ القرطبي في تذكرته : من الناس من لا يرى منكرا ونكيرا ومنهم من يراهما ومنهم من يكلمه احدهما ومنهم من يكلمانه معا ، وهذا الذي ذكره اخص من المحاججة فان المحاججة تقتضي ان من فى مقبرته يراهما ولكنه يحاجج عن الميت (قال) : وفضايل ابي الحسن لا يفي بها هذا الكتاب المختصر ، وقد الّف فيها تلميذه ابو عبد الله محمد المالكي كتابا اقتضيت منه نبذا يسيرة ،

٢٦٥ ● ومنهم أبو محمد عبد الله بن محمد اللمائى

(قال) : لقى عبد الله بن جعفر بن الورد البغدادي بمصر وحدّثه باختصار السيرة لابن هشام عن البرقي عنه ، ولقي ابا بكر بن ابى الموت ، وكان من العلماء الاجلة ذا خلق حسن واشارة جميلة وسمت وسكينة ومنطق بليغ ، وكان الشيخ ابو الحسن القابسي يكرمه ويصله ، وكانت له دنيا وافرة فزالت عنه فى آخر عمره ، قال ابو بكر التجيبي انشدني ابو محمد بن اللمائي .

المال للمرء في معيشته ... خير من الوالدين والولد
ومن يطل سقمه عليه يجد ... خيرا من المال صحة الجسد
وما لمن نال فضل عافية ... وقوت يوم فقر الى احد

٢٦٦ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن اللحام امام الجامع بالقيروان

(قال) : كان منوّر الوجه جميل الهيأة ذا تقوى وإيثار ووقار وهيبة توفى يوم الاربعاء السابع عشر من جمادى الاخرى سنة اربع واربعمائة ودفن بباب سلم عند العصر رحمه الله تعالى .

٢٦٧ ● ومنهم الشيخ العارف المحقق أبو القاسم عبد الرحمان ابن محمد بن عبد الله البكرى الصقلى امام الحقيقة وشيخ أهل الطريقة رضى الله عنه

(قال) : سمع بالقيروان على ابى الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ ، وحبيب بن نصر الجزري ، وأبي العرب محمد بن احمد بن تمم ، وزياد بن يونس

اليحصبي ، وابى اسحاق بن ابراهيم بن احمد السبائي ، وسعد بن ملك بن عبادة ، وابي بكر بن سعدون صاحب ابى عقال ، وجماعة كثيرة ورحل الى المشرق فلقى ابا عبد الله محمد بن احمد بن ابراهيم البلخي ، وابا الحسن علي بن احمد بن زكرياء الهاشمى ، وعلي بن الحسين بن فندار القاضي ، وابا بكر بن عتيق بن موسى بن هارون الحاتمى ، وسمع بمكة على ابي بكر محمد بن الحسين الاجري — سنة خمسين وثلاثمائة — وجمع الحديث والفقه واصول الفقه والتصوف والصلاح والزهادة وله تواليف ابدع فها وبرع ، منها كتابه المسمى بانوار الصقلي اتى فيه بانواع المعارف واسرار التصوف ما اربى فيه على غيره ، وفيه المعانى الجليلة بابدع عبارة والطف اشارة ، وبنى قواعد التصوف على الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الاول ، وترك الآراء والاستحسان ، وله كتاب صفة الاولياء ومراتب احوال الاصفياء ، وله ايضا كتاب كرامات الاولياء والمطيعين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم باحسان ، ونحن نورد من هذا الكتاب نبذا .

قال الشيخ ابو القاسم رضى الله عنه : اخبرنى الشيخ الامام ابو بكر بن سعدون التميمي قال : نزل بي ضيف وليس فى بيتي شيء فالتفتّ فاذا قطعة فالوذج — وأقبل يصف حسنها — قال : فناولنها للضيف ، وسمعته يقول قال لي ابو عقال : — يوم خروجى من مكة وقد ذهبت نفقتي — استودعتك لمن لا تخيب ودائعه ، فوالله ما خرجت من حيطان مكة الا وانا فى محملي ولم ازل كذلك الى ان وصلت القيروان ، قال ابو القاسم وسمعت عبد الله بن سعيد ابن الحداد ، سمعت ابا المعذّل يقول : سمعت واصلا اللخمي يقول : أقمت ستة اشهر لم اشرب ماء ! قلت : ولم ذلك ؟ قال رضت نفسي فساعدتني ! قال ابو القاسم وحدثنى ابو ملك عن التاهرتي قال : شهدت محمدا بن ابي حميد — وقد احتضر — فذكروا عنده الموت ، فقال وما الموت ؟ ادخل يا ملك الموت ! فنظروا فاذا به قد توفي رحمه الله ، وكان ابو محمد بن ابي زيد كثيرا ما ينكر عليه كرامات الاولياء لمعنى قلب الاعيان وذلك قصور منه رحمه الله عن ادراك ما وهب الله

اولياءه من الكرامات وما افاض على قلوبهم من الانوار والبركات فلذلك كان يشير الشيخ ابو القاسم في كتبه الى قصور الفقهاء الذين ينكرون القدرة وما وهب الحق لاوليائه (بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه) (قلت) : سبب انكاره الكرامات وذلك عند اكثر المريدين في عصره من ادعائهم رؤية الله سبحانه في اليقظة ، قال ابن بزيزة : فالّف كتابا يقتضي انكار الكرامات وانكار الرؤية ، وسمعت الشيوخ يحكون ان علماء زمانه انكروا ذلك عليه وارسلوا الجواب من القيروان الى بغداد ، فوصلوا اليها على الصحراء بعد اربعين يوما ، فاجتمعوا بالقاضي ابى بكر ابن الطيب ودفعوا له السؤال فاجابهم بجواز ذلك والف كتابا فى ذكر جواز الكرامات وفيه فضل الشيخ ابى محمد بن ابي زيد ومعرفته بعلم الفقه ذكر هذا في تفسير قوله عز وجل (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (قال) : ولم اقف له على تاريخ وفاته الا انه مات قبل ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله تعالى .

٢٦٨ ● ومنهم أبو القاسم خلف ابن أبى القاسم الازدى المعروف بابن البراذعى (*)

ويكنى ايضا عند بعضهم بابى سعيد كذا قال عياض ، وفي زماننا غلبت كنيته بابي سعيد من جميع شيوخنا واصحابنا بافريقية والقيروان وغيرها فاذا اريد النقل عنه بكنيته يقال : وظاهر كلام ابي سعيد البراذعي يقتضي كذا ، قال عياض : وكان من كبار اصحاب ابى محمد بن ابي زيد وابى الحسن القابسي وحفاظ المذهب المؤلفين فيه ، له كتاب التهذيب في اختصار المدونة اتبع به اختصار ابى محمد ابن ابي زيد الا انه جاء به على نسق المدونة وحذف ما زاده ابو محمد ، (قلت) : ما ذكر من كونه تبعه غير صحيح ، وكثيرا ما يختصر خلاف ما في مختصر ابي

(*) فى ق : المعروف بالبراذعي وهو كذلك فيما ينقل عنه من كتب الفقه كما ذكره المؤلف نفسه أى بدون ابن ٠

محمد مما هو معروف وانما هو مبين لاختصاره ، الا ترى الى قوله وصححتها على ابي بكر بن ابى عقبة عن جبلة بن حمود عن سحنون ، قال عياض وقد ظهرت بركة هذا الكتاب على طلبة الفقه وتيمّنوا بدرسه وحفظه وعليه معول اكثرهم بالمغرب والاندلس .

(قلت) : يعني في زمانه ، واما في زماننا فما المعول (143) الا عليه شرقا وغربا ، ومن ينظر مدونة سحنون الذي هو اختصارها يعلم فضيلة البراذعي في اختصاره ، قال عياض : وانا اقول ان البراذعي عن انتقاد عبد الحق بريء فان جميع ما انتقد عليه لفظ ابي محمد رحمه الله (144) (قلت) ورده ابن عبد السلام بما كتبه على ظهر تهذيبه أثر كلام عياض هذا بانه لا ينجي البراذعي كون غيره سبقه الى اختيار ما اختار فكل من رضي قولا توجّه عليه ما يعترض به على ذلك القول ، لان التصويب والتخطئة انما هما على ذلك القول من حيث هو قول ، وكل من رضي عمل قوم فهو منهم والمرء مع من احب ، والّف عقيل بن ابي طالب كتابا سماه (بموازنات الاعمال) ضمنه الرد على كتاب الحميدي (قال) وهو رد على ابن حزم لانه اقر بصوابه ، قال شيخنا ابو عبد الله محمد بن عرفة وهذا كما قال ابن عبد السلام لا سيما اذا اقام الثاني نفسه مقام المنشىء المستقل كما فعل ابو سعيد ، لانه ذكر في خطبته انه منشىء مستقل لا تابع لغيره يعني به قوله : وصححت ذلك على روايتي عن ابى بكر بن ابى عقبة عن جبلة عن سحنون قال : وابو الحسن بن القطّان حافظ المغرب الف كتابا سماه الوهم والايهام تعقب فيه الاحكام الكبرى لعبد الحق الاشبيلي فمما تعقب عليه احاديث اوردها عبد

---

(143) ق : فلا معول .

(144) عبارة القاضى فى المدارك ان أبا محمد عبد الحق (السهمى الصقلى انظر المدارك) ألف عليه جزءا فيما وهم فيه وأنا أقول . ان البراذعى ما ادخل ما اخذ عليه فيه الا كما نقله أبو محمد ابن أبى زيد هـ.

الحق على انها متصلة وهي منقطعة فتعقب منها احاديث ذكرها عبد الحق من صحيح مسلم فلم يجعل الناس اتباعه فيها لمسلم مخرجا له من التعقيب ، قال ابن عبد السلام واختصر البراذعي المدونة ثلاثة اختصارات احدها اطول من التهذيب وثانيها اصغر منه ولم تُثبت فيه رواية الشيخ ، قال شيخنا ابن عرفة وما ذكره من الاختصار لم اره لغيره بعد البحث عنه وما ذكره من كونه لم تثبت فيه رواية ، فانّ من لقيت من عدول بلدنا المتّثق بهم قائل (145) بثبوت روايته بالسند الصحيح .

قال عياض ولابى سعيد كتاب تمهيد مسائل المدونة ، وكتاب الشرح والتمامات ، واختصار الواضحة ، ولم تحصل له رئاسة بالقيروان ، وكان مبغّضا لاصحابه لصحبة سلطانها ، فكان مريض القلب لديهم ثقيل المكان عليهم ، ويقال ان فقهاء القيروان افتوا برفض كتبه وترك قراءتها لتهمته لديهم ، وسهّل (146) بعضهم في اختصار المدونة وحده لشهرة مسائله ، ويقال ان الذي مكن غيظهم عليه انه وجد بخطه في بعض بني عبيد تعريض بهذا البيت المشهور (147) .

اولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا وان وعدوا وفوا وان عقدوا شدوا

ويقال بل لحقه في هذا دعاء الشيخ ابي محمد بن ابى زيد اذ كان البراذعي في ايام قراءته عليه يتسبب في الاعتراض عليه والتنبيه على اوهامه والازراء على بعض كلامه فعزّ ذلك على الشيخ وتفرغ الى الدعاء عليه ، فكانوا يرون ان ذلك لحقه فلفظته القيروان ولم يستقر بها فخرج الى صقلية وقصد اميرها فحصلت له عنده مكانة وعنده الف كتبه المذكورة .

(قلت) : ما ذكره من دعاء الشيخ عليه يحذر التلميذ من ان يوقع نفسه في اساءة الادب على شيخه ، وعلى قدر ما يعظم شيخه يعظمه هو تلامذته ،

---

(145) كلمات : فان من بهم قائل : مزيدة بمحاذاة ق .

(146) أى تساهل .

(147) للمتنبى .

وما رأيت احدا من اصحابنا عمل هذا وجاء منه شيء بعد ان كان عند الناس لا يكون بعد شيخه الا هو ، وقد كان يقال في ابي عبد الله محمد بن ابى الفرج المازري — يعرف بالذكي — انه افقه من ابي عمران وغيره في زمانه ولكنه كان يسيء الادب على شيخه ابي القاسم السيوري ويتبع سقطاته حتى جمع نحو من ثلاثين مسألة من سقطاته فدعا الشيخ عليه بان لا ينفعه الله بعلمه فلم يقدر ان يسكن القيروان وغيرها حتى وصل الى إصبهان ، فكان يدرس فيها الادب ، وذهب علمه بالسنة هناك ضياعا ، وتوفي هناك ، قال شيخنا ابو عبد الله بن عرفة وما ذكره عياض من كونه كان مبغضا الى آخره نحوه ما اخبرني به شيخنا الفقيه الشهير ابو عبد الله بن الحباب انه رأى بخط الكاتب الاديب المؤرخ ابي الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي (148) ان ابا سعيد البراذعي كان غير مسالم في حاله وانه كان يعلم ذلك من الناس فكان ينشد من ياتيه من الطلبة البيت المشهور .

فخذ بعلمي ولا تنظر الى عملي كل الثمار وخل العود للنار

(قال) : وانه حضر جنازة الشيخ ابي محمد بن ابي زيد — أو بلغه وفاته — فقال له بعض اصحابه : مات لك ابن ابى زيد — يشير الى راحته منه — فقال له : هيهات وان مات لي ابن ابي زيد فلم يمت كتابه لكتابي ، قال ابن سعيد : فضرب الدهر بضرباته الى ان هجر الناس مختصر ابن ابي زيد واقبلوا على مختصر البراذعي

(قلت) : وعلى كل حال فخروجه من القيروان ولم يكن شيخا بها كاف في اجابة دعاء الشيخ ابى محمد فحذار من ذلك ، قال عياض : ويقال بل سببه انه الف كتابا في تصحيح نسب بني عبيد وانه كانت تاتيه هداياهم (قلت) قال شيخنا ابن عرفة

(148) هو صاحب المغرب فى حلى أدباء المغرب ومنه مختارات كثيرة بنفح الطيب توفى بتونس سنة 685 .

هذا لما شاع عند الناس من انقطـاع نسب بني عبيد ، قال صاحب كتاب الزيجة : جمع ابو العباس القادر علماء النسب والعلويين والقرشيين فاجمعوا على ان العبيديين ليسوا من قريش ولا من غيرهم من العرب وانما هم من ذرية ميمون بن القداح الانصاري من يهود سلمية (149) وكتبوا بذلك عقودا مشهودة ، وادركت من بلدنا من كان ينسب اليهم فكان شيخنا ابن عبد السلام يشير أو يصرح بهذا الطعن في نسبهم (قلت) : مع ان المطلوب سد هذا الباب حينئذ ولو كان صحيحـا حتى تهرب العامة والخاصة من قربهم ، وسمعت شيخنا ابا الفضل البرزلي ينقل غير ما مرة ان البراذعي لما الف اختصاره للمدونة اتى به الى الشيخ ابي محمد بن ابي زيد فأمر بحرقه او محوه لما تقدم من احواله فمشى ابو سعيد وعاوده واتى به اليه و انشده :

خـذ العلـوم ولا تعبـا بناقلهـا	واقصـد بذلك وجـه الخالق البارى
اصل الرواية كالاشجـار مثمرة	اجـن الثمـار وخـل العـود للنـار

فتركه ابو محمد ولم يعرض له ، قال عياض وكانت له دنيا ولم يبلغني وقت وفاته (قلت) : وسياق ما تقدم يقتضي انه مات بصقلية من غير تحقيق وكان شيخنا ابو الفضل المذكور اذا زار بنا جبانة الشيخ ابي الحسن القابسي يقف عند قبرين عند رأس كل واحد منهما لوح فيه كتب خفي لا يجاز (150) قبلة قبر الشيخ ابي داود الرهداني ويذكر ان قبرا منهما هو قبر ابى سعيد البراذعي ويدعو عندهما كغيرهما ، فقلت له : سياق كلام عياض يقتضي ان الغالب انه انما مات بصقلية ، فقال : ليس فيه تحقيق ولعله رجع الى القيروان ولو زائرا ومات بها وما زلت اسمع ان قبره احدهما .

---

(149) بلد عبيد الله المهدى بالشرق ومنها خرج بدعوته .

(150) كذا بالاصل وغيره ولعله لا يحاز من التمييز أى لا يقرأ .

٢٦٩ ● ومنهم أبو محمد عبد الله ابن بهلول رحمه الله

(قال) : كان من اهل الفقه والفتيا والعلم والعمل والورع الحاجز والكلام على الرقائق والمواعظ ، وله مجلس يوم الجمعة يجتمع الناس اليه يذكرهم ويخوفهم ، فكان يختم آخر مجلسه بالفقه والوعظ والدعاء وتوفى في رجب سنة سبع واربعمائة .

٢٧٠ ● ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن الغافقى

(قال) : كان فقيها عالما بالقراءات اخذ ذلك عن ابى بكر الهواري وابي بكر محمد بن الفتح بن الصواف ، وسمع الحديث واخذ المدونة ، وكان مشهورا بالدين والورع والفضل ، توفى يوم الجمعة لسبعة عشر خلون من صفر سنة سبع واربعمائة وعمره تسعون سنة ، ودفن بباب سلم وقبره معروف رحمه الله تعالى .

٢٧١ ● ومنهم أبو على حسن ابن خلدون البلوى

قد تقدم انه قرأ على الشيخ ابي الحسن القابسي ، (قال) : كان ركنا من اركان اهل السنة مع فقه كثير ، وصدقة ومعروف ، وهمة عالية واحسان الى العلماء والمعارف ، واخباره فى ذلك كثيرة ، (قلت) : وقال غيره : كان رأسا في افريقية جليل القدر في فقهائها مطاعا ، وكانت العامة تتبعه ، وكان شديدا على اهل البدع والروافض مغريسا بهم .

(قال) : حكي انه سافر مرة الى الساحل هو والفقيه ابو بكر عبد الله العوني ، فنزل — في ليلة باردة كثيرة الريح والمطر — في قرية فريانة فاستضافا فتى فانزلهما وذبح لهما دجاجة وباعت امه غزلا لها في علف دوابهما ، فلما اصبحا عرض ابو علي على الفتى دراهم كثيرة فابى من قبولها ، ثم لما كان بعد

ذلك بزمان وصل الفتى الى القيروان مخاصما في فرخين (151) من البقر ، فعرفه الفقيه ابو علي ولم يعرفه الفتى ، فدفع له ابو علي ثمن الفرخين ، ثم قال له : شاركني ، قال له : نعم ، فاشترى له ابو علي ثورين لم ير احسن منهما باحدى واربعين مثقالا ذهبا واعطاه زرّيعة قمح وشعير ما طلب ، واوصى عليه من ينظرني امور مكانه ، فلما كان حين الفراغ من الدرس اتى الفتى الى ابى علي فقال : قد اصبنا مائتي قفيز قمحا وشعيرا ، وكان ذلك باثر عام خمسة وتسعين وثلاثمائة سنة الشدة العظيمة التي قدمنا ذكرها ، فقال له ابو علي — بعد ان عرّفه بنفسه — الزرع كله لك وما جعلت اسمي مع اسمك في الشركة الا سترا عليك ، ولم يأخذ له حبة واحدة .

(وحكي) ايضا ان ابا علي قاسم الفقيه ابا عبد الله الخواص في شدة سنة تسعين في جميع ما عنده من طعام وكسوة وفاكهة حتى الفستق ونحوه واعطاه مائة دينار ذهبا ، وقد كان احمد بن عوانة الفقيه نسخ للفقيه ابي علي جزءا من كلام الاشعري يساوي اربعة دراهم فدفع له اجرة ذلك فلم يقبل ، ثم ان احمد بن عوانة ذهب الى تونس في زيارة المؤدب محرز ، فأتى الى القيروان — وقد اصابه رمد شديد في شدة الحر — فانزله ابو علي معه في الدار ، واستدعى الطبيب ابن أعين يداوي عينيه ، فداواه حتى برىء ، وكان يجري عليه النفقة ، فلما اراد السفر اعطاه رزمة فيها جامع ابن وهب يساوي نحو ثلاثمائة درهم فسار به الى باديته ، وكان يُجري النفقة على جماعة من اهل العلم والطلبة ويحضر مائدته جماعة من العلماء والطلبة ويصلهم بالدراهم الكثيرة وكان اذا سافر أعدّ انواعا من الاطعمة وصنوف الحلواء فيفرق ذلك على اهل رفقته ، وكانت هديته تصل اقصى اهل محلته وتعم جيرانه .

---

(151) المعروف في فقه اللغة ترتيب أسنان ولد البقرة هكذا : تبيع ثم جذع ثم ثنى الخ ولا يقال فيه فرخ فلعله استعمال عامي .

(وحكي) ايضا انه اشتهى مرة بالمنستير تنا (152) مقلوا فاشترى حبة فيها ازيد من قنطارين وقلى ذلك كله وفرقه على المرابطين بالقصر ولم يأكل منه الا أكلة واحدة ، واعطى ليحيي بن عبد الله العمري الوافد على القيروان مالا جليلا ، وفضائله كثيرة ختم الله اعماله بالشهادة ، دخل اليه قوم من المشارقة (153) والشرط مع محمد بن لصوية (154) عامل محمد بن حسن على القيروان بعد صلاة العصر يوم الخميس الثاني عشر من شوال سنة سبع واربعمائة وهو في مسجده ومعه جماعة من الناس ، فقتلوا ابا محمد الغرياني (155) الفقيه وآخر بدويا ظانين انه ابو علي ، فلما عرفوا مالوا على ابى علي بسكاكينهم ، وجردوا جماعة ممن كان في المسجد فحملوا ابا علي الى داره وقد وقعت فيه ثلاث جراحات احداها في صدغه اخذت الى قفاه واثنتان في جانبه الايسر انفذتا مقاتله توفى في داره بعد العشاء الاخرة وبقي دمه بالمحراب الى قريب زماننا هذا .

(قلت) : سبب قتله انه لما قدم المعز بن باديس القيروان بعد موت ابيه واستفتاح ولايته وذلك يوم الجمعة منتصف محرم عام سبعة واربعمائة (156) قتلت العامة الرافضة بالقيروان اقبح قتل وحرقوهم وانتهبوا اموالهم وهدموا ديارهم وقتلوا نساءهم وصبيانهم وجرحوهم بالارجل ، وكانت صيحة من الله سلطها عليهم وخرج الامر من القيروان الى المهدية وساير بلادهم فقتلوا حيث وجدوا

---

(152) حوتا كبيرا معروفا يصبر ويدخر ، وكانت بالمنستير لعهد قريب تنارة يصاد بها هذا الحوت ، فاشترى حبة المراد بها وحدة تقدر بها كمية المشترى وما زالوا يعبرون بها فى المشرق .

(153) شيعة العبيديين .

(154) شرطى بربرى من كتامة .

(155) فى ق : الفرياني .

(156) هذا هو تاريخ قيام الثورة على الشيعة بافريقيا وقطع تبعيتها للدولة الفاطمية بمصر .

واحرقوا بالنار فلم يترك احد منهم بمداين افريقية الا من اختفى ، ولجأت الرافضة الى مساجد المهدية فقتلوا فيها ، وهدموا دار الامارة وتقدمت العامة بذلك الى جماعة من اهل السنة ومن غيرهم فلقد حكى أن العامة جاءت متعلقة برجل اتهموه برايهم ، فمروا به على شيخ من العامة فسالهم عن تعلقهم به فقالوا نسير به الى الشيخ ابي علي بن خلدون فنظر ما يأمرنا به (157) فقال لهم الشيخ العامي : لا ! اقتلوه الآن ! فان كان رافضيا اصبتم ، وان كان سنيا عجلتم بروحه الى الجنة الآن او كما قال : فانتقم الله منهم على ايدي عامة المسلمين وقتلوهم كل مقتل ، فرعب المعز منهم واراد كسر شوكتهم فدبر قتل زعيم اهل السنة وشيخ هذه الدعوة فلما كان يوم الخميس الثاني عشر من شوال من السنة المذكورة اتي عامل القيروان الى مسجد الشيخ ومعه خيل ورجال ففعلوا ما تقدم ذكره ، ولما توفي رحمه الله ارتجت المدينة وثارت الصيحة من نواحي القيروان ، فمال اهل المنصورة (158) من الرجال والعبيد فنهبوا جميع ما في حوانيتها حتى لم يدعوا حانوتا ، والقيت النار في كبار الاسواق ونهبت اموال التجار فذهب الناس واشتغلوا بأنفسهم عن مقتل الشيخ ابي علي وخبره ، واراد عامل القيروان استرضاء الناس فجاء برجلين فقال انهما اللذان قتلاه فقتلهما .

(قلت) : وما تقدم من قولنا خرج الامر من القيروان الى المهدية وسائر بلادهم خلاف ما كان يقول شيخنا ابو الفضل البرزلي ان الوقت الذي قام عليهم فيه اهل القيروان قام كل شيخ على من في بلده كالشيخ محرز على اهل

---

(157) مفهومه ان المترجم كان زعيما لاهل السنة ولكن طغيان الفتنة صير الامر الى العامة .

(158) كذا بالاصل وصوابه المنصورية وهي التي بناها المنصور العبيدى سنة 336 وتعرف بصبرة وهى مقر الحكم وموئل الشيعة فكان تداخلها انتقاها من الثائرين ولكن المعز بت فى الامر بقطع الدعوة العبيدية واستقل بافريقيا فأراح واستراح الى حين .

تونس من غير ان لا يكون اتفاق منهم على ذلك بل هي كرامة في حق جميعهم (قال) : وصلى على ابى علي ابو بكر بن عبد الرحمان (قلت) : الصواب عدم الصلاة عليه لقوله ختم الله اعماله بالشهادة (قال) : ودفن بداره وقبره الآن بباب سلم مشهور وقد رثي بمراث كثيرة لم احكها لطولها رحمه الله تعالى .

٢٧٢ ● ومنهم أبو القاسم عبد الرحمان بن علي بن محمد الكناني المعروف بابن الكاتب رحمه الله ورضي عنه

(قال) : اخذ عن ابن شبلون ، وسمع من القابسي وكان احد الفقهاء المستنبطين والعلماء الراسخين ، وكانت له فتاوى مشهورة ، ثم رحل الى المشرق فلقي الناس وعاد الى القيروان ، (قلت) : قال ابن سعدون كان موصوفا بالعلم والفقه والنظر وفضله مشهور ، ورحل الى المشرق وحج ، وسأله الطائي بمصر عن فروق اجوبة في مسائل مشتبهة من المذهب فقال الطائي : وقد كان اعضل جوابها كل من لقيت من علماء العراق ، فأجابني ابو القاسم فيها ارتجالا على ما كان عليه من شغل البال بالسفر ، وقد وقفت على جوابه في جزء منطو على احد واربعين فرقا ، وكان قويا في المناظرة وناظر ابا عمران الفاسي مرة وطالت بينهما المناظرة حتى علا العرق ابا عمران وبل قميصه ورداءه وصار كمن غسله في ماء ، وبينهما في ذلك نزاع وخلاف ومراجعات في مسائل مشهورة نقلت عنهما ، ولابي القاسم كتاب كبير في الفقه نحو مائة وخمسين جزءا (قال) : ولما عاد بعد رحلته من المشرق الى القيروان ركب البحر هو وابو عبد الله المالكي فحين اشرفوا على مدينة صفاقس توفي ابو القاسم فادخل المدينة فغسل وكفن وصلى عليه في جمع كثير ثم حمل الى القيروان فوصل اليها ليلة الخميس من صفر سنة ثمان واربعمائة وكانت وفاته ليلة الاثنين لست بقين من صفر سنة ثمان واربعمائة ودفن في داره ، (قلت) : وداره هي اليوم خارج القيروان قبلتها وليس معه احد وعلى قبره نور ما رايته على قبر احد رحمه الله تعالى .

٢٧٣ ● ومنهم أبو سعيد خلف ابن محمد الخولانى (*)

(قال) : قرأ على ابي محمد بن ابي زيد ، وزكرياء بن يحيى بن سلام ، جمع العلم والزهد والقناعة والنزاهة وكتم الفاقة ، وكان حافظا ، وكان رأس ماله مقصا بنصف درهم وحلقة بربع وابرة بخروبة وكان اذا خاط بدرهمين لا يخيط شيئا حتى ينفقهما في اثنين وثلاثين يوما كل يوم خروبة (159) فاذا فرغ ذلك عاد فخاط كذلك بدرهمين ولو قيل له تخيط ثوبا بمائة دينار لم يفعل حتى تفرغ الدرهمان ، وكان يدرس الشهر كله ، وانصرف يوما من مجلس ابي محمد بن ابي زيد وعليه اطمار كانما نبشت من القبور فنظر اليه ابو محمد والى ثيابه وسأل عنه ؟ فقيل له : والله ما يلبس هذه الا يتجمّل بها في الميعاد ، واما ما يقطع به الايام ففرو يساوي درهمين ، فبعث اليه ابو محمد بن ابي زيد بصرة فيها خمسون دينارا ذهبا فأبى ان يقبلها على شدة فقره وحاجته ، وقال : انما قوتي كل يوم خروبة آخذ بها خبزا تصب عليه الوالدة مرق بقل او ما تيسّر وتهيأ رحمه الله تعالى .

٢٧٤ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن سفيان المقرى الفقيه

(قال) : كان من اوحد زمانه في القراءات والّف في ذلك كتابه الهادى ، أخذ القراءات على ابي الطيب بن غلبون المقري وتفقه على ابي الحسن القابسى ، اخذ عنه القراءات كثير من الناس ، (قلت) : زاد غيره : وكان حسن الصوت بالقرآن ، (قال) : وكان ابو الحسن القابسي يحبه ويدعو له ويقول من اراد ان

(*) فى ق : الخرقى بدل الخولانى ·

(159) مفهومه ان مصارفة الدرهم فى ذلك العصر ست عشرة خروبة وكذلك كان الريال عندنا لعهد قريب ·

ينظر الى زهرة من زهرات الدنيا فلينظر الى ابي عبد الله محمد بن سفيان (قلت) وتوفى سنة ثمان واربعمائة .

٢٧٥ ● ومنهم حربون ابن خلفون القرشي وهو خادم الشيخ أبي الحسن القابسي رحمه الله

(قال) : كان رجلا صالحا فاضلا ، وكان الشيخ ابو الحسن يقول : لم اعلم انه عثماني (160) الا من قريب بعدما اختلط بنا ولو علمت ذلك من قبل لم استخدمه احتراما لنسبه ، توفي يوم الخميس الخامس من شوال سنة خمس عشرة واربعمائة ودفن بباب تونس وقبره معروف .

٢٧٦ ● ومنهم أبو عبد الله ابن أبي صفرة بن أسيد التميمى الاندلسى من أهل المهدية رحمه الله

(قال) : وهو اخو المهلب بن ابي صفرة (161)، (قلت) : وهو بالفضل مذكور كأبي عبد الله (قال) : كان ابو عبد الله عالما فاضلا جليلا اخذ بالاندلس على ابي محمد الاصيلي وصحبه ، واخذ بالقيروان عن ابى الحسن القابسي وغيره ، (قلت) : وكان له مع ذلك حظ وافر من علم العربية وآداب وحسن هدى واستقامة وظهور نسك وصدق لهجة وطيب اخلاق وكان من البكائين الخاشعين الورعين ، قال الحميدي توفي قبل العشرين واربعمائة ، (قلت) : ونقله العواني وتكرر التعريف به مرة أخرى ، (قال) : ولم يعزه توفي سنة ست عشرة واربعمائة (162) .

---

(160) نسبة الى الخليفة الثالث رضى الله عنه .

(161) ليس هذا بالمهلب ابن أبى صفرة الامير الاموى الذى أباد الازارقة (من الخوارج) فالاخير ازدى يمانى توفى سنة 83 والمعلق عليه هنا تميمى افريقى والامد بينهما بعيد جدا .

(162) لا تعارض بين النقلين .

٢٧٧ ● ومنهم أبو العرب محمد ابن تميم بن أبى العرب التميمى الفقيه رحمه الله تعالى

(قال) : كان من اهل العلم والفضل والثقة واسع الرواية عارفا بالتاريخ صحيح النقل كثير التحري معروفا بالصدق ، يروي عن ابيه وغيره ورحل الى المشرق سنة احدى وسبعين وثلاثمائة ولقي العلماء بمصر والشام والحجاز ودخل الاندلس ثم عاد الى القيروان فمات في احوازها سنة سبع عشرة واربعمائة وكان مولده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة .

٢٧٨ ● ومنهم أبو الطيب عبد المنعم ابن خلدون البلوى الفقيـه المفتـى

(قال) : كانت له عناية بالفقه والدين ، اشتهرت امامته بالقيروان وانتشر فضله وعنايته بالعلم ، واقواله معتبرة في مذهب مالك ، وهو احد اشياخ القيروان الفقهاء ، توفي بالقيروان سنة احدى وعشرين واربعمائة .

٢٧٩ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبى موسى عيسى بن مناس اللواتى

(قال) : كان فقيها جليلا حافظا اخذ عن ابي الحسن القابسى وانتفع به ، اخذ عنه حاتم الطرابلسي وغيره من العلماء رحمة الله عليه .

٢٨٠ ● ومنهم أبو بكر عتيق ابن خلف التجيبى الـواعظ المـؤرخ

(قال) : الف كتاب الافتخار وكتاب الطبقات ، كانت له عناية بالعلم والفقه ومناقب الصالحين ، سمع من ابي محمد بن أبي زيد ، وابى محمد بن التبان ، وابى

سعيد بن اخي هشام ، وميسرة بن مسلم ، وابى العباس بن تميم ، وابى الحسن القابسي ، وكانت له رحلة الى المشرق . اخذ فيها عن جماعة من العلماء ومشايخ كثيرة ، روى عنه ولده عبد الملك ، وكانت وفاته في الثاني والعشرين لجمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين واربعمائة ودفن بباب سلم قرب شقران رحمه الله تعالى .

٢٨١ ● ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن الاصغر الزاهد العابد

(قال) : كان رحمه الله من الفقراء المتجردين المتقشفين المقلين ، كان الشيخ ابو الحسن القابسي يعظمه ويثني عليه ويرغب في صحبته ، روى انه قال يوما للشيخ ابى الحسن ، والله انى لا شح على الفقر ان يزول عني كما يشح صاحب الغنى على غناه ، وكان من فضلاء المؤمنين ذا ورع وموالاة على الدين ، وله كرامات رحمه الله تعالى .

٢٨٢ ● ومنهم أبو عمران موسى ابن عيسى ابن أبى حاج الغفجومى (*) الفاسى نزيل القيروان

اصله من فاس وبيته بها بيت مشهور يعرفون بها ببني حاج ، (قال) : تفقه بالقيروان على الشيخ ابي الحسن القابسي وغيره – يعني ابا بكر الزويلي – وعلي ابن احمد اللواتي السوسى ، (قال) : ثم رحل الى قرطبة فقرا على ابي محمد الاصيلي ، وسعيد بن نصر، وعبد الوارث بن سفيان ، واحمد بن قاسم الابزاري (163)، ثم رحل الى المشرق واخذ بمصر القراءات على ابي الحسن عبد الكريم بن احمد ابن ابي جدار ، واخذ بمكة عن ابي اسحاق عبيد الله بن محمد بن احمد السرقسطي ،

(*) الغفجومى نسبة الى قبيلة بربرية .

(163) فى ق : البزار .

ثم حج حجات كثيرة ودخل بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، وحضر مجلس ابى بكر بن الطيب بن الباقلاني القاضي وسمع منه ومن غيره وعيّنهم ، ثم انصرف الى القيروان فاقرأ بها القرآن مدة ثم درس الفقه واسمع الحديث واشتهر بها الشهرة التامة ورحلت اليه طلبة العلم من البلاد وظهرت إمامته ، (قلت) : وتفقه عليه جماعة كثيرة كعتيق السوسي وابي القاسم السيوري وجماعة من الفاسيين والاندلسيين ، وطارت فتاواه في المشرق والمغرب ، وكان يجلس للمذاكرة والسماع في داره من غدوة الى الظهر فلا يتكلم بشيء الا كتب عنه الى ان مات .

(ذكر ثناء العلماء عليه وهيبته)

(قال) : كان فقيها عالما بفنون العلم منها القرآن وعلومه والحديث وعلله ورجاله والفقه البارع ، مع الورع التام والهيبة والوقار والسكينة قليل الضحك — قيل انه مارئي ضاحكا قط الا مرة واحدة — عارفا باصول الدين ، (قلت) : وكان ابو بكر الباقلاني يعجبه حفظه ويقول : او اجتمعت في مدرسة انت وعبد الوهاب بن نصر لاجتمع فيكما علم مالك انت تحفظه وهو ينصره ، لو رآكما مالك لسر بكما ! ولما وصل الى بغداد شاع ان فقيها مالكيا من أهل المغرب قدم ، فقال الناس لسنا نراه الا عند القاضي ابي بكر — وهو اذ ذاك شيخ المالكية بالعراق وامام الناس — فنهض من اهل بغداد جماعة لمسجد ابى بكر ومعه اصحابه وابو عمران فجرت مسائل واجاب ابو عمران عنها ، ثم سأل رجل شافعي عن مسألة من الاستحقاق فأجابه ابو عمران بجواب صحيح مجرد عن الدليل ، فطلبه السائل بالحجة عليه ، فاطرق الشيخ ابو عمران فقام شاب من أهل بغداد من المالكية فقال للسائل : اصلحك الله هذا شيخ من كبار شيوخنا ومن الجفاء أن تكلفه المناظرة من اول وهلة ، ولكن اخدمه انا في نظر هذه المسألة وانوب عنه فيها ، الدليل على صحة ما أجاب به الشيخ حفظه الله كذا وكذا ، فاعترضه الشافعي فيه ، ثم انفصل المالكي من اعتراضه حتى خلص الدليل ، فلما اكمل

الكلام على المسألة قام اليه الشافعي فقبل رأسه وقال احسنت يا سيدي وحبيبي انت والله شيخ المذهب حين نصرته ، وجرت في ذلك المجلس مسائل ، ولما ورد القيروان وجلس بها وبان علمه قال اصحاب ابى بكر بن عبد الرحمان : نسير اليه ، وقالوا انه يعز على شيخنا ذلك ، وتراضوا في الحضور عنده ثم عزموا على ذلك وقالوا انه لا يحل لنا التخلف عن مثله ، فاسخطوا شيخهم حتى يحكى انه دعا عليهم وهجرهم .

قال : وكانت له هيبة قال ابو عبد الله محمد بن علي المازري عن بعض شيوخه : ان المعز بن باديس بعث ابن عطاء اليهودي طبيبه وخاصته الى ابي عمران يستفتيه في مسألة ، فلما دخل على الشيخ في داره ظنه الشيخ بعض رجال الدولة إلى أن قال بعض الحاضرين : اكرمك الله انه من خيار اهل ملته ، فقال الشيخ : وما ملته ؟ فقال : هذا ابن عطاء اليهودي ، فغضب ابو عمران وقال لابن عطاء : اما علمت ان داري كمسجدي فكيف اجترأت على دخولها ؟ وامره بالخروج فخرج وهو يرعد ، وكان غير معلّم (164) فأمر الشيخ بصبغ طرف عمامته لشهرته ، وقال انصرف الى مرسلك فقل له : يبعث الي برجل من المسلمين يأخذ جواب مسألته فاني لاستحيي ان احملك اسماء الله وحكما من احكامه ، فلما دخل اليهودي على المعز ذكر له القضية وقال : والله يا سيدي ما ظننت ان بافريقية ملكا غيرك الا يومي هذا ولقد وقفت بين يديك في حال غضبك الشديد فما ادركني الفزع ولا اصابني من الرعب ما اصابني في يومي هذا ! فقال له المعز : انما فعلت ذلك لاريك عز الاسلام وهيبة علماء المسلمين وما البسهم الله من شعائر الاولياء لعلك تسلم .

(ذكر بقية اخباره)

---

(164) غير حامل علامه اليهود .

قال ابو العباس الجعفري الاندلسي : قال رجل بالقيروان : انا خير البرية فهمت به العامة ثم لبث فحمل دار ابى عمران فقيل ذلك له ، فقال له : انت مؤمن ؟ قال نعم ، قال : تصلي وتصوم وتفعل الخير ؟ قال نعم ، قال : اذهب بسلام قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية) فانفض الناس عنه ، (قلت) : وابو العباس المذكور من أهل بياسه ، وجرت بالقيروان مسألة أخرى في الكفار هل يعرفون الله ام لا ؟ ووقع فيها تنازع عظيم من العلماء وتجاوز ذلك للعامة وكثر التنازع بينهم فيها حتى كاد يقوم بعضهم على بعض في الاسواق ويخرجون عن حد الاعتدال الى القتال ، وكان القايم بذلك رجل مؤدب يركب حماره ويذهب من واحد الى آخر فلا يترك متكلما ولا فقيها الا سأله فيها وناظره ، فقال قائل لو ذهبتم الى الشيخ ابى عمران لشفانا من هذه المسألة فقام أهل السوق بجماعتهم حتى اتوا باب داره واستأذنوا عليه فاذن لهم فقالوا اصلحك الله انت تعلم ان العامة اذا حدث بها حادث انما تفزع الى علمائها وهذه المسألة قد جرى فيها ما بلغك وما لنا في الاسواق شغل الا الكلام فيها ، فقال لهم : ان انصتّم واحسنتم الاستماع أخبركم بما عندى قالوا : ما نحب الا جوابا بينا على قدر أفهامنا ، فقال لهم : وبالله التوفيق ، ثم اطرق ساعة وقال : لا يكلمني منكم الا واحد ويسمع الباقون ، فقصدوا احدا منهم فقال له : أرأيت لو لقيت رجلا فقلت له : أتعرف ابا عمران الفاسي ؟ فقال : اعرفه ، فقلت صفه لي ، فقال : هو رجل يبيع البقل والحنطة والزيت في سوق ابن هشام ويسكن صبرة أكان يعرفني ؟ قال : لا ، قال : فلو لقيت آخر فقلت له : اتعرف الشيخ ابا عمران ؟ قال نعم فقلت : صفه لي ، فقال : نعم رجل يدرس العلم ويفتي الناس ويسكن بقرب السماط ، أكان يعرفني ؟ قال : نعم ، قال والاول ما كان يعرفني ؟ قال لا ، قال لهم . الشيخ فكذلك الكافر اذا قال لمعبوده صاحبة او ولد أوانه جسم ، وعبد من هذه صفته ، فلم يعرف الله ولم يصفه بصفته ولم يقصد بعبادته الا من هذه صفته ، وهو بخلاف المؤمن الذي يقول ان معبوده

الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ، فهذا قد عرف الله ووصفه بصفته ، فقامت الجماعة وقالوا جزاك الله خيرا من عالم فقد شفيت ما في قلوبنا ودعوا له ولم يخوضوا في مسألة بعد هذا المجلس (قال) : ورحل الى المشرق مرة ثانية سنة ست وعشرين واربعمائة فلقي بمكة عبد الله بن احمد الهروي واخذ عنه ثم قدم القيروان قبل وفاته بيسير .

(ذكر وفاته وما يتعلق بذلك)

(قال) : ولما حضرت ابا عمران الوفاة جعلت زوجته تمرغ خديها على رجليه فقال لها مرغي اولا تمرغي أما والله اني ما مشيت بهما الى معصية قطّ ، (قلت) : لو لم يكن في فضل ابي عمران الا هذا مع ما تقدم من كونه ما رئي ضاحكا قط الا مرة واحدة لكان كافيا في ذلك (قال) : وتوفي في الثالث عشر من رمضان سنة ثلاثين واربعمائة ومولده سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، (قلت) : كذا قال ابو عمر بن عبد البر ، وقال ابو عمرو الداني : مولده سنة خمس وستين ، قال وحضر للصلاة عليه جميع اهل القيروان والسلطان في موكبه وتجاذبت العامة نعشه وهو على رؤوسهم الى ان كسروا تحته نعشين من بكرة الى قرب الزوال ، وصلى عليه ابو بكر عتيق السوسي الفقيه الزاهد بوصيته له بذلك ودفن بداره وقبره مشهور بالقيروان يتبرك به .

(قلت) : وما زلت أسمع ممن نثق بقوله انه ورثه زوجته وابنته وعصبة بيت المال وانه وجد في تركته الكبريت الاحمر فاستردّه السلطان المعز بن باديس لبيت المال ! وهذا غير صحيح لقول المازري في شرح الجوزقي : لما افاق ابو عمران من اغمائه في مرضه الذي مات فيه سمع ام ولده عيسى تبكي وتقول واشماتة اعداء عيسى بعيسى ! فقال لها قولي لاعداء عيسى لا يموتون ! وجعلت تمرغ خديها على رجليه فقال لها ما تقدم ، ولو نقله الشيخ الدباغ على نحو ما قلناه لكان اتم

فائـدة ، وقد تقدم انه لمـا مات الشيخ ابو الحسن القابسي مـكث ابو عمران على قبره سنة كاملة وان ابا الحسن القابسي وقف له في المنـام وقال له : نوّرت قبري نوّر الله قبرك ، ادخل القيروان وفـقه اهلهـا في الدين ، فجرت العادة في زماننا وقبله اكثر ما يؤتى له بالزيت فيشعـل على قبره منه ويباع ما يفضل منه بالدنانير وتصلح منه داره المدفون فيها ويأخذ منه الواقف في الموضع (165) ومن يـكن في سفر وخاف من اخذ الاعراب له يعد الشيخ أبا عمران بصـاع من الزيت او اقل او اكثر ان سلمـه الله فيسلمـه الله عزّ وجلّ ويوصل ذلك لداره فيفرغه في جرّة معدة لذلك وينصرف ، وكذلك ان مرض انسان او مرض له ولد او ما اشبه ذلك وكل من نزلت به نازلة بالقيروان من سرقة ماله او غير ذلك يـكثر من الزيارة للشيخ والدعاء عند قبره يفرج الله عنه ما نزل به في غالب الحال .

٢٨٣ ● ومنهم أبو حفص عمر بن محمد العطار

(قال) : كان من المجتهدين المبرزين من ايمـة القيروان المعدودين ، انتفع به خلق كثير من الناس (قلت) : منهم عبد الحميد المهدوي المعروف بابن الصائغ وابن سعـدون ، (قال) : حتى كان الذكر لابي بـكر بن عبد الرحمـان والعلم لابى حفص العطار لان ابا بـكر بن عبد الرحمان هو شيخ ابي حفص هذا لـكنه برع فناهز شيخـه أو كاد ، وكان موفقـا في اجوبته ، لم ير معلما بالقيروان أحسن منه تعليمـا ، ومات قبل وفاة الشيخ ابى بـكر بن عبد الرحمـان فقال الشيخ ابو بـكر : رحمك الله يا ابا حفص فلقد كنت تنصرني وتـكفيني امورا كثيرة من الفتيا ، ولابى حفص تعليـق على المدونة أملاه سنة سبع وعشرين او ثمـان وعشرين واربعمائة وهو كتاب نبيل جدا ، (قلت) : ودفن بباب سلم وقبره مشهور مزار وعلى مشهده مـكتوب :

---

(165) في النقيب .

المـوت بحـر عــامق موجـه تحــار فيه حيلــة الســابح
يـا نفـس اني واعـظ فاسمعي مقالــة من مشفـق ناصح
مـا يصحب الميـت في قبـره غيـر التقـى والعمــل الصــالح

وبقربه حوطة فيها مشاهد على قبور متعددة يقـول العامة انهم قبور حناطين كانوا صلحـاء فقحط الناس واستسقوا اياما فلم يجابوا ، فخرج هؤلاء الحناطون وبأيديهم الويبات والصيعان وخرجوا يطلبون الله عز وجل بالدعاء فـكان من دعائهم ان قالوا اللهم ان كنت تعلم انا لا نـكتال الا حقا ولا نغش في بيع طعامنا ــ أو ما في معناه ــ فامطرنا فامطروا من الفور في تلك الحالة بمطر وابل ، فـكان مما علم لهم ذلك فجرت عادة العامة يتبركون بقبورهم ويزورونهم ويدعون عندهم ، ولا اعرف احدا من المؤرخين ذكرهم .

٢٨٤ ● ومنهم أبو بكر أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله الخولاني رحمه الله ورضى عنه

قال : قرأ على الشيخ ابى سعيد ابن اخي هشام ، ثم على الشيخ ابى محمد بن ابى زيد ، ثم لزم الشيخ ابا الحسن القابسي وانقطع اليه حتى لم يـكن في اصحـابه مثله واباح له ابو الحسن الفتيا في حياته ، وعرض عليه ان يقاسمه في جميع ما يملـكه فامتنع ، وسمع ايضا من ابي بـكر الزويلي ، وابى محمد عبد الله بن احمد الصدفي ، وابى جعفر بن عبد الله الـكاتب ، وابي الحسن بن ابي بـكر وابى محمد بن البادسي ثم رحل الى المشرق سنة سبع وسبعين وثلاثمائة فلقي ابا بـكر عتيق بن موسى الحاتمي المصري ، وابا بـكر محمد بن بـكر النعالي وابا القاسم عبد الرحمـان بن محمد بن احمـد الجوهري وغيرهم وكلهم اجازوه اجـازة عامة وانتفع به الناس ، وكان اصحابه نحو المائة والعشرين كلهم يقتدى بهم ، (قلت) : منهم ابو القاسم بن محرز ، وابو حفص العطـار ، وعبد الواحد الـكفيف ، وابو اسحـاق

التونسي ، وابو القاسم السيوري ، وابو الفضل ابن بنت خلدون ، وابو عبد الله محمد بن سعدون ، وابو محمد عبد الحق وابو حفص عمر بن طيبون ، وابو بكر عبد الله بن محمد المالكي .

(ذكر ثناء العلماء عليه)

(قال) : كان احد الفقهاء المبرزين ، والحفاظ المعدودين ، اجمع اهل عصره على انه لم يكن في وقته احفظ منه ، مع اجتهاد في العبادة وقيام الليل وصيام النهار ورقة القلب وغزارة الدمع وكثرة الصدقة واجابة الدعاء ، وقال ابو الحسن القابسي ان ذكر العابدون فأبو بكر بن عبد الرحمان اولهم ، وان ذكر المجتهدون فأبو بكر اولهم ، وان ذكر المتفقهون فابو بكر اولهم ، وقال ابو القاسم السيوري ما رأيت ابا بكر بن عبد الرحمان اخطأ في مسألة واحدة من المدونة ، وقال ابو بكر : لو عدمت المدونة لكتبتها من صدري ، (قلت) : وكذلك قال في كتاب ابن المواز حسبما تقف عليه ، وقال بعضهم : مازال الذكر ورئاسة الدين في وقته مع صاحبه أبي عمران الفاسي في المغرب ، حتى لم يكن لاحد معهما اسم يعرف .

(ذكر عبادته وصدقته واجابة دعائه وقلة هيبته للسلطان)

(قال) : كان يمشي للمنستير كل سنة في رمضان فكان طول رمضان لا ينام الليل ، وكان يصوم الدهر فلا يفطر الا الايام المحرمة الصوم ، وكان كثير الصدقة لا يخلو ميعاده من صدقة ابدا ، وروى ان رجلا تكلم في عرض الشيخ ابي بكر ، فقال : اللهم أره في فمه العبرة ، فأصاب الرجل انفالج فنغوج منه فمه ، ودعا على جعفر بن الكوفي فقال اللهم لا تمهله فمات تلك الليلة ، ودعا على رجل ظالم كان يغصب الناس فأصابه اسفجون (166) فمات من الغد .

---

(166) السفنجون كذا نسخة ق وهو مرض بلغة اجنبية .

(قلت) : وحكى الشيخ الفقيه الامام ابو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي في كتابه المسمى بسراج الملوك قال اخبرني شيخ قديم كان يصحب العلماء بالقيروان يقال له جرير ، قال اخبرني عبد الكافي الدبياجي ، قال رأيت بالقيروان آية عظيمة وذلك ان رجلا جاء بصبي قد اسكت ولم يتكلم فدخل به الى الفقيه ابى بكر بن عبد الرحمان واخبره انه لا يتكلم منذ ايام وسأله ان يدعو الله ان يفرج ما به ، قال فدعا له ساعة ثم مسح على وجهه فاستفاق فقال له قل : لا اله إلا الله ، فقال الصبي اشهد ان لا اله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله ، ثم التفت (167) الى ابيه وقال له اكتمها حتى اموت فلما كان عند وفاة الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمان واحتفل الناس بجنازته قام الرجل وساق لهم القصة كما ذكرنا .

(قال) روي انه قال يوما للمعز ابن باديس — وقد اراد ان يبعثه رسولا الى صقلية — والله ان أقلامنا لامضى عند الله من رماحك ! ودس اليه المعز يوما من كتب سؤالا نصه : ما يقول الفقيه في هذا الطرز التي فيها اسماء بني عبيد مثل الظاهر والحاكم وغيرهما مما يلبس أيُصلّى فيها ؟ فكتب الشيخ ابو بكر جوابا : هذا سؤال أحمق أخرق قليل المعرفة ، وكتب الشيخ ابو عمران الفاسي جوابا عن هذا السؤال : انما يجب على من بسط الله يده ان يمنع من ذلك ! فشق على السلطان جواب الشيخ ابي بكر فارسل اليه والى الشيخ ابي عمران فقال للشيخ ابي بكر ، لم اجبت بهذا ؟ فقال لان السكة تضرب باسمائهم وبنودهم تخفق على رأسك فقال السلطان ما ابقيت السكة والبنود الا مداراة لاجل حجاج بيت الله الحرام والمسافرين ، ثم قال السلطان الم اقتل المشارقة ؟ الم افعل كذا الم افعل كذا ؟ فقال الشيخ ابو بكر : فعلت وبقي عليك ! اتأذن لي ان اتكلم ؟ قال له السلطان لا ثم عطف عليه الشيخ ابو عمران فقال له :

---

(167) يعني الشيخ أبا بكر .

لم لم تكتب بمنع ذلك ؟ (قلت) : فالشيخ ابو عمران اعان بكلامه هذا ابا بكر ، ولذلك قيل كان ما بينهما تباعد جدا حتى طمع بذلك المعز فيهما ليجري الحجة على العامة بشهادة احدهما على الآخر اذا كانت العامة طوعهما فلما اختبرهما بذلك لم يجد عندهما ما يوافقه ووجد دينهما امتن مما يظن ، (قال) : وبعث اليه المعز يوما رسولا فقال له : يقول لك المعز هل أنا عندك مسلم ام كافر ؟ فقال للرسول قل له تتبع العلماء هذا التتبع وتستقصي عليهم والله لئن لم تتركني لاعرضنك على الله عز وجل ! فلم يعرض له بعد ذلك بشيء .

(ذكر بقية اخباره)

يذكر ان اصحاب ابي بكر تعجبوا من حفظه فاتفقوا على اختباره ، فلما كان من الغد اخذوا غير الكتاب الذي يتذاكرون فيه — وكانت مذاكرتهم اياه في كتاب ابن المواز — فلما قرأوا الكتاب قال لهم الشيخ ليس كتابنا هذا فجمحوا عليه وأروه أنه هو الذي حضروا للمذاكرة فيه اولا ، ففطن الشيخ لمرادهم ، واخذ الكتاب في يده ونظر فيه ، ثم طواه والقاه عليهم من حفظه ، وقال : علمت ما اردتم لو عدعتم هذا الكتاب لامليته عليكم من حفظي !

(قال) : ورات امه وهي حامل به كأنها حاملة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى الشيخ ابو بكر كأن مالك بن انس خلق في داره ، وقال ابو عبد الله ابن سعدون : رأيت في المنام كأن قائلا : بين السماء والارض اسمع صوته ولا ارى شخصه يقول : الا ان ابن عبد الرحمان قد ورث جد رسول الله صلى الله عليه وسلم — كررها مرتين او ثلاثا — وانه من اهل الجنة ، فذكرتها للشيخ فدمعت عيناه (قلت) : وقال ابن سعدون ايضا اخبرنا الشيخ ابو بكر انه كان رأى في المنام كأن قائلا يقول له : اكتب اسمك في ذلك اللوح الذي فيه اسماء العلماء فانظر فيه الى اسم مالك فاكتب اسمك تحته أو بجواره ، (قال) : وقال ابو حفص ابن الشامي المتعبد كان بيني وبين الشيخ ابي

عمران الفاسي اختصاص ومودة ، وكان له في قلبي موضع عظم من الجلالة لعلمه وفضله ودينه ، ثم نظرت الى الشيخ ابي بكر بن عبد الرحمان فرأيته شيخا جليل القدر فبقيت متعجبا من اختلافهما ! فرأيت ليلة من الليالي في المنام قائلا يقول : ابن عبد الرحمان من الموفقين ابن عبد الرحمان من الابرار ابن عبد الرحمان من المجتهدين .

(ذكر وفاته رحمه الله) ،

(قال) : توفي يوم الاثنين لثلاث بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة ، (قلت) : كذا قال ابو عبد الله محمد بن سعدون وابو اسحاق الشيرازي وقال غيرهما توفي سنة خمس وثلاثين ، (قال) : وصلى عليه ولده بالريحانية في جمع لا يحصون وكسرت تحته نعوش كثيرة وقطع السلطان بعض الايدي لعدم تسليمهم للنعش وعصيانهم لامره ، ودفن بباب تونس الى جانب ابيه عبد الرحمان ، (قلت) : فقبر الشيخ ابى بكر بن عبد الرحمان من جهة القبلة والسارية التي عند رأسه مكتوب فيها اسمه ، ووالده عند رأسه سارية أيضا مكتوب عليها ، وكلاهما مزار (قال) : وكان الناس يخرجون الى قبره بالمشاعل والشموع ليالي عدة حتى منعهم السلطان من ذلك ، (قلت) : ومسجده مسجد كبير قرب سور البلد بحارة الغرانطة اذا دخلته ترى فيه انوارا وهيبة تعرف انه مسجده رحمه الله تعالى .

٢٨٥ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن العباس الانصارى الخواص

(قال) : سمع من ابي محمد بن ابي زيد وابي الحسن القابسي وغيرهما ، اشتهر بالعلم والعبادة والفضل والزهادة ، سمع عليه عالم كثير منهم عبد الله بن محمد المالكي وعمر بن ابي محمد بن ابي زيد ، وتوفي بعد عام ستة وعشرين واربعمائة رحمه الله تعالى .

٢٨٦ ● ومنهم أبو عبد الله الحسين بن عبد الله ابن عبد الرحمان الاجذابى المؤرخ

(قال) : كان واحد زمانه علما وفضلا ، وكان ثقة ثبتا يروى عن ابي بكر بن ابي عقبة عن جبلة بن حمود وعن ابي الحسن القابسي ، وابي العباس ابن ابي العرب ، وعنه اخذ ابو بكر بن محمد المالكي وغيره توفى يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة ودفن بباب سلم قرب البهلول ابن راشد رحمه الله تعالى .

٢٨٧ ● ومنهم أبو الحسن على بن محمد ابن أخى مروان الانصارى الفقيه

(قال) : كان من أهل الدين والفضل ، توفى ليلة السبت لثلاث بقين من شعبان سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة ودفن بباب سلم جوار قبر عمه مروان العابد رحمه الله تعالى .

٢٨٨ ● ومنهم الشيخ الفاضل أبو طاعة بن أحمد ابن طولون

(قال) : هكذا وجدته مكتوبا على قبره يحتمل ان يكون من ولد احمد بن طولون امير مصر المشهور بالفضل وفعل المعروف ، وهو الذي ينسب اليه جامع ابن طولون بمصر ويحتمل ان يكون غير ذلك توفى ابو طاعة هذا ليلة الاحد لعشر بقين من ذي القعدة سنة خمس وثلاثين واربعمائة ودفن بباب تونس وقبره معلوم رحمه الله تعالى .

٢٨٩ ● ومنهم أبو بكر محمد بن عبد الله القصري

(قال) : كان من أهل العلم والقرآن واتباع السنة وخدمة الصالحين صحب الشيخ ابا الحسن القابسي توفى في صفر سنة ست وثلاثين واربعمائة ودفن بباب نافع رحمه الله تعالى .

٢٩٠ ● ومنهم أبو على الحسن بن محمد ابن الجدود اللواتى الفقيه القاضى رحمه الله تعالى

(قال) : كان احد فقهاء القيروان وذوي العلم والدين والنباهة توفي يوم الجمعة لعشر بقين من صفر سنة سبع وثلاثين واربعمائة وقبره مشهور رحمه الله تعالى .

٢٩١ ●ومنهم أبو محمد مكي ابن أبى طالب واسمه محمد ويقال حموش بن محمد بن مختار القيسي اللغوي النحوى

(قال) : سمع من ابي محمد بن ابي زيد وابى الحسن القابسي وغيرهما كان فقيها مقرئا أديبا متفننا وغلب عليه حكم القرآن ؛ وكان من الراسخين فيه ورحل الى المشرق سنة سبع وسبعين فلقي ابن غلبون بمصر وغيره ، وحج عامه ثم عاود مكة سنة سبع وثمانين فأقام بمكة اربعة اعوام وتجول في رحلته فلقى جملة من المحدثين والفقهاء وانصرف الى القيروان سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ودخل قرطبة ايام المظفر بن ابي زيد (168) من سنة ثلاث وتسعين فاجلسه ابن ذكوان

---

(168) صوابه ابن أبى عامر وهو المظفر الذى دخل المترجم قرطبة فى مدته لا فى مدة المنصور لانه توفى سنة 392 قبل دخول المترجم .

القاضي في المسجد الجامع فنشر علمه وعلا ذكره ورُحل اليه ثم ولي الخطبة والصلاة مدة الى ان اقعده عنها الحرب (169) وصنف تصانيف جليلة في علوم القرآن وغير ذلك ، ومن اشهر تصانيفه كتاب الهداية في التفسير ، وكتاب الكشف في وجوه القراءات ، وكتاب اعراب القرآن ، وكتاب الايضاح في ناسخه ومنسوخه وهو كتاب حسن ، وذكر ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر انه له تصنيفا في الفقه ، (قلت) : وهو كتاب معروف سماه الهداية ، روى عنه جلة الناس كأبي عبد الله ابن عتاب وابي الوليد الباجي وغيرهما ، وكان معروفا بالصلاح واجابة الدعوة الى ان توفي بها صدر محرم سنة سبع وثلاثين واربعمائة وقد اناف على الثمانين سنة رحمه الله تعالى .

٢٩٢ ● ومنهم أبو بكر ابن أبي طاعة

(قال) : سمع من ابي الحسن القابسي وجمع الفقه والدين والفضل ، وكان امام جامع القيروان ، (قلت) : وقال غيره وكان رجلا صالحا فقيها ورعا فاضلا زاهدا وكان له حظ من الناس وقبول ، وكان ينتحل مذهب الصوفية ويقول بالايثار ولا يمسك شيئا وكان لا يضع جنبه على الارض غالبا وانما ينام محتبيا ، وكان من الايثار والسخاء والجود بما معه على امر عظيم ويقتصر من لباسه على ما خشن ويؤثر بما سوى ذلك ، وكان من اهل المعرفة بالقراءات وطرقها في غاية التجويد للتلاوة وكان صاحب الصلاة والخطبة بالجامع الاعظم بالقيروان ، موصوفا بالدين والخير والفضل والحلم والوقار وحسن النقل ، وضعف عن الامامة في آخر عمره فتركها ولزم داره الى ان مات على خيار عمله ، (قال) : وذلك يوم

(169) حرب الفتنة التي أطاحت بدولة بني أبي عامر .. (ما زال التعليق لم يكمل) .

الاثنين لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين واربعمائة ودفن بباب تونس قرب ابيه ، (قلت) : وهو مزار يعرفه الخاص والعام قرب حوطة الشيخ ابي الحسن القابسي من جهة الشرق ومكتوب في مشهده اسمه واسم ابيه وتاريخ وفاته على جري العادة في ذلك رحمه الله تعالى .

٢٩٣ ● ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المالكى رحمه الله تعالى

(قال) : هو صاحب الشيخ ابي الحسن القابسي الملازم له وكان فقيها صالحا فاضلا كثير الخدمة للصالحين والمحبة لهم ، (قلت) : زاد غيره مشكورا بالالسنة محبوبا بالقلوب وقدمه الشيخ ابو الحسن للامامة فكان يصلي به ، (قال) : وهو الذي جمع مناقب شيخه ابي الحسن ، وابو الحسن هو الذي سماه المالكي — وكان يقال له ابن الشافعي — فقال ابو الحسن هو المالكى ابن المالكى فاشتهر بذلك ، وابنه أبو بكر المالكي صاحب كتاب تاريخ صلحاء افريقية (170) ورحل ابو عبد الله بعد وفاة الشيخ ابي الحسن الى مكة ولقي ابا ذر الهروي وسمع عليه البخاري ، وقدم القيروان صحبة ابي القاسم ابن الكاتب في صدر ثمانية واربعمائة ، وروى عنه انه قال : كان الشيخ ابو الحسن اذا دعاني لقراءة علم او قربة يقول لي : يا محمد واذا استدعاني لخدمة او لقضاء حاجة يقول لي يا مالكي احتراما منه لاسم محمد ، وكان اعلم الناس بباطن احوال الشيخ ابي الحسن والمطلع على عبادته وخفي

---

(170) هو رياض النفوس الذى نشر الاستاذ حسين مونس الجزء الاول منه سنة 1951 ومنه نسخة بمكتبة باريس كاملة واخرى بمكتبة شيخ الاسلام بالمدينة المنورة مختصرة .

امره ، توفي بالقيروان سنة اربع واربعين واربعمائة ، (قلت) : وقال غيره : توفي ليلة الجمعة الثامن والعشرين من شعبان سنة ثمان وثلاثين واربعمائة وقد اناف على السبعين ، (قال) : ودفن بباب تونس جوار قبر الشيخ ابي الحسن القابسي .

(قلت) : وتبعه العواني ، وكذلك كان شيخنا ابو الفضل البرزلي يقول ويعينه انه من جهة الجوف من قبر الشيخ الملاصق له وعند رأسه عمود لطيف ليس فيه كتب ، واذا زار بنا جبانة باب نافع وهي التي فيها قبر عبد الله بن غانم وسحنون ابن سعيد وابنه محمد ومحمد بن عبدوس وحماس بن مروان وابي اسحاق السبائي وغيرهم يقف على قبر ويقول : هذا قبر ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي ، وعليه مشهد مكتوب بخط معتبر فكنت نعتمد كلامه ونعرف به من يزور معي كذلك ، واذا زرت والده عند القابسي اقول هذا قبر ابى عبد الله متبعا له ، فلما خرجت لتونس للقراءة على شيخنا هذا بعد انصرافه من عندنا ، قمت فيها اربعة عشر عاما ثم تغربت في البلاد للقضاء من بلدة الى بلدة نحو سبعة عشر عاما لا اسكن القيروان اذا انصرفت من بعض البلاد الا قليلا حتى اتولى ببعض البلاد ، فكانت زيارتي لقبور المشيخة قليلة ، فلما زرت قبورهم بعد توطن الاقامة ورفعت يدي عن القضاء باختياري جئت الى زيارتهم باجتهاد ووقفت على قبر المالكي الذي بجبانة سحنون فوجدت في مشهده مكتوبا ما نصه : هذا قبر الشيخ الفاضل الفقيه ابي عبد الله محمد بن عبد الله المالكي رحمة الله عليه توفي ليلة الجمعة لليلتين بقيتا من شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين واربعمائة ، فبان بهذا ان الامر بالعكس وان الذي عند القابسي انما هو ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكي لانه ليس على قبره كتب وسمعوا هذا قبر المالكي فتوهموا انه قبر ابي عبد الله محمد لانه خديمه وهذا لا يلزم والكتب في المشهد مقدم على غيره ويبعد غلط الكاتب لانه كان يعاود بكتبه في آخر والله أعلم .

٢٩٤ ● ومنهم أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد المصرى (*) المعــروف باللبيــدى

وقال بعضهم المعروف بابن اللبيدي – ولبدة قرية من قرى الساحل(171)–(قال) : سمع على الشيخ ابى الحسن القابسي ، وابي محمد بن ابي زيد وغيرهما ، (قلت) : وسمع منه ابو عبد الله محمد بن سعدون وغيره من القرويين والاندلسيين ، ووجهه ابو الحسن القابسي لتفقيه اهل المهدية ، وامتد عمره بعد اقرانه فحاز رئاسة العلم والتشييخ به بالقيروان ، (قال) : وكان فقيها فاضلا زكيا ومحبا في الصالحين ويزورهم في السواحل ويبحث عن مناقبهم واحوالهم ، وهو الذي الّف مناقب الشيخ ابى اسحاق الجبنياني ونفعه الله تعالى بخدمة الصالحين ، وله كتاب في الفقه كبير جمع فيه بين النوادر لابى محمد بن ابي زيد وموطا مالك وغيره ، فجمع فيه مذهب مالك كله ، (قلت) : وألّف كتابا في اختصار المدونة سماه الملخص ، وكان ينشد الشعر ويحسن القول فيه ، (قال) : توفي بالقيروان – فيما اخبرني ثقة من شيوخنا – سنة اربعين واربعمائة لليلتين بقيتا من شوال منها وسنه ثمانون سنة وصلى عليه ابنه ابو بكر – وكان من اهل العلم – وحضر جنازته صاحب افريقية وجميع رجاله ، ودفن في داره ، ورثي بمراثٍ كثيرة ، (قلت) : قبره ليس بظاهر ولا تعلم داره .

(*) بالاصل الحصرى وهو بعيد والتصويب من طبقات مخلوف وفى ق : الحضـرمى وهو ابعد .

(171) لا تعرف الآن بالساحل التونسى والمعروفة انما هى بالساحـل الليبـى جنوب مدينة طرابلس وهى ازلية وبها آثار عظيمة على ان النسبة مخالفة والمتـرجم منسوب الى لبيدة لا لبدة وهى كذلك فى المدارك وما هنا تحريف .

٢٩٥ ● ومنهم أبو محمد عبد البارىء ابن حسن (*) التميمي العابد المؤدب رحمه الله تعالى

(قال) : توفي في صفر سنة سبع وثلاثين واربعمائة ، ودفن بباب تونس وقبره مشهـور رحمه الله تعالى .

٢٩٦ ● ومنهم أبو عبد الله مكى بن عبد الرحمان الانصارى الفقيــه الصــالح

(قال) : سمع من يحيى بن محمد بن سلام ، كان من خواص اصحاب الشيخ ابي الحسن القابسي ، وكان هو الذي (172) يصلّي بالشيخ أبي الحسن ويُملي عليه ابو الحسن تواليفه ، وهو ايضا الذي غسلـه ، وله فضل وعلم ودين توفي سنة اثنتين وثلاثين واربعمائة نفعنا الله به آمين .

٢٩٧ ● ومنهم أبو عمر عثمان بن أبى بكر بن رشيق (**) رحمــه اللــه تعــالى

(قال) : كان صالحا فاضلا وليا من اولياء الله تعالى ، سمع من ابي الحسن الجوهري ، كلمـة وعظ – وهو على المنبر في جامع القيروان – فصاح صيحة خرجت فيها روحه في الجامع ، وذلك في جمـادى الاخرة سنة احدى واربعين واربعمائة ، ودفن بباب سلم وقبره معروف رحمه الله تعالى ورضي عنه .

(*) ق : حسين .

(172) يصلى بالشيخ أبى الحسن .

(**) هذه الترجمة مزيدة عما فى ق .

٢٩٨ ● ومنهم أبو اسحاق ابراهيم بن حسن بن يحيى المعافرى التونسى رحمه الله

(قال) : صاحب كتاب التعليقة ، (قلت) : يعنى على المدونة ، وله تعليق ايضا على كتاب ابن المواز ، (قال) : وهو من طلبة ابي بكر بن عبد الرحمان ، (قلت) : ظاهر هذا انه لم يقرأ على غيره ، وليس كذلك ، بل تفقه عليه وعلى ابى عمران الفاسي وطبقتهما ، واخذ عنه عبد الحق وابن سعدون وعبد العزيز التونسي وابن ابي الحاج وغيرهم ، (قال) : كان فقيها صالحا موصوفا بالفهم مقدما في اجوبته من اهل النسك والارادة ومحبة الصالحين مستجاب الدعاء ، وله براهين ومناقب حسنة ، قرأ القراءات واجاز بها وقرأ الفقه البارع والنحو ، (قلت) : وفي كلامه بتر لكونه كان متكلما في اصول الدين يميل الى النظر عارفا بالحديث ووجوهه مشهورا بذلك ، وكان نشأ في العلم ومات عليه ، لم يُر مثله في الفقهاء وقارا وسمتا ، وفيه يقول عبد الحميد الديباجي رحمه الله تعالى .

حاز الشريفين من علم ومن عمل   وقلّما يتأتّي العلم والعمل

(قال) : وكان ابو حفص العطار يقول : اذا وافقني ابو اسحاق التونسي وعبد الواحد الكفيف ، ما أبالي بمن خالفني ، (قلت) : وذكره ابو عمار الميرقي في رسالته هو وابو القاسم السيوري فقال : لحقا من تقدمهما في العلم والورع واعجزا من يأتي بعد آخر علماء المغرب .

(قال) : وطرأت عليه محنة ، (قلت) : كان حقه ان يزيد كما قال غيره : عظيمة ، وسببها انه ورد عليه سؤال من مدينة باغاية استفتى فيها ، وكانت المسألة مسألة طلاق ومراجعة ، وذكر السائل : ان وليّ النكاح كان من الفرقة المعروفة بافريقية بالمشارقة — وهم أهل دعوة بني عُبيد — فأجاب الشيخ ابو اسحاق رحمه الله : أن هذه الفرقة على قسمين : احدهما كافر مباح الدم ،

والقسم الآخر وهم الذين يقولون بتفضيل علي بن ابي طالب على سائر الصحابة ، لا يلزمهم القتل ولا يبطل نكاحهم ، فانكر عليه جميع فقهاء افريقية بالقيروان وغيرها ، واحتجوا عليه بان جماعة من اهل الزهد والعلم والعبادة بالقيروان كانوا اشد الناس مباينة بالعداوة والتكفير لبني عبيد واتباعهم . منهم ابو اسحاق السبائي ومروان العابد وربيع القطان واضرابهم ، وارسلوا اليه ان يعاود النظر وان يرجع عن هذا القول (173) فابى عن ذلك وانتهت القضية الى المعز بن باديس فجمع — بعض الجمع — عنده في المقصورة وناظروه فاظهر الانابة الى قولهم والرجوع ، ثم خلا بأصحابه فانكروا عليه رجوعه الى قولهم وانه الحق الذي لا يجب سواه ، وكان راي الفقهاء سد هذا الباب للعامة على هؤلاء الكفرة بني عبيد الزنادقة وان الداخل في دعوتهم — وان لم يقل بقولهم — كافر لتوليه الكفر ، فاظهر ابو اسحاق التمادي على قوله وانكار الرجوع عنه فاطلق الفقهاء الفتيا على مقاله هذا بالتضليل والتبديع ، وقال فيها الشعراء قصايد كثيرة تضمنت ابا اسحاق والتبريء منه وانشدها الشعراء والطلبة عند الفقهاء في دورهم ، وامر السلطان بسجل في القضية من التبرى من قوله ، وقيل فيه ما يعظم به اجره ، وامر بقراءته يوم الجمعة على المنبر قبل الصلاة مستهل صفر عام ثمانية وثلاثين واربعمائية ثم امر السلطان باحضاره بالمقصورة في ذلك اليوم اثر الصلاة وأحضر معه الفقهاء ابا القاسم اللبيدي فقيه مشيخة الفقهاء وكبيرهم والفقيه ابا الحسن والقاضي ابا بكر بن ابي محمد بن ابي زيد خاصة من بين سائر الفقهاء — وكان هذان الفقيهان من اشد الناس ميلا الى مذهب الجماعة — وحكم في المسألة اللبيدي ، فحكم بان يقر بالتوبة على المنبر بمشهد جميع الناس وان يقول : كنت ضالا فيما رأيته ورجعت عن ذلك الى مذهب الجماعة ، فاستعظم

---

(173) المراد بهذا القول تقسيم الشيعة الى قسمين وتخفيف الحكم على احدهما حيث يرون تكفير الجميع .

الامر على المنبر وقال : ها انا أقول هذا بينكم ، فساعدوه وقنعوا منه بقول ذلك بمحضر السلطان والجماعة وأن يقوله بمجلسه ويُشيعه عنه، فاقترفوا على ذلك (174) ، وحصلت على الشيخ منه غضاضة فخرج في صبيحة يومه متوجها الى منستير الرباط ، وهو المراد بقول من قال خرج الى قصر الرباط ، ولا يحمل على ظاهره وهو انه خرج الى قصر الرباط الكائن بسوسة اذ هو معدّ للعبادة كقصر المنستير لانه يكون خلافا وعلى ما حملناه عليه يكون وفاقا — وكان ذلك في يوم السبت الثاني من صفر من السنة المذكورة — وانما خرج من الفور مسكّتا للقضية ومُنسيا لها فتغيّب بشخصه ثم عاد الى القيروان .

قال عياض : ولا امتراء عند كل منصف ان الحق فيما قاله ابو اسحاق ، ولا امتراء ان مخالفته أولا لرأي اصحابه في حسم الباب لمصلحة العامة لجاج وان راى الجماعة كان اسد للحال وأولى وفتواه هذه جري على العلم وطريق الحكم ، ومع هذا فما نقصه هذا عند اهل التحقيق ولا حط منصبه عند اهل التوفيق ، وقد حكى ابو عبد الله بن سعدون قال رأيت ابا القاسم اللبيدي بعد موته فسألته من هو على الحق انت او ابو اسحاق ؟ فسكت (175) بقصده فكأنه يقول لي بصوت خفي : التونسي ، وقال الشيخ ابو عبد الله محمد السطى يُحكى ان الشيخ ابا اسحاق التونسي بلغت منه الحاجة الى ان واجر نفسه في طرح الميتة ، (قلت) : لعله في سفره لما حج والله اعلم .

---

(174) هذه الواقعة الفظيعة وقعت سنة 438 ه كما ذكرنا قبل وفيها تعصب على المترجم من المشيخة وكانه رد فعل ضد المشارقة رغم انقطاعهم من البلاد وانظر ترجمة ابن على ابن خلدون — المارة قريبا — كيف ذهب ضحية لتعصب الطرف المقابل من المشارقة ورغم مرور الزمن على ثورة سنة 407 ه فان ردود الفعل بقيت متلاحقة الى سنة 438 هذه الواقعة .

(157) فى ق : فسكت واسكت اى اسكت السائل بالبناء للمفعول انتظارا لما يقصد ان يقول .

(ذكر وفاته وما يتعلق بذلك) ،

(قال) : توفى يوم الاثنين الثاني من ربيع الآخر سنة ثلاث واربعين واربعمائة وحضر جنازته المعز بن باديس في جمع عظيم ودفن بباب سلم وقبره معلوم ، (قلت) : وعند رأسه سارية كبيرة وعلى قبره نور واشراق ، (قال) : ولابي الحسن علي بن رشيق القيرواني مرثية يرثى بها ابا اسحاق

يا للرزية في ابي اسحاق ذهب الحمام بانفس الاعلاق
ذهب الحمام بخاشع متبتل تبكي العيون عليه باستحقاق
ذهب الحمام ببدر تمّ لم يدع منه الردى الا هلال محاق
وحوت جنوب اللحد بحرا زاخرا ترك البحار الخضر وهي سواقي
فاليوم اغلق كل فهم بابه لما فقدنا فاتح الاغلاق
ما القيروان أذقت ثكلك وحدها قد ذاق ثكلك سائرُ الآفاق

(قلت) : ورثى بمراث كثيرة تركتها خشية الاطالة وظهرت للشيخ ابي اسحاق بركات في زمامنا .

٢٩٩ ● ومنهم أبو بكر عتيق بن احمد بن اسحاق التميمى المعروف بالقصرى رحمه الله تعالى

(قال) : كان امام جامع القيروان وكان من اهل العلم والدين والفضل والعبادة وقيام الليل وقلة الكلام لا يكاد يتكلم في احد مشغولا بعبادته ، وكان عالما بعلوم القرآن انتفع على يديه خلق كثير لانه كان يقرأ عليه من سدس الليل الآخر الى الضحى ومن العصر الى الليل ، وهو معدود في جملة العباد مجمع على دينه وفضله ، وهو من اصحاب ابي عبد الله ابن سفيان المغربي توفى في الخامس من شعبان سنة سبع واربعين واربعمائة ودفن بباب سلم وقبره معلوم رحمه الله تعالى .

٣٠٠ ● ومنهم أبو بكر عتيق السوسى رحمه الله تعالى

(قال) : جمع العلم والعبادة والزهد والورع والتقشف وكبر الهمة من الفقهاء المبرزين والحفاظ المعدودين ، وكان حافظا للفقه والحديث ، عارفا بمعانيه ، عالما بالنحو واللغة ، مع دين متين وورع حاجز ، وهو الذي صلى على ابي عمران الفاسي فاعلم المعز بمكانه من الدين والعلم واخبر بفقره وانه لا مسكن له فبعث اليه بمال يشتري به دارا فقال ابو بكر للرسول : ما كان اغناني عن الصلاة على ابي عمران التي عرفت بيني وبينك ! وقال ردّها عليه وقل له : يدفعها لاربابها فان لم يعلم اربابها تصدق بها على الفقراء ، فأعلم الرسول المعز بما قال فبعث اليه كتبا جليلة مثل المدونة والنوادر والموازية وغيرهما مما له قيمة كثيرة عن رءوس الحمالين فلما وصل اليه الرسول اغلق الباب في وجهه فلم يزل يلاطفه وقال له يقول لك المعز : هذه الكتب في خزانتنا ضائعة وبقاؤها عندنا مما يزيدها ضياعا وانت اولى باقتنائها ، فقال له اكتب على كل جزء منها : حبس على طلبة العلم فكتب ذلك ، فلما بلغ المعز ذلك قال اردنا امرا فغلبنا فيه ، وكان رحمه الله مرة يفتي ومرة لا يفتي وذلك من شدة ورعه لانه كان مرة يعتقد وجوب الفتوى عليه ومرة لا يعتقد وجوبها عليه فلا يفتي

٣٠١ ● ومنهم أبو القاسم عبد الخالق ابن عبد الوارث التميمى المعروف بالسيورى رحمه الله ءاخر طبقة من علماء افريقية وخاتمة ايمة القرويين

(قال) : اخذ الفقه على ابي بكر بن عبد الرحمان ، (قلت) : هذا قصور بل اخذ ايضا على ابي عمران الفاسي وطبقتهما ، (قال) : وكانت له عناية بالحديث والقراءات واخذها على ابى عبد الله ابن سفيان المقري وقرأ النحو والكلام واصول

الدين واصول الفقه لكن كان الغالب عليه الفقه ، وانتفع به خلق كثير لانه كان افرد نفسه للدرس فانتفع به الناس ، (قلت) : منهم عبد الحميد المهدوي (176) وابو الحسن اللخمي واخذ عنه قديما عبد الحق (177) وابن سعدون وغيرهما وبعدهم حسان البربري وابو القاسم الماهري ، (قال) : وكان من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين وكان يحفظ المدونة من صدره ، (قلت) : هذا أيضا فيه بتر ، لانه كما كان يحفظ المدونة كان يحفظ دواوين المذهب الحفظ الجيد وغيرها من امهات كتب الخلاف حتى انه كان يقول لمن ينقل شيئا غريبا أين وقع هذا ليس هو في كتاب كذا ولا في كتاب كذا يعدد اكثر الدواوين المستعملة من كتب المذهب والمخالفين والجامعين فكان في ذلك آية ، وعرّفني من نثق به عن نقل شيخنا ابي محمد الشبيبي – أن الواردين لقراءة العلم بالقيروان – من محبتهم في المدونة – أكثروا في ثمنها فاشتروا ما بالقيروان منها حتى عدمت منها ، فاتوا الى الشيخ ابي القاسم السيوري وعرّفوه ، فاملاها عليهم من رأسه ، ثم وجدت نسخة بالقيروان فقابلوا ما أملى عليهم الشيخ بها فوجدتا سواء .

(قال) : وكان مع ذلك عاقلا معلوما بالدين والورع والفضل ، وبلغ من ورعه انه لما اختلطت اموال الناس بالفتنة امتنع من اكل اللحوم ، فكان لا يأكل منها إلا ما تحقق طيب كسبه ، وكان لا يلبس الفرو ولا النعال ولا الخفاف إلا من جلود الوحش ، ولا يكتب جواب مسألة ولا غير ذلك الا في رق قديم او ما كان من جلود الوحش ، وكان مع ذلك شديد الورع في كل ما يحاوله .

(قلت) : قال عياض : وله تعليق على نكت من المدونة اخذه عنه صحابه ، يريد والله اعلم انه لم يؤلفه وانما اصحابه قيدوا عنه ذلك مما

---

(176) هو المعروف بابن الصائغ ٠

(177) الصقلي ٠

يسمعونه منه في درسه ، لقول المازري في تعليقه على المدونة : لم يؤلف السيوري الا كراسة وليس له تأليف ، وسببها انه بلغ من ورعه ما تقدم (178) ، وقد بنى دار الدبغ الجلود يكريها ، فقام عليه من عاصره من المفتيين حينئذ فانكروا عليه ، فأخذ يستقرىء من المذهب قولا لمالك بان اولاد الماشية المغصوبة غلة تطيب للغاصب — كمذهب الشافعي — فالذي يشتري جلود الخرفان ليدبغها فقد قلد مالكا في انها غلة تطيب للغاصب فهو مباح لهم ، قال : فانا انما اخذت منهم — في اجارة داري — ما كان مباحا لهم بتقليدهم لمالك في ذلك ، وانما يحرم عليّ ما حرم عليهم ، (قلت) : حاصل جوابه انه يكتسب بالشرع ويأكل ويلبس بالورع وهو مذهب سحنون سعيد ، فقد كان يملك من الزيتون بالساحل اثنى عشر ألف زيتونة ويعمد الى شجرة منها فيخدمها ويقوم بها ويقول : انا فيها مساقي ! فيأخذ نصف ما يخرج منها ياتدم به وينتفع به والنصف الآخر مع بقية الزيتون يخرجه للفقراء والمساكين ، وقال احمد بن نصر الداودي : العكس أولى وهو الاكل بالشرع والتكسّب بالورع لان الاكل ضروري لابد منه والكسب اختياري .

قال عياض : ويقال انه مال اخيرا الى مذهب الشافعي ، (قلت) : ليس هو بتقليد ولا خلاف في اكثر المسائل ، وانما يخالف في قليل كقوله : القمح والشعير جنسان ، ومازلت نسمع انه رمى لقطة لقمة من شعير واخرى من قمح فشمت اللقمة الاولى وانصرفت عنها ، ثم شمت الاخرى فأكلتها ولم تعد الى الاخرى فقال هذا الحيوان البهيمي فرق بينهما ، وكذلك خالف المذهب في التدمية وقال لا يعول عليها ، وكذلك قال بخيار المجلس كما قال المخالف ، وهو قول ابن حبيب من اصحابنا للدلايل الدالة على رجحان مذهب من خالف مالكا فيها ، قال ابن المواز (179) في كتاب الخيار من تعليقته وحلف السيوري بالمشي الى مكة

---

(178) من تورعه في الكتب بجلود الحيوانات المغصوبة .

(179) ق : المازري .

لا يفتي بقول مالك في هذه الثلاث مسائل (180) .

قال : وبقي ابو القاسم بعد خراب القيروان مدة وكانت وفاته سنة اثنتين وستين واربعمائة ، (قلت) : وقال غيره توفى سنة ستين ، (قال) : ودفن بداره وقبره مشهور يزار ويتبرك به ، (قلت) : وداره المشار اليها مازلت نسمع سماعا مستفيضا أنه لما اخذ الناس في بناء القيروان اختصارا عما كانت عليه اراد الشيخ ان يدخلوا داره في البلد فاختلفوا فغلب من اراد خروجها فدعا عليهم بان لا تتفق لهم كلمة فيقال ان دعوته اجيبت فيهم الى الآن لا يتفقون ، فليست ببلد مشيخة وانما يذب عن الناس المفتي الذي يكون بها وجرت العادة أن يقبل كلامه عند السلطنة في الاعم الاغلب فاذا كتب في قايد انه ظلم الناس يعزل — وان كان بقرب ولايته — وان كان من اعز الناس عنده .

٣٠٢ ● ومنهم أبو الطيب عبد المنعم بن محمد الكندى (*) رحمه الله تعالى .

(قال) : كان فقيها عالما بفنون من العلم منها الفقه والحديث والنحو واللغة والغريب وعلم الكلام والحساب والهندسة ، قرأ القرآن على ابي عبد الله ابن سفيان والفقه على ابي بكر ابن عبد الرحمان وكان مع هذا زاهدا ورعا متهجدا بالليل كثير الحياء ما يكاد يرفع رأسه من الحياء ، وكان عالما باختلاف الناس وله تواليف عدة في فنون من العلم الا انه مات ولم يهذب تواليفه ، توفى سنة خمس وثلاثين واربعمائة ورثاه الفقيه ابو محمد عبد الله بن يحيى الشقراطي فقال :

باي سلاح والحمام محارب   أطاعن في نحر الردى واضارب

---

(180) هي اختلاف الجنس فى القمح والشعير والتدمية وخيار المجلس .

(*) ق : الباغائى .

سلوني عن الارزاء اني شقيقها   وعندي من انبائهن غرائب
احاطت بي الارزاء من كل جانب   كأني في القربى اخوها المناسب
وقلت بعبد المنعم بن محمد   تنال جسيمات وتقضى مارب
فمن للموطا والبخاري بعده   اذا بهرت منها الرجال للغرائب
ومن لاصول الفقه ينظم سلكها   اذا اشتبهت اعجازها والغوارب

٣٠٣ ● ومنهم أبو القاسم بن محرز

(قال) : كان معلوما بالفقه والفهم والعناية بالحديث ورجاله ، رحل الى الشرق ولقي المشايخ الجلة واخذ عنهم الحديث ، وكان مليح المناظرة حتى قال ابن علاق المصري ما رأيت من اهل المغرب من يحسن طريق المناظرة مثل ابى القاسم بن محرز وكان ابو الطاهر البسكري يفضله على جميع من بالقيروان في طريق المناظرة والكلام على مسائل الخلاف ، وله تواليف عدة كلها نبيلة منها التبصرة وغيرها .

٣٠٤ ● ومنهم عبد الواحد بن تميم التجيبى الكفيف رحمه الله تعالى

(قال) : كانت له عناية كبيرة بالفقه . وكان حافظا ذا فهم ، وكان ابو القاسم السيوري يقول : ما في اصحابنا أكثر من عبد الواحد عناية بالعلم ، وكان كثير الدرس يدرس مع رجل فاذا أعيى ذلك الرجل قام الى آخر ، وقال ابو حفص عمر بن محمد العطار : اذا وافقني ابو اسحاق التونسي وعبد الواحد الكفيف في مسألة ما أبالي من خالفني فيها . هذا في حياة الشيخ ابى عمران الفاسي وابى بكر بن عبد الرحمان ، وكان ابو اسحاق التونسي يقول : هو احفظ الناس بالمدونة ، واباح له الشيخ ابو بكر بن عبد الرحمان الفتيا ، والشيخ ابو بكر شيخ عبد الواحد رحمهما الله تعالى .

٣٠٥ ● ومنهم أبو حفص عمر بن عبد العزيز ابن طيبون رحمه الله ورضى عنه

(قال) : كان من اهل الفقه والحفظ والعلم بالمحل الرفيع ، وكان ذا ورع حاجز ودين متين وفضل وذكاء ، وعرض عليه القضاء فامتنع منه ، وكان شيخه ابو بكر بن عبد الرحمان يقول فيه : ابو حفص يرجى ان يكون اماما في العلم ، توفي رحمه الله سنة احدى وثلاثين واربعمائة ودفن بباب سلم .

٣٠٦ ● ومنهم أبو علي حسن ابن حسن (*) بن حمدون الجلـولى المقـرى

(قال) : كان من العلمـاء المعدودين عالما بوجـوه القراءات عن ابى عبد الله ابن سفيان ، وكان اماما فيها وانتفع به خلق كثير ،

٣٠٧ ● ومنهم أبو عبد العزيز ابن محمد البكرى المقرى المعروف بابن أخي عبد الحميد

(قال) : كان من كبار اصحـاب ابي عبد الله ابن سفيان وافاضلهم ، وهو أحد الفقهـاء المعدودين مع دين وفهم وحسن خلق وفضل ، لم يكن في وقته اعلم بالقراءة منه ، اخذ ذلك عنه عالم كثير من الناس وانتفعوا به رحمه الله .

٣٠٨ ● ومنهم أبو القاسم عبد الرحمان بن محمد بن رشيق الحـافظ المـؤرخ

(قال) : كان عالما بالتاريخ والفقه ، (قلت) : زاد العواني : حافظا للحديث وعلله عارفا باسمـاء رجاله ونقلته ، وله مشاركة في سائر العلـوم وتقدم في معرفة

(*) حسن الثانى مزيد عما بنسخة ق .

الآثار والسير والاخبار وعناية كاملة بتقييد السنن والاحاديث المشهورة حافظا للقرآن حسن الصوت به مجوّد التلاوة حسن الخط مدلا بقلمه وعلمه ، نال السؤدد بأدبه وفطنته ، ممن يقول الشعر الحسن ، موصوفا بالمعرفة واليقظة ، (قال) : وله تواليف في اخبار العلماء والصلحاء ومناقبهم وكراماتهم شرقا وغربا ، وتواليف في الفقه منها كتابه الذي سماه المستوعب لزيادات مسائل المبسوط مما ليس في المدونة ، وله سماعات في كتب الفقه ، وهو كثير المشايخ يروي عن ابي القاسم عبد الخالق بن شبلون وابي عمر بن معدي (181) المالكي وابي عبد الله محمد بن ابي صفرة الاندلسي وابي محمد الحسن بن عبد الله الاجدابي وابي عبد الله محمد بن ادريس الناظور وابي القاسم عبد الرحمان التجيبي التونسي وحج في سنة ست (182) وسبعين وثلاثمائة واخذ عن جماعة من علماء المشرق منهم ابو ذر الهروي وغيره .

٣٠٩ ● ومنهم أبو بكر أحمد ابن أبى محمد عبد الله ابن أبى زيـد

قال : له مشايخ جلة وروايات كثيرة وروى كتاب التهذيب عن مؤلفه ابي القاسم البراذعي ، (قلت) : وكان البراذعي يرفع بالقاضي ابي بكر هذا ويوالي الثناء عليه ، قال : اخذ عنه الناس ، وكان فقيها فاضلا ولاه المعز بن باديس قضاء القيروان ، وكان عدلا في احكامه كثير السياسة محببا الى الناس ، قلت : وكانت توليته القضاء بعد ابن هاشم في سنة خمس وثلاثين واربعمائة وكان لما توفى القاضي ابن هاشم خلف ولدا خلفا وكان له اشياخ احبوا ولايته ، راثة لخطة ابيه فأشاروا

---

(181) ق : بن بدر .

(182) ق : تسع .

على السلطان بذلك ومال السلطان الى قولهم ، وكان خواص من الناس ممن عرف حقيقة هذا الولد قد عظم الامر عليه وتصور سوء المـآل فيه ، وكان محمد بن شرف اشد الناس انكارا لولايته لتخلف الرأي وسوء الغلط فيه ، قال فاستخرت الله تعالى وافردت النية لابتغاء وجهه فجعلت شعرا امدح السلطان واغالطه فيما شاء من توليته فلما كانت ليلة اجتماع الناس لحضور توليته استأذنت على السلطان في انشاد ذلك فانشدته على خلوة منه :

لله من يوم أغرّ سعيد   متميز من عصره معدود

قال محمد ابن شرف فانشدته حتى بلغت الى قولي :

كان القضاء إراثة فرددته   شورى ، ففاز بحقه المردود
يا فضلها من سيرة عمرية   هي للعباد رضى وللمعبود

قال : فلما بلغت في الانشاد الى هذا الموضع أكب السلطان على يده وقد قبضها كالمطرق والمفاجا بأمر يحتاج الى الفكرة فيه وتماديت في الانشاد والسلطان لم يزل على حاله فيما احسب حتى اتممت الشعر ، فخجلت للامر وندمت على التغرير وبقيت بعد تمام الانشاد اتشاغل بطي الدرج الذي الشعر فيه ، ثم رفع رأسه وقال لي : اصرف الشعر واعد به غدا ثم قم فانشده في آخر المجلس واياك ان يعلم أحد بما اوجبت لك به ، فانصرفت والناس يتواعدون الى البكور الى السلطان لحضورهم تولية ابن هاشم في ظنهم ، فلما كان في غد ذلك المساء حضر الناس وتهيأ ابن هاشم في خلعة القضاء وتأهب للولاية ، فلما استوى المجلس دعا السلطان بابن ابى زيد هذا فقدّمه للقضاء بغتة ما علم احد بالامر حتى كان ، ثم قمت فانشدت الشعر ، قال : فقوم يتعجبون من لغته ونسخ النية ، وقوم يتعجبون من تضمين الشعر للمعنى في وقته لا يدرون ما السبب ، فكان يوما معجبا سر الناس به بتولية ابن ابى زيد وابتهلوا فيه بالدعاء للسلطان حتى علت اصواتهم بذلك ، ولما ولي القضاء

على رغم كثير ممن ذكرنا ممن احب ولاية ولد القاضي ابن هاشم من اشياخه واتباعه أداهم ذلك ــ عند ولاية قضائه ــ الى التصويب عليه بحبايل نصبوها واكاذيب كذبوها ، وانتهى ذلك الى السلطان فامر بالنداء بصبرة والقيروان بالاجتماع بالجامع واكد في ان لا يتخلف احد ، فاجتمع خلق عظيم ، وحضر القاضي ابن ابى زيد هذا وسائر الفقهاء ورجال السلطان وخاصته وجنده ، وكان من الكلام ما يطول شرحه ، وجملته ان سائر الفقهاء اجمعوا على انه عادل في احكامه كامل في أحواله ليس له جرحة يعزل بها الا من شذ من اتباع من ذكرنا ، وجرى بين العوام وسائر الفقهاء بعيدا من مجلس السلطان وعيانه (183) امر لولا هيبة المكان وحضور القواد لتفاقم الامر وآل الى سفك الدماء او ما يقرب منه ، ثم انجلت تلك الغيابة الناشئة في افق الغيّ الحاملة لما شاءه الجهال من صواعق الطغيان والبغي ، واعقبها تاخره عن قضائهم وقال له السلطان قد رأينا ان عزلك اروح لك في دينك ودنياك ، فاخرناك لا لجرحة ، وكان تأخيره عن القضاء في آخر شهر رمضان من سنة ستة وثلاثين واربعمائة ، (قال) : وكان كثيرا ما يتمثل بهذه الابيات اذا تذكر من فقده من اشياخه :

واجزعي لفراق قوم هم المصابيح والحصون
والاسد والمزن والرواسي والامن والحفظ والسكون
لم تنكرن (184) لنا الليالي حتى توفتهم المنون
فكل نار لنا قلوب وكل ماء لنا عيون

قلت : قال العواني وتوفي رحمه الله فيما أقدّر بعد الستين واربعمائة ودفن داخل القيروان بدار الدفن المعروفة بهم حيث دفن والده رحمة الله عليهما .

---

(183) أى معاينته ومشاهدته .

(184) صوابها : لم تتنكر .

٣١٠ ● ومنهم أبو حفص عمر ابن الشيخ أبي محمد ابن أبي زيد رحمه الله تعالى

(قال) : كان فقيها صالحا فاضلا ، سمع على ابى عبد الله محمد بن العباس الانصاري وجماعة ، وهو اخو القاضي ابي بكر المتقدم الذكر ، (قلت) : توفي سنة ستين واربعمائة وكان له ولد اسمه عبد الرحمان ويكنى بابي القاسم ، وكان رجلا صالحا فقيها حسن الطريقة والسمت والهدي له اعتناء بالعلم ، وكان الغالب عليه حفظ الحديث وله مجلس حفيل يقرأ عليه فيه الحديث والفقه وكان كثير الكتب كلها بخطه حافظا لمذهب مالك واصحابه ، قال العوانى : وتفقه على ابيه القاضى عمر وتوفى بعده بنحو خمسة عشر عاما ، (قلت) : لا أحفظ كون ابيه كان قاضيا وانما كان قاضيا أخوه احمد كما تقدم رحمة الله عليهم .

٣١١ ● ومنهم أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله المالكى (*) الفقيه المؤرخ

(قال) : هو صاحب رياض النفوس المشهور بكتاب المالكي في طبقات علماء افريقية وزهادها ، كان ابو بكر فقيها فاضلا ثقة صحب ابا بكر بن عبد الرحمان وهو الذي كان يقرأ عليه الميعاد وانتفع به ، (قلت) : يريد انه الذي يقرأ بلفظه والناس يسمعون والله أعلم ، (قال) : وكان هو ممن بقي مع ابى عبد الله محمد بن العباس الخوّاص وابى عبد الله الحسين بن عبد الله الاجدابى وجماعة من العلماء بقي بعد خراب القيروان مدة ، وكان خرابها في اول رمضان سنة تسع واربعين واربعمائة ، (قلت) : وسبب خراب القيروان اجابة دعاء الشيخ الواعظ

(*) توفى بعد سنة 453 انظر الاعلام للزركشى ، ج 4 ، ص 266 .

عبد الصمد فانهزم سلطان القيروان — مع كثرة عساكره وقلة من جاءه — وذلك انه كان لعبد الصمد هذا ولد اسمه محمد ويكنى بابى الحسن ورد على القيروان وكان رجلا صالحا فاضلا واعظا زاهدا صوفيا عالما عاملا ، وكان له مجلس بالجامع الاعظم بالقيروان يُجتمع اليه فيه ويُسمع كلامه ، وله لسان فصيح وقلب قريح كثير الحزن والبكاء والخوف ، من اولياء الله عزّ وجلّ المنقطعين اليه الخائفين الخاشعين المتبتلين القائمين الصائمين ، قد ركب طريقة من الزهد والورع والخشية وصدق المقال في الوعظ لم يسلكها في وقته غيره فطبق ذكره الآفاق وكثر ازدحام الناس اليه في مجلسه لاستماع وعظه ، ومالت اليه القلوب والاسماع وكثرت له الاتباع ، حتى حذره السلطان وخاف على نفسه منه ، فاستعار السلطان منه بعض كتبه وأظهر انه احب مطالعة شيء منها فأرسل اليه بما احب منها ، فأقامت عنده اياما ثم امر بردها ، فتصفح الواعظ اوراقا منها فوجد بينها بطاقه بخط السلطان كأنه نسيها بين اوراق كتابه ، فاذا فيها زعمت ملوك الفرس وحكماء السير والسياسة ان اهل التنمس والوعظ وتأليف العامة واقامة المجالس اضر الاصناف على الملوك واقبحهم اثرا في الدول فيجب ان يتدارك امرهم ويبادر الى حسم الاذى منهم ، فلما قرأ الواعظ ابو الحسن محمد بن عبد الصمد البطاقة علم انه امر استعمل له وقُصد به ونبه على الرأي فيه . فاستعمل الحج ، فخرج وخرج معه عامة وخاصة من اهل القيروان ، وامر له السلطان بزاد فخرج متوجها الى الحج في يوم الاربعاء الثاني والعشرين من شهر الله رجب الفرد الحرام سنة احدى واربعين واربعمائة ومعه رجال وكلوا به ان يصلوا معه الى مدينة قابس ، ونهى ان يشيّعه احد او يخاطبه الخطاب ، وكانت الرفقة الخارجة الى مصر قد قرب خروجها فأمر ان ينتظرها بمدينة قابس الى ان يصحبها ، وكوتب عامل قابس بان لا يدخل اليه احد هناك ولا يجتمع عنده اثنان ولا يخرج من المكان الذي ينزله فيه الا يوم سفره ، فخرج وهو غير آمن على نفسه ، واظهر السلطان ما كان يخفيه من امره وصار من ذكره بخير او قال فيه جميلا مسخوطا مذموما حتى صار كل من كان يفرط في مدحه

ومـودته يظهر الافراط في ذمه وعداوته خوفا على نفسه من السلطان ، قال محمد ابن شرف ثم اتصل ان الواعظ لما فصل عن مدينة قابس قتله رجل من الاعراب في طريقه ذلك ، قال جعفر بن محمد بن شرف لما قتل الواعظ كثر التظني (185) من الناس على السلطان انه دس عليه من قتله ، واختلفوا في الامر فقـوم ينسبون الدس عليه من السلطان ، وقوم ينفونه .

قال جعفر بن محمد بن شرف : وبلغني انه دخل داخل على ابيه ابي الفضل عبد الصمد — وكان واعظا — فوجده في آخر مجلسه من الوعظ بجامع ابن العاص بمصر ، فنعى له ابنه ابا الحسن محمد الواعظ الشهيد واخبره بسبب قتله ، (قال) : فنعّل قدمه في الحين وهو يلبي بالحجّ من مكانه ذلك — ولم ينصرف الى منزله — وتبعه خلق عظيم ، فحج ذلك العام ، وكان يطوف بالبيت ويتعلق بستار الكعبة ويصيح ويقول : يا رب المعز عليك به ! يا رب عليك بابن باديس : فكانت الهزيمة الواقعة بالقيروان في اليوم الثاني من حجه ودعائه وذلك كان اصل خراب القيروان ! فلم يشك احد في اجابة دعائه ، فنعوذ بالله من تغير قلوب اوليائه واصفيائه ، وهذا اصح من نقل عياض عن محمد بن عبد الصمد انه كان من علماء وقته بالقيروان وغلب عليه الزهد واخذ في وعظ الناس (186) ، الى ان قال : فَفَهِمَ ابن عبد الصمد انه قصده بذلك فاستعمل الخروج الى الحج وخرج معه جماعة من علماء المسلمين ، ثم عاد فاخذته الفتنة بالقيروان ، وهذا تظهر فيه المخالفة من انه لم يمت ورجع الى القيروان ، رحمة الله عليه .

---

(185) تظني كتقضى من الظن وكثيرا ما يستعمل في ظن السوء وهو هنا بمعنى الاتهام .

(186) هنا طى لحكاية الاوراق المدسوسة فى الكتاب كما مر بالسياق الاول وقد اختصرها النقل لسبقها .

٣١٢ ● ومنهم محمد ابن أبى سعيد ابن شرف الاجذابى الاديـب الفـاضل

احد من نظم قلايد الآداب ، وجمع اشتات الصواب ، وتلاعب بالمنثور والموزون ، تلاعب الريح باطراف (187) الغصون ، خرج من القيروان عند اشتداد فتنة العرب عليها ، وذلك في سنة سبع واربعين واربعمائة ، وقدم الاندلس وسكن المرية وغيرها ، وتردد على ملوك الطوائف بها بعد مقارعة اهوال ، ومباشرة خطوب طوال ، ولابن شرف هذا عدة تواليف افاضها بحارا ، واطلعها شموسا واقمارا ، منها كتابه المرسوم باعلام الكلام ، وكتاب أبكار الافكار ، وغير ذلك من تواليفه التي تشهد بذكائه ، وكان من اعقل الناس واحزمهم ، استنهضه ابن رشيق (188) – مع منافرة كانت بينهما – في ان يجتمعا بالطريق ويجوزا معا الى الاندلس فانشده ابن رشيق .

مما يبغضنى فى ارض اندلس   سماع مقتدر فيها ومعتضد
القاب مملكة في غير موضعها   كالهرّ يحكى انتفاخا صولة الاسد

فأجابه ابن شرف رحمه الله :

ان ترمك الغربة في معشر   قد جبل الطبع على بغضهم
فدارهم ما دمت في دارهم   وارضهم ما دمت في ارضهم

وله ايضا رحمه الله وبرد ضريحه قصيدة يذكر فيهما القيروان ويندبها .

يا قيروان وددت اني طائر   فاراك روية باحث متامل

---

(187) ق : باعطاف .

(188) المعروف ان الداعى للسفر هو ابن شرف وقد سافر فعلا الى الاندلس وأما ابن رشيق فلم يسافر ومات بصقلية وقد انتقد الشيخ عبد العزيز الميمنى الاصل والجواب فى كتابيه : ابن رشيق والنتف .

يا لو شهدتك اذ رايتك في الكرى   كيف ارتجاع صباي بعد تكهل
واذا تجدد لي اخ ومنادم   جددت ذكر اخ خليل اول
لا كثرة الاحسان تنسي حسرتي   هيهات تذهب علة بتعلل
(لو كنت اعلم ان آخر عهدهم   يوم الرحيل فعلت ما لم افعل)(189)

وله أيضا في قصيدة يذكر فيها القيروان .

ترى سيآت القيروان تعاظمت   فجلت عن الغفران ـ والله غافر ـ
تراها اصبيت بالكبائر وحدها   الم تك قدما في البلاد الكبائر
تكشفت الاستار عنهم وربما   اقيمت ستور دونهم وستائر

وله ايضا رحمه الله قصيدة اخرى .

كسيت قناع الشيب قبل اوانه   وجسمي عليه للشباب وشاح
ويا ربّ وجه فيه للعين نزهة   امانع عيني منه وهو مباح
وأهجره وهو اقتراحي من الورى   وقد تهجر الامواه وهي قراح

وله في هذا كلام طويل ، وفيما ذكرناه دلالة عليه ، ولابي عبد الله محمد ابن شرف هذا رواية عن الشيخ ابي الحسن القابسي وابى عمران الفاسي ، وذكره الشيخ ابو الوليد الباجي واثنى عليه ووصفه بالعلم والذكاء وان علم الادب من بعض علومه ، رحمة الله عليه ورضوانه لديه .

٣١٣ ● ومنهم أبو الفضل محمد ابن عبد الواحد البغدادى الدرامى رحمه الله تعالى

(قال) : كان من أهل الفضل والادب والشعر ، وفد على القيروان سنة تسع وثلاثين واربعمائة فتقدم بفضل أدابه عند الكبراء ، وعرف قدره من الفقهاء ، حكى

---

(189) البيت مضمن .

ذلك ابن رشيق وقال : انه اول من ادخل كتاب الثعلبي عندهم ، وشهد حصار القيروان معهم وفي ذلك يقول حين شاهد حروبها وخرابها .

حالت عليّ القيروان فحالها — عما عهدت العيش فهو منغص
فخرابها في كل يوم زائد — وجنابة المعمور فيها ننقص
ان كان ارخصني الزمان فانه — اودى الي بضائعا لا ترخص
او كان غير من طباعي موضعي — فالخمر ان تركت وعاها تقرص
كيف الرجوع وطرف حالي غامز (190) — وجناح آمالي الكسير مقصص

وله أيضا في ذلك :

ومعنف لي في المقام ضرورة — بالقيروان وما بها سلطان
القى الهوان بها ، وكم من عزة — قد ساقها نحو الرجال هوان
ما الدر ينقص فضله في بحره — أن ليس تعرف قدره الحيتان
كلا وليس المسك يبطل عرفه — ان ضيّعته بجهلها الغزلان
ما عيب ضوء الشمس عند بزوغها — اذ ليس يدرك قدرها العميان
والليث لا تنسى استطالة باسه — ان ضمه في خيسه خفّان (191)
او ما ترى الدنيا بفقد ملكيها — طرفا (192) ولكن ما له انسان

ثم ان ابا الفضل محمدا هذا لما افضى امر القيروان الى ما افضى اليه من الخراب وتغير الاحوال انتقل عنها الى سوسة ، واقام بها عشر سنين ، ثم انتبذ من تلك الناحية وركب البحر فنزل بدانية فبعث اليه اميرها مجاهد بلحم وارباع دقيق اول نزوله ، فصرفها في وجه رسوله ، وعجل الارتحال عنه الى بلنسية ، فلقى برا وعرف

---

(190) الطرف بالكسر : الكريم من الخيل وغمزت الدابة مالت من رجلها اه قاموس .

(191) الخيس مأوى الأسد ، وخفان ، أرض ماسدة .

(192) طرفا بالفتح : عينا فقدت انسانها وهو البؤبؤ الذى فيه حاسة البصر .

قدره بها ، وأكرم مثواه المأمون ابن ذي النون بطليطلة واجزل قراه وتوسع له ولعبيده وخدمته في البرّ واجرى له ستين مثقالاً في الشهر الواحد – سنه اربع وخمسين – وتوفى بها منتصف شوال سنة خمس وخمسين وأربعمائة ووصل المأمون له باستمرار جرايته على حاشيته وتلامذته وتجافى عن ميراثه وجعله وصية له اذ لم يوص – لفجأة وفاته – رحمه الله ورثي بمراث كثيرة منها مرثية الحكيم ابو محمد بن خليفة المصري .

سقى الله قبرا حل فيه ابو الفضل سحابا يسح المزن وبلا على وبل
وكيف يسقّي المزن قبرا يحله وفي طيه بحر المكارم والفضل
وبدر تمام من تميم فخاره ملوك لهم قام الملوك على رجل
وما الدهر الا آكل من نفوسنا ونحن لديه في الحقيقة كالأكل

٣١٤ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن جعفر الكوفى رحمه الله تعالى

(قال) : كان اوحد أهل زمانه فقها وعلما وأدبا من بيت علم وصلاح وأدب ، فقيه القيروان في وقته وقاضي مدينة صبرة وخطيبها وامام الجامع الاعظم بها وكان فصيحا لسنا سنيا مباينا لاهل البدع شديدا عليهم ولما أمر المعز بن باديس بلعنة عبيد الله في الخطب وذلك في يوم عيد الفطر من سنة أربعين وأربعمائة خطب القاضي محمد بن جعفر هذا فقال – بعد ذكر ما جرت العادة به في خطبة الفطر – اللهم والعن الفسقة الكفار المرائين الفجار اعداء الدين وانصار الشياطين المخالفين لامرك والناقضين لعهدك المتبعين غير سبيلك والمبدلين لكتابك ، اللهم العنهم لعنا وبيلا ، واخزهم خزيا عريضا طويلا ، اللهم وان مولانا وسيدنا ابا تمام المعز بن باديس ابن المنصور القائم بدينك والناصر لسنة نبيك والرافع للواء اولئك يقول مصدقا لكتابك

وتابعا لامرك ، مباينا لمن غير الدين وسلك غير سبيل المرشدين المؤمنين : « يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما اعبد» ، (هكذا باسقاط قل من اول السورة وترك لكم دينكم ولي دين لتعلق الامر بالمراد) وامر السلطان خطيب جامع القيروان ان يفعل مثل ذلك على المنبر في الجمع في كل خطبة ، وهذا دليل على فصاحته ومباينته لاهل البدع ومحبته لاهل السنة ، وجرت عليه محنة اعقبها التأخر عن قضائهم ، والزهد في جوارهم ، وذلك بسبب أبيات صنعها ابن رشيق .

يا سالكا بين الاسنة والضبا   اني أشم عليك رائحة الدم
يا ليت شعري من رقاك بعوده   حتى رقيت الى مكان الارقم

منها هذان البيتان صنعهما معرضا بالقاضي محمد بن جعفر ، فنمت الى السلطان فكانت سبب محنته ، فلما صودر بالمكروه فرّ من مدينة القيروان فما سمع له خبر الا من مصر ، وقرىء سجل القاضي علي (193) ابن احمد البوني بجامع القيروان بولايته جميع ما كان يتولاه محمد بن جعفر من قضاء مدينة صبرة ، وزال القضاء عن بني الكوفي ، وكانت لهم في ولايته نيف وسبعون سنة ، والذي تولى القضاء منهم اربعة : اولهم محمد بن اسحاق التميمي ، ثم ولده عبد الله بن محمد ، ثم ولده جعفر ابن عبد الله بن محمد ، ثم ولده محمد بن جعفر هذا المعزول ، وكانوا من أهل الرواية والدراية والديانة وحسن السيرة في القضاء رحمهم الله ، ولم يزل محمد بن جعفر هذا بمصر بعد انصرافه من القيروان متعرّفا مزيد الحظوة وسمو الرتبة ، وولي القضاء بها ولقب قاضي القضاة ، ثم تخلى عن القضاء وارتحل عن مصر فلم يستقر له قرار الا بأقصى الشام ، فيقال انه توفى هناك بعد السبعين واربعمائة رحمة الله عليه .

---

(193) في ق : عمر .

٣١٥ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن سعدون بن على ابن بلال مولده بالقيروان وهى بلد اسلافه

(قال) : سمع من ابى بكر بن عبد الرحمان وابي عبد الله بن محمد بن الناظور وابي القاسم عبد الرحمان بن محمد اللبيدي وغيرهم،(قلت) : منهم ابوعبد الله الحسين ابن عبد الله الاجذابي وابو القاسم السيوري وابو عبد الله محمد المالكي ، (قال): ثم رحل الى المشرق فسمع بمصر من أبي الحسين بن المنير وبمكة من ابي الحسين ابن صخر وابي بكر بن علي المطوعي وابي ذر عبد الله احمد الهروي ، وكان من اهل العلم بالفروع والاصول وكتب الحديث بمكة ومصر والقيروان ، حدث عنه ابو يحيى سفيان بن العاصى وأبو علي الصدفي وأبو الحسن بن مغيث وغيرهم وله تواليف منها كتاب تأسّي أهل الايمان بما طرأ على مدينة القيروان وجزء فيه مناقب شيخه ابى بكر بن عبد الرحمان وأصحابه ، (قلت) : وكتاب في الفقه على مذهب مالك بن أنس ، وكان خروجه من القيروان للتجارة فطاف بلاد المغرب والاندلس ، واخذ الناس عنه هناك كأهل قرطبة وبلنسية والمرية وغير ذلك من البلاد وفتح الله لهم على يديه ، (قال) : وتوفى باغمات من المغرب الاقصى سنة خمس وثمانين وأربعمائة وتبعه العواني ، وقال عياض توفي سنة ست ومولده عام ثلاثة عشر رحمه الله تعالى .

٣١٦ ● ومنهم أبو محمد عبد الواحد ابن مفرج التلالسى

(قال) : كان رحمه الله فقيها صالحا ورعا ذا فهم وذكاء من جلسة طلبة ابي بكر بن عبد الرحمان مشهور بالصلاح ، ودفن بباب نافع المحدث مجاورا لقبر ابي القاسم السيوري من الشرقي رحمه الله تعالى .

٣١٧ ● ومنهم أبو الحسن على ابن محمد الربعى المعروف باللخمى رحمه الله تعالى

اصله من القيروان ونزل صفاقس ، تفقه بابن محرز وابي الفضل ابن بنت ابن خلدون ابي الطيب، والتونسي ، والسيوري (194) ، وأخذ عنه ابو عبد الله المازري ، وابو الفضل النحوي ، وعبد الحميد الصفاقسي وغيرهم ، وكان فقيها فاضلا متفننا ذا حظ من الادب والحديث جيد النظر حسن الفقه جيد الفهم ، وكان فقيه وقته وابعد الناس صيتا في بلده ، وبقي بعد أصحابه فحاز رئاسة بلاد افريقية جملة وطارت فتاويه وكان حسن الخلق مشهورا بالفضل ، وله تعليق على المدونة سماه (بالتبصرة) مفيد حسن ، وهو مقدم بتخريج الخلاف في المذهب واستقراء الاقوال — وربما اتّبع نظره فخالف المذهب فيما ترجح عنده فخرجت اختياراته عن قواعد المذهب — ومسجده بصفاقس مشهور اذا دخله الداخل يرى فيه نورا زائدا عن غيره من المساجد ، وفي زماننا يدرس فيه الشيخ الفقيه ابو بكر القرقوري صاحب الزاوية الغربية منه ، فدرس فيه نحوا من أربعين سنة وزرت قبره مرارا فرأيت له بركات منها اني لما وليت قضاء قابس زرت قبره وعرفته باني ما شي لها وانها موخمة جدا قل ان يسلم من يقيم فيها أياما يسيرة ، ورغبت الله عز وجل بما قرأ وقرىء عليه والحت بالدعاء والتضرع جدا ، وكذلك فعلت عند قبر الشيخ ابى الحسن علي العبيدلي بالقيروان ، فأجاب الله دعائي وسلّمني من مرضها وقد اقمت فيها سبعة اشهر ، ولما قرىء

---

(194) هؤلاء شيوخ المترجم وفى ذكرهم بالاصل شيء من التخليط ، فان أبا الفضل لا موقع له وانما هو أبو الطيب عبد المنعم بن ابراهيم الكندى المعروف بابن بنت خلدون المترجم بصحيفة 107 انظر شجرة النور الزكية ويتعين للاصلاح اسقاط (أبى الفضل) والتونسى بعده هو أبو اسحاق ابراهيم بن حسن المترجم بصحيفة 108 شجرة النور ايضا ٠

قول المدونة في بيوعات الآجال بمنع (ضع وتعجل) (195) في درس بعض مشيخة التونسيين لم يذكر احد من اهل الدرس خلافا الا واحدا فقال هذا هو المشهور واجازه ابن القاسم فأنكر عليه فقال : اللخمى حكاه ؟ فلما انفصل المجلس نظر أهله كلام اللخمى في بيوعات الآجال فلم يجدوا فيه شيئا فلما كان من الغد قالوا له ما ذكرت عن اللخمى غير صحيح اذ لم يذكره هنا وهو محله ، فانفصل الطالب عنهم في غم شديد ، فلما قام من الليل رأى في منامه الشيخ ابا الحسن اللخمى ، فقال له : يا سيدي نقلت عنك وذكر القصة وكون الطلبة نظروا كتابه في بيوع الاجال ولم يجدوا فيه ذلك النقل ! فقال له : ذكرته في فصل الخلع فانتبه الطالب فرحا فقام في ليله ونظر الكتاب فوجده كما نقل ، فلما أصبح ذكر ذلك لاهل المجلس واشتهرت فضيلته وفضل الله برؤيته المذكورة . وتوفى رحمه الله تعالى سنة ثمان وسبعين واربعمائة وقبره مزار يعرفه الخاصة والعامة ، ولهم فيه اعتقاد تام — وحق لهم ذلك — .

٣١٨ ● ومنهم أبو محمد عبد الحميد ابن محمد المعروف بابن الصايغ قيروانى سكن سوسة

ادرك صغيرا ابا بكر بن عبد الرحمان ، وابا عمران الفاسي ، وتفقه على أبى حفص العطار ، وابن محرز ، والتونسي ، والسيوري ، وغيرهم وبه تفقه ابو عبد الله المازري وغيره ، واصحابه يفضلونه على ابى الحسن اللخمى تفضيلا كثيرا ، وكان

---

(195) هذه مسألة من بيوع الآجال بالمدونة انظر ص 185 ج 3 طبع الخشاب بالقاهرة وقد اخذت عند الفقهاء عنوان : (ضع وتعجل) وهى انيسلف، بضاعة لاجل ثم يضع من السلف ويتعجل القبض وفيها مراباة منعها مالك واجازها اللخمى المترجم والطالب الذى احتج بقول اللخمى لم يهتد الى مرجعه من كتابه حتى وقعت الرؤيا .

فقيهـا نبيلا فهيمـا فاضلا اصوليا زاهدا جيد الفقه قوي العارضة محققا وله تعليق على المدونة اكمـل فيه الكتابة التي بقيت على التونسي ، ولما أراد المعز صاحب المهدية تولية ابى الفضل ابن شعلان قضاء المهدية شرط ابن شعلان ان لا يتقلد ذلك إلا باستجلاب عبد الحميد الى المهدية ليقوم بفتواها – اذ لا يرى استيفاء (196) احد من فقهائهـا لامـور – فجلب له ولزم المهدية ودارت عليه فتاويها ، فلمـا شقت سوسة على تميم قبض جماعة فيهم عبد الحميد ، فضربه وغرمه خمسمائة دينار فباع فيها عبد الحميد كتبه ، وكان سبب انقباض عبد الحميد عن الفتيا ، فلقيه بعد ذلك تميم واعتذر اليه فلم ينفعه ولزم الانقباض والتزم داره ولم يفت في شيء ، وجعل لا يجالس احدا وتحيل في الخروج الى سوسة لعلة المداواة لحسن هوائهـا فبقى على حالته تلك ستة أعوام الى ان دخل الافرنج الى المهدية واستباحوا اهلهـا ودخلوا جل قصورهـا فانكسر بعد ذلك تميم ودائرته وهان على الناس ، فظهر عبد الحميد ورجع الى حالته الاولى وافتى ودرس وانتفع به الى ان مات رحمه الله .

٣١٩ ● ومنهم أبو حفص عمر القمودى

قيرواني الاصل نزيل صفاقس ، وكان فقيهـا أديبا مفتيا من حفاظ المدونة والقائمين عليها ومن حفاظ الشعر ، اخذ عن ابي بكر بن عبد الرحمان ، وابي عمران الفاسي ، وصحب ابا القاسم السيوري ، (ذكر بعض أصحابه) ، قال لما ودّعني الفقيه أبو حفص عمر القمودي انشدني :

هيّجـوا للبيـن برقـا فلمـع واثاروا دمع عيني فاندفـع
ودّعـوا قلبي فلمـا جـاءهم أوقفـوه بيـن يـأس وطمـع

---

(196) في ق : استفتاء .

٣٢٠ ● ومنهم أبو الحسن على ابن عبد الغنى المقرى الفهرى المعـروف بالحصـرى (*)

(قال) : كان اماما في القراءات السبع قرأ على ابي بكر عتيق بن احمد القصري عشر سنين ختم عليه فيها القراءات السبع تسعين ختمة وهو ابن عشر سنين الى عشرين سنة ، ثم قرأ على أبي علي بن حمدون الجلولي وابي محمد عبد العزيز بن محمد ، وكان له معرفة بالادب والشعر ، ثم رحل الى الاندلس عندما خربت القيروان واقرا بها القرآن ثم انتقل الى طانجة فمات بها سنة ثمان وثمانين واربعمائة ودفن بها ، حدثني بقصيدة في القراءات ابو الحسن احمد بن محمد بن عبد الله الانصاري عن ابي القاسم خلف بن عبد الملك بن شكوال عن ابي القاسم بن صواب عنه رحمه الله .

٣٢١ ● ومنهم أبو الطيب عبد المنعم ابن عمر ابن أبى محمد ابن أبى زيد رحمه الله

(قال) : كان رحمه الله فقيها عالما صالحا امام جامع القيروان بقية اسلافه الصالحة مشهور بالفضل والصلاح توفى رحمه الله في آخر شهر رمضان سنة خمس وتسعين وأربعمائة .

٣٢٢ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن أبى الفرج المازرى المعـروف بالـذكى

صقلي الاصل وسكن قلعة بني حماد ثم رحل للمشرق ودخل العراق وسكن

(*) بالاصل المصرى وهو خطأ محقق لان الترجمة وتاريخ الوفاة ومكانها كلها منطبقة على الشاعر الكبير المعروف بالحصرى صاحب قصيدة :
(ياليل الصب) هو مترجم بالذخيرة والوفيات وسير اعلام النبلاء وغيرها وله ديوان ضخم طبع أخيرا بتونس وفى المخطوط ق : رسم الحصرى مع ضبط الحاء والصاد بضمتين فارتفع الشك بذلك .

اصبهان الى ان مات بهـا وعداده فيهم (197) ، وكان فقيها فاضلا مدركا نبيلا فهيما متقدما في علم المذهب واللسان متفننا في علوم القرآن وغيره اخذ عن شيوخ بلده واخذ بالقيروان عن الشيخ ابي القاسم السيوري وغيره وكان السيوري يقـول ان ابن ابي الفرج احفظ ما رأيت وكان القاضي ابو عبد الله بن داوود يقـول شيخنا الذكي أفقه من ابى عمران الفاسي ومن كل مالـكي رأيت حتى فضله على اسماعيل بن اسحاق القاضي ، وتفقه عليه بالمغرب ابو الفضل النحوي والقاضي ابو عبد الله ابن داوود وألّف في علوم القراءات كتابا كبيرا سمـاه الاستيلاء وله تعليق كبير في المذهب مستحسن خرج على الف سؤال .

(قلت) : وسمعت شيخنا أبا مهدي عيسى الغبريني رحمه الله يقـول وقفت عليه ويعلم الواقف عليه انه ذكي عند اسمه رحمه الله ، ولما وصل الى المشرق ودخـل بغداد وجد مذهب مالك قد درس وقل طالبه فلم يحصل له بالفقه رئاسة ، ورام (198) مع علماء المشرق بالنحو وعلم لسان العرب واستصحب القيِّم بالخلافة بها اذ ذاك الملك العـادل ابو الفتح وأشخصه الى اصبهان ليدرس فيها الادب فذهب علمـه بالسنة هناك ضياعا ولم يأخذه عنه احد ، ويقال ان سبب هذا دعاء الشيخ ابي القاسم السيوري عليه فانه يحـكى انه كثيرا ما يسيء الادب معه ويتتبع سقطاته حتى جمع نحو ثلاثين مسألة من سقطاته ادعى عليه الخطأ فانـكرهـا الشيخ وقال لاصحابه لا تسمعـوا منه فانه كذاب فاسقط بها وتوفى باصبهان بعد الخمسمائة سنة بعد ان جرت له بها حروب في مطالبة الغزالي ــ وكان احد القائمين عليه هناك لـكن حمي منهم فلم يصلوا اليه ــ والله اعلم بالسرائر ولا إله غيره .

(قال) : ثم انقضت هذه الطبقة بعد الخمسمائـة سنة ولم يبق بالقيروان من له اعتناء بتاريخ لاستيلاء مفسدي الاعراب على افريقية وتخريبها واجلاء اهلها عنها الى

(197) أى محسوب من اهل هذا المكان لا من رجال القيروان

(198) اى رام رئاسة مع هؤلاء فلم ينجح ولذلك استصحب الخ ·

سائر بلاد المسلمين وذهاب الشرائع بعدم من ينصرها من الملوك الى ان منّ الله على الناس بظهور دولة الموحدين فوضحت بها معالم الدين وسبل الحق ورسوم الشرع فظهر بظهورها بافريقية العلماء والصلحاء وذلك في سنة الاخماس سنة خمس وخمسين وخمسمائة (199) والله تعالى أعلم .

٣٢٣ ● ومنهم أبو زكرياء يحيى ابن محمد بن زياد بن عوانة القرشى الفقيه الزاهد

(قال) : كان رحمه الله اوحد اهل زمانه زهدا وعبادة وورعا وتواضعا وسلامة صدر واخلاص في عبادة ، كثير الاتباع للسنة وحفظ آداب الشريعة حتى كان يعد الفاظه والحاظه وحركاته من علمه فيجتهد في اصلاحها وتتقينها على مقتضى الشرع ، حُدّثت عنه انه كان لا يجلس مجلسا الا وهو مستقبل القبلة ، ولا يترك اليتامن في عمل يعمله حتى في فتل الحبل وغيره ، فانه كان لا يفتله الا على اليمين ، حكي ان ابا يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني قال له يوما : رأيت في المنام كأن قائلا يقول لي : الشيخ ابو زكرياء على السنة في كل شيء الا في شيء واحد ! فقال له الشيخ ابو زكرياء : هو كوني اذا سلمت من الصلاة لا أنحرف يمينا ولا شمالا لاني أكره ان اصرف وجهي عن القبلة ! فقال له أبو يوسف : هو الذي قيل لي (قلت) : يحمله على انه كان اماما بخلاف غيره .

(قال) : وكنت اذا نظرت اليه والى احواله كأنك تنظر الى زهاد التابعين لا يكاد يفتر لسانه من ذكر او قراءة قرآن او تعليم علم او امر بمعروف او نهي عن منكر ولا يصنع شيئا من الاشياء الا وهو ذاكر لله تعالى ، طلب العلم واجتهد

---

(199) وهى السنة التى قضى فيها عبد المؤمن بن على على النورمان باحتلال المهدية وتوحيد شمال افريقيا .

وسمع الحديث ورواه تدبر القيروان (200) الى ان مات بها ، وكان من شدة تواضعه يسلم على الصبيان والاماء ويبدأ كل من لقيه بالسلام ، وكان كثير الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم ولا يهاب احدا في حق يقوله ولا يترك شيئا مما يجب عليه فعله او يندب اليه من أجل احد ، وكان يأمر الصبيان باماطة الاذى عن الطريق وكان كثير الاشفاق في امور الآخرة غافلا عن امور الدنيا مخشوشنا في طعامه ولباسه لا يأكل الا الشعير ولا يلبس الا الخشن من الثياب ، واما ورعه فكثير كان يناقش نفسه في حبة شعير اذا سقطت في طعامه حتى يخرجها ، وكان يسير الى منزله في الشرف فيحمل منه المباحات على ظهره فيتقوت بها ، وكان كثير الصيام فربما أفطر على عشب ينبت في الجامع ، ولقد كان انهرش له حائط في داره فمنعه الورع ان يرفعه من الاجر المنقول من خراب القيروان ، وقال لعل بعض أهله أو كلهم في الحياة ، وكان مجاب الدعاء وله كرامات كثيرة ، منها ما اخبرنا به ابو عمران موسى بن عبد الله بن محمد ابن هارون القرشي قال اخبرني ابي عن جدي عن محمد بن هارون وكان مؤذنا بجامع عقبة قال فتحت الصومعة لأذان الصبح فوجدت بها شيخا يصلي فلما سمع حسي خفّف في صلاته ثم صعد الى اعلا الصومعة فتبعته لاني كنت أغلقتها من الليل وليس بها احد فلما قربت منه مشي على الهواء فقلت له : بالله من تكون وكررت القسم عليه قال انا يحيى بن عوانة فاكتم عني ، فلما اذنت نزلت فوجدته قائما يصلي عند المحراب ، واخبرني غير واحد ان الابدال كانوا يأتونه فيخرج معهم الى خارج البلد فقيل ذلك لوالي القيروان ابى الربيع سليمان بن سعيد ، فأمر من يرصدهم اذا اجتمعوا به ، فأعلموه باجتماعهم ، فخرج اليهم فلما قرب منهم حجبوا عنه وعن المتوكلين بهم فجعلوا يطوفون بهم ويقولون هنا كانوا .

---

(200) لا معنى لتدبر البلد ولو على ابعد المجازات ويمكن تصويبه بالقرآن خصوصا وقد جاءت الكلمة بعد قوله : (وسمع الحديث ورواه) واذا قبل هذا التصويب فيسقط لفظ (بها) .

(وحكى) الشيخ ابو سعيد خلف بن ابي شيخ قال أوصاني ابي عند موته ان اتولى الصلاة عليه فقلت نعم فلما حضرت جنازته نظرت الى الناس فاذا فيهم الشيخ ابو زكرياء يحيى بن عوانة فقلت له يا سيدي تقدم فصل على ابي ، فقال : لا ! اد ّ الامانة فتقدمت وصليت عليه ، واخبرني بعض شيوخ القيروان ، قال : تخلف لنا ثور من البقر لم يصحب البقر في المرعى فصليت صلاة الصبح وراء الفقيه ابي زكرياء واتيت الى باب البلد ففتح لي وركضت فرسي الى مكان المرعى فوجدت ابا زكرياء يصلي . فقال لي ما تريد ؟ فأخبرته ، فأشار الى مكان فوجدت الثور فيه ، واخبرني الشيخ ابو زيد عبد الرحمان بن ثابت الصقلي ، عمن حدثه من الثقات ، عن الفقيه ابي زكرياء ، قال خلوت يوما في الجامع وأغلقت على نفسي جميع ابوابه وجعلت أتفكر في امر فإذا برجل خرج من حائط الصومعة فتبعته وعلمت انه ولي الله فقال لي : يا ابا زكرياء رأيتك وانت تفكر في كذا وكذا فقلت له ادع لي فأخذ يدعو الي ّ فالتفت فلم أراه وما ادرى حيث ذهب ، انتفع الناس بعلمه وارشاده ، توفى في غرة رمضان سنة تسع وسبعين وخمسمائة ودفن بباب سلم وقبره معروف .

(قلت) : قال العواني وكان ابو عبد الله محمد والد ابي زكرياء يحيى هذا رجلا صالحا متعبدا ورعا مجتهدا مخشوشنا في طعامه ولباسه متحيزا عن الناس معتكفا على قراءة كتب المواعظ والرقايق واخبار الصالحين حتى يكاد انه صرف كل وقته في ذلك ، فرأى في منامه كأن قائلا يقول له اشتغلت بكلام المخلوقين عن كلام الخالق ، فانتبه مذعورا فقال لله علي ان لا اترك تلاوة القرآن ليلا ولا نهارا ما حييت فعكف على تلاوة القرآن عما كان بسبيله من قراءة كتب الرقائق والزم تلاوة القرآن والنسك والعبادة الى ان توفي وكان محبوبا لم يختلف اثنان في فضله ، وكان الناس يتبركون بلقائه ويقولون انه كان مجاب الدعوة ، اخبرني بذلك كله جدي عبد الملك عن الشيخ العابد ابى يوسف الدهماني ، قال

اخبرني بذلك شيخي الفقيه ابو زكرياء يحيى بن محمد بن عوانة ان والده رأى هذه الرؤيا المذكورة ويقال انه توفي سنة احدى وخمسين وخمسمائة رحمه الله تعالى .

٣٢٤ ● ومنهم أبو الحجاج يوسف ابن حسون المقرى رحمه الله

(قال) : كان من أهل العبادة والزهد والنسك والصلاح والتهجد والصيام وكان هجيراه احياء المساجد الخراب ، وعمارتها بالصلاة والذكر ، وزيارة قبور الصالحين ، واخذ الورد عندها ، وكثيرا ما كان يحيى الليل صلاة بمقبرة البلوية وكان يسمى بالقيرواني (العابد) وهو الذي عمر مسجد الانصار بعد خرابه وكان يؤم به اخبرني ابو زيد عبد الرحمان بن ثابت الصقلي عن ابي سعيد بن ابى شيخ قال كنا نجلس بمسجد الانصار مع الشيخ ابى الحجاج فربما دخلنا نتحدث بأمور الدنيا ونحن نتوهم انه لا يستمع الينا وهو مشغول بالذكر فلما تفرقنا وقام من كان في المسجد قال لي يا ابا سعيد لا تعطل اوقاتك في الفراغ أتدري كم قرأت منذ تحدثت كذا وكذا الف قل هو الله احد قلت له رأيتك كأنك تنظر الينا وتشير برأسك فقال متمثلا :

وشغلت عن فهم الحديث سوى ... ما كان منك فأنتمُ شغلي

واديم نحو محدثي نظري [له] ... ان قد فهمت وعندكم عقلي

واخبرني الشيخ ابو زيد عبد الرحمان بن ثابت الصقلي عن الشيخ ابي علي دهمان بن موسى الزبيدي (201) قال كنت اصلي على الجنايز مع ابي الحجاج في البرج الكبير الذي قرب باب تونس المحدث ، فكنت معه يوما فيه فنظرت اليه فاذا به قد تغير لونه ، وكان من عادته اذا ورد عليه وارد يتغير وجهه ، قال ثم خرج

(201) ق : الزيدى

فابطأ فخرجت أطلبه فوجدته قائما في الهواء وهو يخاطب رجلا — فاما ابو الحجاج فرأيته كلّه ، واما الذي معه فلم ار منه الا شبحه وظله في الحايط — فلما جاء الشيخ اخبرته بما رأيت فقال لي : ذلك الذي أراد الله ان ترى منه .

واخبرني ابو زيد عن ابي علي دهمان ، قال : أتيت الى دار الشيخ ابي الحجاج في يوم جمعة فلم أجده فتكررتُ اليه مرات كل ذلك لا اجده ، فلما كان قرب الصلاة اتيت الى الجامع فقصدت مكانه الذي عادته يصلي فيه الجمعة فلم أجده فيه فلما أقيمت الصلاة اذا به الى الجانبي ، فصليت الجمعة فلما انقضت الصلاة سألته بالله والحجت عليه في القسم ليخبرني اين كان ، فقال : كان بعض اخواني بزغوان حضرته الوفاة اليوم فسرت اليه حتى شهدت موته ودفنه وجئت من فوري ، فلما بلغت جنازته سمعت اقامة الصلاة فبادرت وبين الجنازة والقيروان اميال ، واخبرني أيضا عن ابي علي دهمان قال كان عند الشيخ ابى الحجاج ضيف فدعوتهما الى منزلي وقدمت لهما طعاما فيه زيت فاكلا الطعام ولم يتدما (202) بالزيت فبقيت متفكرا في ذلك ، وكنت لا أشتري الزيت الا ممن اثق به ، فلما كان من الغد لقيت الذي اشتريت منه الزيت فقال : لا تتصرف في ذلك الزيت فقد ظهر لي انه حرام ! ومناقبه كثيرة توفي رحمه الله قبل الثمانين وخمسمائة ودفن بازاء البهلول بن راشد بوصيته بذلك وقبره معلوم رحمة الله عليه .

٣٢٥ ● ومنهم أبو سعيد خلف ابن عوض ابن عبد الله المعروف بابن أبى شيخ الزاهد

(قال) : كان رحمه الله من اكابر الفقراء المجردين وافاضل الزاهدين نزيه النفس حسن الخلق كثير البشاشة بعيدا من الرياء والتصنع زاهدا في الجاه كثير

(202) ياتدما بالزيت يستعملانه اداما .

التواضع لا يكاد من تواضعه يتميز عن غيره وبلغ من زهده انه كان لا يدخر شيئا لغد واذا بات بلا عشاء ولا مضباح يشتد فرحه ويكثر انبساطه ، وكان شديد المبالغة في كتم الفاقة ، وان فتح له بشيء يصرفه للفقراء — وكان واحدا منهم — وربما أخذ منه القوت واعطى الباقي ، قال لي الحاج ابو سعيد خلف الغراب دخلت المغرب وديار مصر والشام والحجاز والعراق ولقيت مشايخ هذه البلاد فما رأيت ازهد في الدنيا والرئاسة من ابي سعيد ابن ابى شيخ .

(وحكى) ابو زيد عبد الرحمان بن ثابت الصقلي قال : كان الشيخ ابو سعيد جارا لنا وكنا نود أن ندخل عليه سرورا ورفقا وكانت بالقيروان مجاعة شديدة ونحن في غاية السّعة بحيث يحتاج الينا جل أهل القيروان ، وابو سعيد في غاية الفاقة والضرورة ، فما اطلعنا قط على حاله بل كان يظهر لنا الكفاية لما يظهر عليه من البشر والسرور بحاله ، وكان يعيش من المباحات كالبقول وبزورها ويوثر منها على المساكين وما اظنه وجبت عليه زكاة الفطر قط ، ولم يزل على فاقته حتى مات رحمة الله عليه ، صحب الشيخ ابا زكرياء يحيى بن عوانة وابا الحجاج يوسف ابن حسون وانتفع بصحبتهما وحج على التوكل والتجريد وله كرامات كثيرة واطلاعات منها ما حكى لي ان رجلا من أهل القيروان يقال له يخلف بن ثابت اشترى زيتا من قفصة وجهه الى القيروان فلما كان في الطريق عرض للقافلة خوف شديد من العرب ، فنذر هذا الرجل في نفسه : ان سلمه الله ان يعطي للشيخ ابي سعيد قفيزا زيتا من زق وكان ابلق فيه زيت طيب فذهب عنهم الخوف ، فلما وصل الى داره اخذ قفيزا زيتا من غير ذلك الزق وحمله الى الشيخ فلما رآه قال له اليس قد نويت ان يكون هذا الزّيت من الزق الابلق فلم لم توف بنذرك .

(وحكى) ان بعض اهل القيروان اكتال طعاما في شكارة (203) على ان

(203) قمحا فى كيس .

يدفعه للشيخ ابي سعيد ، فجعله في بيت وقفل عليه واشتغل عنه ، فبينما هو يسير ذات يوم لقيه الشيخ فقال له : اين الطعام الذي جعلته في الشكارة برسمي فقال له نعم ودفعه اليه ، وفضائله كثيرة عمر عمرا طويلا حتى أقعد ، ومات حمه الله بالقيروان سنة اربع عشرة وستمائة (204) رحمة الله عليه .

٣٢٦ ● ومنهم أبو عبد الله محمد ابن على ابن عبد الله الانصارى المشهور بالدباغ

(قال) : هو والدي رحمه الله كان من كبار العباد وأفاضل الزهاد واهل الجد والاجتهاد كثير سرد الصوم والصلاة بالليل والناس نيام ، مع حزن دائم وخوف مقلق وكثرة نحيب وبكاء وملازمة الجوع والعطش ، ساح في البلدان وخرج عن الاوطان ولقي العباد والبدلاء والاوتاد ، سمعت منه انه قال : لقيت سبعين شيخا من شيوخ القوم آخرهم ابو مدين شعيب بن موسى الاندلسي ، وابو عبد الله الهواري ، كان مولده في حدود الاربعين وخمسمائة ، فلما بلغ عشرين سنة اخذ في سلوك طريق الارادة ومنهج العبادة ، ولم يزل في الجد والاجتهاد حتى مات ، ولقد رأيته يتهجد وهو قد ناهز الثمانين حتى يسقط من طول القيام ثم يعود الى القيام حتى الصباح ، وكان يبكي حتى تقرحت عيناه ، وربما يمر بالآية في تهجده فيكررها الى طائفة من الليل ، وكان في أكثر شهور رمضان يسدّ عليه الباب فلا يأكل ولا يشرب حتى الى يوم الفطر ، (قلت) : محمله على انه تصلي معه زوجته او هي مع غيرها بصلاته وعلى انما المراد بالباب باب الدار ليكون معه فيها بئر يتوضأ منها وما يزيل عنه الحدث والله تعالى اعلم .

(قال) : وكان من اشد الناس صبرا على الجوع ، وكان مع هذا لا تأخذه في الله لومة لائم ، يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر على قلة انصار الحق ،

---

(204) في ق : زيادة ودفن بمقبرة باب تونس وقبره يزار ويتبرك به .

وكان مع زهده في الدنيا ازهد الناس في الجاه وأكثرهم تواضعا للصغير والكبير كثير الصولة على أهل الظلم – ولا سيما الولاة – ما داهن احدا قط ولا شاب عمله برياء ولا أدخر مالا ولا سعي لطلب رئاسة ولا آثر على الله احدا من أهل ولا مال ، وله مناقب كثيرة وكرامات شهيرة منها انه مر على ماجل القيروان وقد جف منه المـاء والناس في عطش شديد فشق عليه ما الناس فيه ، فلما كان بعد ذلك أتي الوادي وامتلا الماجل ، فخرج اليه الناس وخرج الشيخ ، فرآه مملوءا ماء والبرك تعوم فيه فتفكر في ذلك مليا ثم غاب عن حسه فلم يشعر واذا الشيخ جالس في وسط المـاء والناس ينظرون اليه فتوهموا انه سقط فبادروا اليه واخرجوه فوجدوا ثيابه وقدميه لم يبلها ماء البتة وهذه الحكاية يرويها جمهور أهل القيروان .

واخبرنى ابو العباس احمد بن عبد الرحمـان المؤدب المعروف بابن شيخ الرباط وغيره من الثقاة ان الشيخ ابا عبد الله كان عندهم في الدار يخلو فى غرفة وقد اغلقوا عليه الباب بقفل حصين ، فصنعوا ليلة سماعا في اسفـل الدار وحضر فيه طائفة من الصالحين فلم يشعروا الا والشيخ ابو عبد الله بينهم فصعدوا الى الغرفة فوجدوها مقفلة كما كانت واخبرني الشيخ ابو الحسن بن علي بن يخلف (205) اللواتي ان الشيخ ابا عبد الله استدعى ابا القاسم المازري الى مكان فقيل انه رمد ! فقال لابد من إتيانه فأتوا به يقودونه وعيناه كأنهما علقتان فبصق الشيخ في عينيه فبرئ من ساعته وعاد اليه نور عينيه . وأخبرني والدي رحمه الله ان امي اشتهت عليه وهي حامـل بي القثاء في زمن الشتاء ، فمشي الى كدية عند باب الجلادين عادة الناس الجلوس عندها فوجد فيها أصل قثاء فيه أربعة جروات من القثـاء قد امتدوا طـولا .

وأخبرني ابو زيد عبد الرحمـان بن سلامة البادسي قال كنا عند الشيخ ابي عبد الله فاستاذنه قوال في ان يقـول شيئا قال فورد على الشيخ واردُ حال فقام

(205) فى ق : أبو على حسن بن يخلف .

قائما على قدميه – وكان قد أقعد قبل ذلك بمدة من الزمان – واخبرني ابو زيد أيضا قال قال لي الشيخ ابو عبد الله زرت يوما قبر الشيخ ابي الحسن القابسي فلما وضعت يدي على تربته تعلق في يدي منها رائحة مسك اذفر بقي في يدي أياما كثيرة حتى كنت اخفي يدي خوفا من الناس ان يظنوا اني طيبت يدي ، ومناقبه كثيرة وقد ألّفت فيها جزءا ، توفي رحمه الله يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شعبان المكرم سنة ثمان عشرة وستمائة وحضر جنازته عالم من الناس قلّ ما اجتمعوا على جنازة غيره في وقته وكسروا نعشه من كثرة ازدحامهم عليه واخذوا تراب قبره للاستشهاد به (206) ودفن بمقبرة باب تونس وقبره معلوم رحمه الله .

(قلت) : ظاهره انه ارتضى اخذهم من تراب قبره ! وسمعت ان الشيخ الفقيه ابا القاسم العبدوسي الفاسي نزيل تونس حكى عن والده الشيخ الفقيه ابن عمران موسى انه افتى بجواز ذلك وبوضع اليد على القبر وبمسح وجهه بها على وجهه والذي شاهدت شيخنا ابا محمد عبد الله الشبيبي رحمه الله يفتي بان ذلك بدعة وكذلك تقبيل القبر وينهى عن جميع ذلك ، وتبعه – مفتيا بذلك – شيخنا أبو الفضل البرزلي وبه اقول ، وقد قال بعض اصحاب الشيخ ابي اسحاق الجبنياني اتيته بحصيات من المسجد الحرام فقلت للشيخ ابي اسحاق اتحب ان اعطيك شيئا منها تسبح به ؟ فقال لي : يا أحمق ارم بهن فعلى اقل من هذا عبدت الحجارة ، (قال) : وعرفت الشيخ ابا الحسن القابسي بقوله فاعجبه فقهه ، واستشهد بقول مالك فيمن يخرج بحصباء المسجد الحرام في نعليه ان كان قريبا من المسجد الحرام ردّها وان كان بعيدا رمى بها ، وما ذكر من كونه ألّف في مناقبه جزءا بحثت عليه غاية البحث فلم اجده رحمه الله تعالى ورضي عنه ونفعنا وإياكم ببركاته .

---

(206) في ق : للاستشفاء به .

٣٢٧ ● ومنهم أبو يوسف الدهماني (*)

(قال) : كان من اعلام طريق الارادة وكبار مشايخه ، وكان له في ابتداء امره رياضة ومجاهدات وصدق معاملات ، سمع الفقه على الشيخ ابي زكرياء ابن عوانة ولازم مجلسه وانتفع به وسمع الحديث على ابي محمد عبد الله ابن حوط الله وغيره ورحل الى بجاية للقاء الشيخ ابى مدين شعيب بن موسى ، ثم رحل الى الحج سنة خمس وتسعين وخمسمائة ولقي الشيخ ابا عبد الله القرشي رضي الله عنه وجماعة من شيوخ المتصوفين ، واتفقت له مع الشيخ ابى عبد الله كرامات ينقلها جماعة من العلماء والصلحاء مثل ابي عبد الله القرطبي وابي العباس القسطلاني وغيرهم ، وذلك ان الشيخ ابا عبد الله القرشي كان قد هجر السماع وحضوره فلما وصل الشيخ ابو يوسف رغب اليه في ذلك فأجابه اليه وصنع في منزله سماعا لم يبق مشهور بمصر بانفضل الا وحضره ، فلما طاب السماع اخذ الشيخ ابا يوسف واراد حال فارتج عن الارض حتى جلس على الهواء وهو مرتفع يطوف في زوايا البيت ، قال أبو عبد الله القرطبي : كأني أنظر الى بياض قدميه في الهواء ، ثم قدم الى القيروان فبشر بها الميعاد وهدى الله على يديه امما كثيرة من الاعراب والبوادي فنقلهم من اكتساب الحرام والاضرار بالناس الى ملازمة الطاعة والاشتغال بالعبادات .

وكان رحمه الله كثير الكرامات والاستجابات والكلام على الخواطر والاخبار بالامور المغيبات ، روى ابو علي عمر بن عبد الله العالي قال دخلت على الشيخ ابي يوسف يوما فقال لي : كم عندك من الاولاد ؟ فقلت له ما عندي ولد ، قال : تهيا فسيولد لك ولد يكون اسمه ابراهيم ، قال فولد لي ابراهيم ، فجئت الى الشيخ فاعلمته فقال له : تهيّا فسيولد لك اسحاق فولد لي اسحاق وحكى أيضا ابو عفيف صالح بن حسن القرشي قال : دخلت الى الشيخ فسألني عن حالي

(*) في ق : أبو يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني الفقيه العابد .

وعيالي فقلت له عندي اربع بنات وليس عندي ذكر ! فقال : ولم لم تعلمني ؟ فقلت له : اشكوه لك ؟ فقال صدقت ومن هو انا حتى تشكوه الي ، ثم قال لي سيولد لك ولد ثم ثاني وسكت ساعة ثم قال وثالث ! فولد لي حسن ومحمد وبعد ذلك ولد لي ولد عاش اياما ومات .

وحكي عن الشيخ ابي سعيد ابن ابي شيخ قال قصدت الى المهدية لزيارة الشيخ ابى يوسف فلما كنت في الطريق اصابني احتلام في شدة البرد فلم يمكن استعمال الماء وتلوثت مرقعتي فصليت بالتيمم ، فلما دققت الباب على الشيخ اخرج الي ثوبا وقال لي البس هذا واطرح عنك المرقعة ثم قال لزوجته اصنع الماء الحار لابي سعيد ليغتسل فانه جنب .

وحكى ابو العباس احمد بن علي الفقيه المعروف بالقردموس (207) ، قال : كنت بقصر الاجم وكان هناك وال من قبل يحيى بن اسحاق الميورقي فظلم الناس ثم امتدت يده الى الحرام وجاهر بذلك ، قال : فلما وصلت الى المهدية قصدت الى الشيخ ابى يوسف فاعلمته بحال ذلك الوالي وحال الناس معه ، فقال لي يا أحمد انت عندي ثقة وقولك مقبول ، فان تحققت هذا منه فأعلمني فبيني وبين الله عقد أن من جاهر بالمعاصي وهتك حرمات المسلمين اني لا أتركه ، فقلت له : قد تحققت ما قلتُ لك ، فقال : هذا في عنقك ؟ فقلت له : نعم ، فقال قد كفيت امره ، ثم خرجت من عنده فتجهزت للسير الى الاجم فاذا بالرجل المذكور قد وصل ومعه اعوان الميورقي فلما رأيته رجعت لانظر ما يكون من امره فأمر به فضربت عنقه ودخلت الى الشيخ لاعلمه فقال لي قبل ان اعلمه قد اهلك الله الفاجر متى وجدت من هذه حالته فاعلمني به .

---

(207) في ق : الغردموس .

وحكي ان الشيخ ابا يوسف لما وصل الى الاسكندرية لقي بها الشيخ الصالح ابا الوليد – وكان من الاكابر – فمرض الشيخ ابو يوسف فدخل عليه ابو الوليد فقال له ، انت تموت من مرضك هذا وانا اصلي عليك وأدفنك ! فقال له ابو يوسف : بل يعافيني الله تعالى من هذا المرض وتموت انت فأصلي عليك وأدفنك ، فبرىء الشيخ أبو يوسف ومات ابو الوليد فصلى عليه الشيخ ودفنه ، واخباره في هذا النوع كثيرة افردنا لها كتابا على حدة ، وقد تخرج من أصحابه طائفة اشتهروا بالصلاح والفضل .

(قلت) : هو مقدار ثلاثة أرباع رسالة الشيخ ابى محمد بن ابي زيد وها أنا اذكر بعض ما فيه من غير ترتيب لكلامه ، قال فيه : ولد الشيخ أبو يوسف بالبادية بقرب قرية تسمى المسروقين من حوز القيروان ، ونشأ بالبادية والقيروان وقرأ القرآن على ابي عبد الله محمد بن عمر بن جابر رحمه الله وكان أحب اولاد ابيه اليه حكي عنه انه قال : سمعت والدي يوما يقول : ان من قال لابيه : لا ، دخل النار ، فكان من حبه لي ان لا يصرفني في حاجة خوفا ان اقول له لا ، وقال لي منذ عقدت مع الله هذا العقد لا اطلبك بحق هو لي لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وقال : يا رب ما لي على يعقوب ولدي من حق فهو عليه صدقة ، وكان رحمه الله منذ مراهقته البلوغ محافظا على الصلاة متنزها على الفواحش وكان محبا في ركوب الخيل العتاق وكان سبب انقطاعه عن العرب انه قال سرت مرة مع جماعة من بني عمي من عمل القيروان الى المهدية بنية الجهاد عند نزول الروم عليها في وقعة الجمعة المشهورة وكان علي درع حسن وانا راكب على فرس ادهم فلقينا الشيخ الصالح الولي ابو زكرياء بن الاجباري فنظر الينا ثم كرر الي النظر دونهم ثم قبض على ركابي وقال لي ما اسمك يا فتى ؟ فقلت له يعقوب فقال : اسال الله يا فتى ان يفنى شبابك في طاعة الله فثار خاطري لذلك في الحين وكأنما رماني بسهم ، فخرجت من المهدية وانا على خلاف

ما كنت عليه ، ثم وصلت الى القيروان فتركت ركوب الخيل ومكاثرة اهلي وانقطعت الى عمارة مسجد كان هناك بقربنا ثم قصدت الى ميعاد الشيخ الصالح الزاهد الفقيه ابى زكرياء بن عوانة رحمه الله ، ثم لم يزل ملازما لميعاده حتى تعلم كثيرا من العمل ثم لازم الخير والخلوة في المسجد الى ان وصل الى القيروان الشيخ ابو عبد الله البسكري تلميذ ابي الفضل البسكري وصحبه مدة وانتفع به ثم ارتفعت أحواله واخذه في المجاهدة وسلوك سبيل الرياضة وصحب جماعة من كبار المشايخ وانتفع بصحبتهم .

ومن كراماته ما تقدم له في قضية السماع وقيل لابي عبد الله القرشي لم منعت السماع ؟ قال لما فيه من المقاصد لغير الله ، ولما قدم الشيخ ابو يوسف سأله الاذن فيه وحضوره معه قال هذا باب سددناه ومنعناه ، فقال له انا قادم ولي عليكم كرامة القدوم ، فأجابه الى ذلك ، فجعل مجلس سماع حضر فيه اثنا عشر رجلا من الاكابر وجمع من الطلبة والمحبين ، فلما اخذوا في السماع تواجد الشيخ ابو يوسف وارتفع من موضعه في الهواء وقتا ، وقام الشيخ ابو عبد الله القرشي على قدميه وكان زمانا مقعدا منذ أعوام تقدمت ، قال ابو عبد الله القرطبي فجعلت أمدّ يدي وأنا قائم على صدور قدميّ لعلي الحق قدم الشيخ ابي يوسف وهو في الهواء فلم استطع ، فدار ذلك البيت جميعه ثم عاد لى موضعه وأنا أنظر الى بياض قدميه وهو في الهواء فكان الشيخ ابو عبد الله يقول : تقولون ذهب الرجال ؟ انظروا الى هذا البدوي ، وكان رحمه الله تعالى ركب بحر القلزم من مصر الى جدة فهاج البحر — وكان في السفينة طعام السلطان — فأراد خدام السفينة ان يلقوا بعض المغاربة ليسلم طعام السلطان فقال لهم الشيخ : اتقوا الله تغرقون المسلمين من أجل الطعام ؟ فقالوا نخاف عقوبة السلطان ! فقال لهم ارموا القمح فما نقص منه فعلي ضمانه فقيض الله رجلا من الغزّ (208) كان في المركب مع الشيخ فأخذ سيفا وقال

---

(208) صنف من الجلد في مصر .

ان لم تفعلوا ما قال لكم والا قتلت منكم ما اقدر عليه ، فاتفقوا على ان كتبوا على الشيخ وثيقة واشهدوا عليه بذلك ، ثم رموا ما امكنهم ولطف الله بسلامة المسلمين ، فلما وصلوا الى جدة ثقف خدام السلطان خدام السفينة وقالوا : من أين لهذا المغربي ما يؤدي منه ؟ ثم أحضروه فقال لهم : تعالوا الى المركب وكيلوا طعامكم فما نقص فعلي ، فساروا وقال كيلوا بسم الله الرحمان الرحيم فكالوا جميع طعامهم من الذي بقي ولم ينقص شيء ، هكذا حدثني جمع من الفقراء ،

وحدثني بعضهم انه لما طلبوا الشيخ وجدوه مقابلا للبحر جالسا على ساحله والامواج تأتي بالقمح شيئا بعد شيء حتى كمل لهم جميع ما طلبوه ثم طلبوا الشيخ بعد ذلك فلم يجدوه وأهله بجدة ولا بعرفات ، وحدثني الحاج ابو بكر بن سليمان ابن القابلة قال حدثني احمد بن ابي شواط عن أحمد بن فضل الله قال : دخلت يوما على الشيخ ابي يوسف وهو بدار قبر الشيخ ابي عمران الفاسي ، فوجدته يقرأ في الكتب واذا شيخ عليه ثياب خضر وهو جالس على القبر ، فلما جلست رفع الشيخ رأسه وأطبق الكتب وقال : يا أحمد هل رأيت شيئا ؟ فقلت : نعم رأيت الفقيه ابا عمران جالسا فقال : أكتم عليّ يا ولدي ما دمت حيا (قلت) : أنظر توجيه هذا بعد في ذكر كرامات الشيخ صالح الصدفي (209) ، (قال) : وأتى فقير الى زيارة الشيخ ابي مروان المعروف بالتجصيلي بمدينة قوبل (210) فوجده يصيد الحوت فقال له — بعد ان لم عليه وجلس — يا شيخ هكذا تصيد الحوت بسنارة ؟ فقال له يا بني هو ما رأيت ، فقال له : لله رجال لو ارادوا هذا الماء حوتا لكان كذلك وجعل الفقير يده مرارا في الماء ورمى الحوت على الشط ، فلما فعل ذلك قال له الشيخ

---

(209) في ق : كرمات أبي يوسف يعقوب ابن أبي القاسم الزغبي وكلتا النسختين صحيحة انظر ترجمة هذين الشيخين بالجزء الرابع من هذا الكتاب وهما متتابعتان .

(210) في ق : بونقة .

ابو مروان ولله رجال لو أرادوا ان يرجع هذا الرمل ذهبا لرجع وضرب بيده فاذا هو ذهب يلمع ، ولكن استر علي هذا بهذا ، ثم سار الفقير فاجتاز بغيضة في سفره فاذا برجل راكب على سبع ، فقال له ادن فقاله ما عندي قوة أدنو بها اليك ، ثم لم اره ثم اتيت القيروان فزرت بها الشيخ ابا يوسف فلما دخلت عليه قال لي على البديهة : لتهنك الكرامات التي رايت لله رجال يغرفون الحوت من البحر ، ولله رجال يقبضون الدنانير من الرمل ، ولله رجال يركبون السباع ، وغير ذلك ولله رجال أخذوا هذه الاشياء كلها وطووها وجلسوا عليها ولم يعرف أحد ما جلسوا عليه .

وقال ابو زكرياء بن هناص : كنت عند الشيخ برباط شقانص فرفعتُ مرة قلة بالماء على رأسي ، فلما دخلت بها من باب القصر احتشمت وقلت في نفسي : ادخل هكذا والناس جلوس ، وكان الشيخ يمشي امامي فعندما خطر لي ذلك انتهرني وقال : أمش ، كل ما على التراب تراب : واستلقى مرة على قفاه وغاب كأنه ليس بحاضر ، فاقسمت عليه زوجته أم عمر ليخبرنها (211)، فقال : انخرق لي هذا الحائط فشاهدت الكعبة والابدال يطوفون بها فهو الذي أشغلني عنكم ، وعمى في آخر عمره ، وكان اذا اخذ المصحف نظر فيه وكان يقول : البطل من أصحابي بسبعة آلاف (212) والذي حصل في الزمام ويكونون تحت اللواء ان شاء الله اثنا عشر الف .

وقال ابو علي القورى زرت الشيخ ابا يوسف مرة مع أصحاب لي فقال الشيخ : فصّلوا ثوبا لبعض أصحابه ، فقلنا له : ما فينا من يفصل ولا يخيط ،

---

(211) أى بسبب غيبوبته .

(212) يعنى بالبطولة الصدق فى الاتباع .

وفى ق : بعد قوله من اصحابى : (يغفر) وهو بيان لمقامه وقدره عند الله فى الآخرة ، وقوله : والذى حصل الخ يعنى الاتباع الذين تحق لهم الشفاعة المرادة هنا .

فقال يفصله عبد الكريم ويخيطه ، ففصله في الوقت وخاطه ما تقدمت اه بذلك عادة قط ، وقال ابو محمد عبد الكريم هذا سافرنا مع الشيخ مرة فاجتزنا بقصر الكنايس فصنعوا للفقراء طعاما كثيرا فأكلوا وكنت لا أتناول بالنهار (213) ، ثم سرنا وكنت في آخر الرفقة فلحقني رجل من أهل الموضع ومعه اناء فيه شهد وقال لي سألتك بالله الا ما حملته حتى تفطر منه ، فأخذته منه وجعلته تحت ثيابي وسرت ، وكان الشيخ أمامنا عن بعد ، وكان من شأنه اذا مشى في الطريق يسرع ولا يلتفت ، فوقف – كشفا منه – وقال أين عبد الكريم ؟ فنوديت وتقدمت اليه ، فقال ما هذا لا اله الا الله ترفع شيئا تحدثك نفسك انك تفطر عليه بالليل ؟ ومن لك انك تعيش ؟ اخرج الذي تحتك ، فلما وصلنا الى المسجد المعروف بمسجد ابن غانم فتح الله بشهد كثير فعمل في حفنة كبيرة ودعاني فأخذ برأسي وقال : تريد ان اغطس الساعة رأسك فيه ! أردت ان تخبي الى الليل والخلف من الله موجود ؟

وقال الشيخ أبو يوسف – منكرا على اناس – ما يعرفني منهم احد ، انما كان يعرفني اخي ابو علي النفطي رحمة الله عليه الذي اتى عندي مرة فأردت اقامته وأراد السفر ، فكان بنفسه يخرج خارج البلد يطلب الرفقة فلم يجد ، فمكث قرب خمسة عشر يوما فلما لم يجد تفطن وقال لي : سألتك بالله اتركني أمشي ، فقلت له : وعولت ؟ قال : نعم فقلت له : اصلح حوائجك وأخرج خارج البلد تجد الرفقة الساعة تأتي تمشي معها ، فخرجنا في الوقت فاذا بعسكر مقبل الى جهة سفره ، فمشى مع العلامات (214) والخيل آمنا مطمئنا فكان بينهما محبة واحتراما وتراسلا واتحادا كبيرا ، وقال الشيخ كنت أتمنى ان يجمعني الله عزّ وجلّ معه مدة في موضع فقدر ان مكثنا في خباء قرب

---

(213) أي صائما .

(214) العلامات الرايات اخذا من (العلم) .

أربعة أشهر في سنـــة فتح مدينة تونس حتى فتحت فدخلنا وكنا في تلك المدة نسأل الله عزّ وجلّ في حقن دمـاء المسلمين فلطف الله بالحال وكان كذلك فلما أراد الانصراف قال لي : رأيت فيك اربع خصال من خصال أهـل الجنة : ما رأيتك في هذه المدة تمتخط ولا تتثاءب ولا تتمطى ولا تحتلم فقلت له : الحمد لله الذي اظهر لك نعما كنت غافلا عن الشكر عليها وقالت ام عمر زوج الشيخ ابى يوسف : لما اتى اليه الشيخ ابو علي النفطي ادخله البيت ثم قال له الآن : ماءمات سيدي ما دمت حيا (215) وامر بغلق الباب وجعل يقول : اصلح الباب حصل الريم خلف الحجـاب وقال ابو علي لما أراد توديعه ما ثم فرقة انما نحن واحد ثم عطف عليه وتأوه وأنشأ يقـول :

يا هند اني قد وهبتك مهجتي   فنعيمهـا وعذابهـا سيـان
كنا نخافـكم ، ونخشى هجركم   ايـام فرقتنـا ونحـن اثنـان
فاليـوم روح واحـد لا غيـره   اكـرم بـروح ضمها جسـدان

ولما توفى الشيخ ابو علي قال الشيخ ابو يوسف يعقوب نوحي اخلى الديار وايتم الصغـار ولا بد ان آخذ بثأر اخي ابي علي النفطي ! فذكر ان ابن النخيلي سقـاه السم فـكان من ابن النخيلي ما كان قبل موت الشيخ رضي الله عنه ، وكان للشيخ أيضا صحبة طويلة واجتمـاع مع الشيخ ابي محمد المهدوي بزويلة وبالمهدية وغير ذلك كثير ، ولم يزل بينهما التوادد والتراسل من تونس الى القيروان وغير ذلك حتى توفي رحمه الله عليهما ، وكان سفر الشيخ ابي يوسف الى المشرق بعد ان اتى من عند الشيخ ابي مدين فسافر من المهدية في البحر بعد عيد الفطر ، فصلوا الجمعة التي سافروا فيها بالاسـكندرية ، ولحق الرفقة بولده واهله ، فلما جلس مع

---

(215) كانه نزل أبا علي منزلة شيخه واعتبره بنزوله عنده من شيوخه . وأبو علي هذا هو محيي السنة بالجريد ودفن ببلده نفطة ، وتوفي رحمه الله سنة 610 كما في كتاب التشوق .

الاشياخ بمكة اخبرهم باخذ ابن عبد الكريم المهدية ، فقالوا له : وأصحابنا اتوا وما اخبروا بشيء من ذلك ، اتيت على الارض او على غيرها ؟ قال : ذلك صحيح وأتيت من المهدية بعد عيد الفطر بالاهل والولد فتعجبوا من ذلك ، وكان ترك أهله وولده بجدة حين فر من الناس لما قيض الله (216) سلامة المسلمين ووفاء الطعام على يديه واظهار بركته رضي الله عنه .

ورأت مريم ام يحيى بالمنية من نظر صفاقس في منامها قائلا يقول لها سر الى الشيخ ابي زكرياء المعروف بابن هناص بالمهدية وبايعيه قالت فاستيقظت واستعذت بالله من الشيطان الرجيم ونمت فعاد الي ثانية وثالثة وقال لي في الثالثة : ما انا شيطان وانما انا ملك ! قالت فسرت من بلدي الى المهدية في طلب من ذكر لي ، فلما دخلت البلد بقيت حائرة اتوسم من اساله يدلني على موضعه فبينما انا كذلك اذ فتح باب دار فخرج رجل عليه ثوب وعلى رأسه قلنسوة دون عمة فقال لي — على البديهة — أهلا ومرحبا بالمرابطة مريم على عدد ما مشيت من منزلك الى هنا ، والذي يخاطبك هو يعقوب الدهماني ، والذي خوطبت به في منزلك هو عندي في منزلي ، قالت فبقيت متعجبة لكشفه ما خوطبت به في بلدي في منامي ومخاطبته لي باسمي من غير سابق معرفة ، فدخلت الدار فوجدت بها زوجه ام يوسف ولم يكن عنده اذ ذاك غيرها ، ووجدت الشيخ ابا زكرياء عنده في خدمته (217) وحسبك ما خاطبك به اول ما رءاك وكاشفك بما رأيته في المنام وعن السؤال اغناك فقالت فالزمت نفسي لطاعته من ذلك الزمان الى الآن ، وكان عندها للشيخ ابي يوسف زيادة تعظيم وهيبة واحترام لا ينحصر طول حياته وبعد مماته ، وكان لها قرب التسعين او الثمانين فكانت لا تجلس دون

---

(216) الاظهر : لما قدر الله من سلامة المسلمين الخ .

(217) هنا نقص بالاصل ، وتكملته من ق : فاقمت عنده وقتا فقال لى أبو زكرياء : عليك بخدمة الشيخ أبو يوسف فيما امرت وحسبك الخ .

لحاف ولا تستطيع رفع الكلام عنده ولا النظر اليه ولا تقرب منه هيبة واحتراما .

ومرض الشيخ ابو يوسف مرضا شديدا حتى نقل انه قد مات ، فلما بلغ اليها الخبر دهشت وأقعدت وسكنت دهرا لا تستطيع القيام فلما بريء الشيخ من ذلك المرض – وهو الذي قال فيه بشرت بولدين يزدادان لي واعيش اثنى عشر عاما فكان كذلك – فلما سمع الشيخ بخبرها سافر سفرة فلما قرب من موضعها قال لا يخبرها احد بي حتى ادخل المنزل ، فلما دخل قيل لها الشيخ طالع اليك ! فقامت من زمانتها في ساعتها وتلقته خارج باب البيت ، وقالت يا شيخ قيل لي انك متّ فدخلت علي حسرة ، فقال لها يا مريم ولا شيء يحيى ويميت [الا الله] فكان لها في الشيخ قصد عظيم ونية حسنة واتحاد محبة وفراسة .

وقال بعضهم نزل الشيخ عندنا مرة بالقصر وكنت بالقصر الآخر فسرت اليه وقلت في نفسي : تمنيت لو أطعمني الشيخ ثلاث لقم بيده في فمي ! فلما دخلت عليه وجدته في جماعة يتناولون طعاما – والمرابطة مريم جالسة – فلما رأتني قالت للشيخ : ادفع لصاحب الامنية ما طلب ، فاعطاني ثلاث لقم كما خطر في سري فتعجبت من مطابقتهما في ذلك رضي الله عنهما .

ومن كرامتها ما حدث به بعضهم قال : كنا ليلة عند المرابطة في البيت فضربت بيدها – فبقينا ننظر – فقالت : محمد البرزلي اتى اليّ من قصر زياد (218) والاسد بالجابية أخشى أن يروّعه ! والا ما يرى منه باسا ! ثم سكتت ساعة وقالت قوموا افتحوا له الباب فقمنا وفتحنا له الباب فوجدناه قرب الباب آت ونظرنا الى الاسد بالموضع الذي ذكرت لم يتحرك وقال بعض اصحابنا خرجت من المهدية ومعي شيء السرجس (219) برسمها فلما وصلت الغيضة وحان الليل سمعت خلفي

---

(218) رباط مشهور بجهة جبنيانة كان يقال له (دارمالك) لما فيه من الفقهاء .

(219) في ق : الموبس وكلا المفردين مجهول عندنا وهو على كل حال هدية مأكول فيما يظهر .

حسا فاذا وقفت اتحسس اليه ينقطع عني فلم ازل كذلك حتى وصلت ولا رأيت شيئا فلما ضربت الباب وفتح لي اخرجت رأسها من الطاق وقالت له قد وصل ! وصل ! فقلت لها من هو ؟ قالت الاسد كان خلفك يشيعك فنظرت فاذا هو كما ذكرت ، وكانت ام يحيى هذه من خواص أصحاب الشيخ الاول ، وكان يقول اصحابي الاول دخلوا من الباب الذي دخلت منه حصل لهم مثل ما حصل لي وزيادة .

وحدثني ابو محمد بشر الرياحي قال كان الشيخ يخبرنا بعلم كل شيء ويخاطبنا بما يخطر في سرارنا ، وكان يفهم حتى منطق الطير ولقد كان جالسا يوما مع الفقراء — وبهم فاقة وضرورة — فنعق غراب فانصت له ثم زاد فانصت له ثم نعق الثالثة فقال الشيخ ما انتم الا في فاقة ولكن تأتيكم الدنيا الساعة فقد أخبر الغراب بذلك ! فجاء من الفتوح في الوقت ما كفى الجميع ، وحدثني أيضا قال كنا مع الشيخ في سفر فنعق غراب على حايط خراب فوقف الشيخ وانصت ، فقلت له ما هذا يا سيدي فقال قال لي : ما تلقون ان شاء الله الا الخير ، ثم نعق الثانية فانصت الشيخ وقال : قال ابراهيم ولدي يكون خطيبا فكان الامر كذلك ، وحدثني الفقيه ابو عبد الله محمد ابن دلف قال : قلت للشيخ لعلك تنظر لولدك ابراهيم في الخطابة ؟ فانه حقيق بها اذ هي خطة أهل الخير والدين ، فقال لي ان قدر الله بشيء : فسوف يكون ، واخبرك انه كان بقابس فكنت اذا كاتبته بشيء يجري الله على لساني : ابراهيم الخطيب من قبل هذا ! وقد أوقفني ابراهيم ولد الشيخ علي كتب بخط الشيخ له وعلى عنوانه ابو اسحاق الخطيب ، وتاريخ الكتاب — فيما ذكر لي — قبل ان يكون خطيبا ، فقدر الله وكان خطيبا بجامع القيروان مدة طويلة .

وحدثني معمر الخولاني قال كانت لي زوجة سيئة الخلق في معاشرتها لي ولا توافقني على الصلاة ولا خدمة الصالحين ، فاعلمت بذلك الشيخ فقال لي : يا معمر اصبر حتى يموت رضوان فتأخذ زوجته ، وكنت واطنا بالمهدية ورضوان هذا

بالقيروان صحيح ، ثم بعد عامين سرت الى القيروان فوجدت رضوان قد توفي فتزوجت زوجته بعينها ولم اتزوج عليها الى الآن نحو الثلاثين سنة ، وحدثني ابو زيد عبد الرحمان المأموني قال لما حججت وبلغت الاسكندرية ماتت رواحلي وبقيت بالاسكندرية فبلغ اهلي اني مت فجزعوا من ذلك جزعا شديدا فقصد اخي الى الشيخ ابي يوسف بالقيروان ، فلما وقع بصره عليه قال له الشيخ : ذكروا ان اخاك عبد الرحمان قد مات ؟ فقال له نعم ، فقال الشيخ يوم الجمعة من هذا الاسبوع تجتمع مع أخيك ان شاء الله ؛ ثم ان الشيخ رجع على نفسه باللوم والعتاب وهو يقول يعقوب يتكلم على الغيب مرتين ، ثم سكت وهو منكس رأسه ، فاجتمعت مع أخي يوم الجمعة كما قال الشيخ .

وحدثني ابو علي الكسراوي قال : اردت ان اتزوج فاتفق رأي جماعة من الصالحين على امرأة ، فشاورت الشيخ فيها فسكت عني ، ثم غلب علي الطلب في المرأة فاخبرت الشيخ فقال : لي اتفق رأيهم على تلك المرأة فما رأيك انت ؟ قلت ما تأمرني به ، قال ليست لك بزوجة ولو دخلت عليها وبقيت عندك عشرة اعوام وقد زوجتك طفلة هي الآن تلعب ! فقدّر الله ان دخلت بتلك الزوجة فلم اجد من نفسي قوة على النكاح فبقيت عندي كذلك سنة وستة أشهر واثنى عشر يوما ثم اني فارقتها وهي بكر وتزوجت بعد ذلك ابنة عمي وكانت في تلك المدة طفلة وولد لي منها الاولاد وهي عندي الى الآن .

وحدثني ابو عيسى زيد الدهماني قال كنت مع الشيخ فسلم عليه رجل عرفه وقبل يده وسأله في الدعاء فلما انصرف الرجل قال الشيخ : هذا الرجل هو الذي يتزوج زوجتي نعيمة بنت ابي زكرياء بن هناص بعدي ! فلما مات الشيخ تزوجها ذلك الرجل .

وحدثني الواعظ ابو القاسم البجائي قال : كنت بالقيروان فصنعت امرأتي طعاما بعسل فلما قدمته بين يدي قالت : تمنيت ان لو اكل منه سيدي ابو

يوسف ، فقلت لها : صار لنا أبو يوسف طفلا ندعوه في كل وقت وسكتُ قليلا ولم آكل فقرع الباب فقلت : من هذا ، قال : يعقوب ، قال : فقمت اليه ، بادرت الزوجة الحجاب ورفعت العطام فدخل الشيخ وجلس ثم قال : واين ما دعوتموني اليه ؟ فقلت : ها هو حاضر وأتيته به فنظر اليه ورفع لقمة ووضعها وقال لي : امرأتك ارادت ان آكل من هذا الطعام ويعقوب أيضا يريد من يأكل معه ثم نقر باصبعه الى الارض وقال : يا بركة ثم نقر ثانية وقال : يا بركة ثم نقر ثالثة يا بركة تأتي لدار الواعظ فما كان الا قليلا حتى قرع الباب ودخلت علينا بركة وكانت عجوزا صالحة فقال لها الشيخ اما سمعت من أول مرة فقالت : يا سيدي سمعت الاولى والثانية ولم اعرف الى أين آتي الى ان سمعت في الثالثة دار الواعظ فجئت ثم امر بتقديم الطعام فلما رأته قالت : يا سيدي لي مدة اشتهي هذا الطعام بعينه ، فقال نعم كلي هكذا أردنا .

وحدثني الحاج ابو بكر ابن سليمان المعروف بابن القابلة قال : حججت سنة 624 فبينما أنا بالحرم واذا بشيخ فسألني عن بلدي فأخبرته اني من القيروان ، فقال لي من ترك الشيخ ابو يوسف في مكانه ؟ فقلت له نظن في ولده ابراهيم خيرا وهو الآن في هذا المركب ، فقال لي : صدقت ما ثمّ في أولاده الا هو ، ثم قال : يا ولدي كنتم عميانا عنه فما عرفتموه حتى مات كان يصلي المغرب عندكم بالقيروان والعشاء عندنا بمكة ويوم مات صلينا عليه بالحرم ! واقمت بعد ذلك بمكة ثلاثة أشهر فما رأيت ذلك الشيخ من تلك الساعة ولا سمعت له خبرا واظنه من الابدال .

وحدثني جماعة من الفقراء ان الشيخ مر يوما بقصر الكنايس فوصلوا اليه يسلمون عليه ويشكون ما أصابهم من القحط والجذب وضعف أحوال الناس والبهايم ، فرقّ الشيخ لشكواهم حتى بكى رحمة لهم وشفقة عليهم وجرت

دموعه ، قال : فأغاثهم الله تعالى بالمطر الوابل فقال الشيخ عند ذلك : لله رجال اذا بكوا بكت السماء لبكائهم موافقة لهم .

وحدثني ابو علي فضل الصفاقسي قال عطشت ليلة عطشا شديدا ولم اجد ماء ولم أطق صبرا فاخذت الاناء ومددت يدي وقلت يا رب بحرمة سيدي ابي يوسف إلا ما اسقيتني الساعة — والسماء مصحية والنجوم تزهر ويدي ممدودة بالاناء — ثم غلب علي غالب حال غيبني عن حسي فما أدخلت يدي الا وقيض الله بمطر غزير في الوقت فوجدت الماجل قد امتلأ حتى رفع الغطاء .

وحدثني ابو زكرياء يحيى ابن وتران المزاتي ، قال : اخبرني محمد بن سلطان القلالي ، قال : كان رجل من العرب يقال له ابو عتور وكان كثير الفساد والاذاية لاهل مكاننا ولغيرنا وكان له جاه عند أهل سوسة ، فقال له أهل البلد لعلك تسير الى الشيخ يكتب لك كتابا الى صاحب سوسة لعل الله يكف به عنا ظلم هذا العربي ، فلما وصلت الى القيروان سرت الى الشيخ ابي يوسف ، فلما قرعت الباب سمعت الشيخ يقول من قبل ان اتكلم : هذا ابن سلطان ؟ فقلت نعم ، فلما دخلت عليه سألني عن شأني فأخبرته ، فقال لي : يا ولدي ما كتبت لاحد من الولاة سوادا في بياض قط ولكن قد كفيتم مؤونة ذلك الظالم ! فبقيت متحيّرا في أمري ولم اجسر ان اراجع الشيخ ، ثم خرجت من الفور راجعا الى أهلي ، فلما بلغت المكان بلغني ان العربي المذكور ضرب في ذلك اليوم برمح مات منه ، ضربه به ابن عم له وكفانا الله شره .

وحدثني ابو زكرياء يحيى ابن فتوح التوزري قال قدمت على الشيخ زائرا ومعي ابو علي حسن اللمطي ، فقال له الشيخ : يا ابا علي بلغني ان في بلدك رجلين يتكلمان فيك ويقصدانك بالاذى فقلنا له نعم ، فقال الشيخ : دعهما أنا أرمي عليهما الشباك من القيروان ان شاء الله تعالى ، ثم سكت وسرنا الى مضجعنا

فنزل بلطة شيطي (220) للنصرى فخرج الناس جميعا اليه فضرب احد الرجلين بسهم فمات منه وضرب الآخر بحجر على فيه فتهشمت أسنانه فكان بعد ذلك يخدم ابا علي ويكرمه .

وحدثني أبو علي فضل الصفاقسي قال كنا بزويلة جلوسا مع الشيخ في مسجد ورجل جندي ينظر الينا من كوة في المسجد ثم انه سار وعاد ينظر ثم مضى وقام الشيخ وقمنا معه فلما جلس في الدار ساعة دعى بفقير كان عنده فقال له يا سليمان سر الى المسجد الذي كنا فيه وانظر حصره فمضى الفقير ثم عاد وقال يا سيدي ما فيه حصر فبعد ساعة طويلة سمعنا مناديا ينادي على رأس مقطوع : هذا جزاء من فعل كذا فاخرج الشيخ رأسه من طاق في الدار فنظر وقال هذا رأس ذلك الرجل الذي كان ينظر الينا في المسجد فلما خرجنا اخذ حصر المسجد يشرب عليها أصحابه الخمر ففعل الله به هذا ، وتولى الشيخ ابو يوسف القطابة حدث الشيخ حزام المدفون بالمرسى قرب مدينة تونس قال لما زار الشيخ ابو يوسف والشيخ ابو محمد عبد العزيز ابا مدين ببجاية قال لبعض اصحابهما : احتفظوا بهذين الشيخين فانهما تكون لهما القطابة سبعة أعوام ! فقلت له يا سيدي لهما شركة قال تكون للاول فاذا مات يبقى الامر بعده مقدار ما تخلف بعده ، فتوفى الشيخ ابو يوسف بالمحرم من سنة احدى وعشرين وستمائة وتوفى الشيخ ابو محمد في شهر رجب من ذلك العام .

(قلت) : ودخل أبو عبد الله السقطي على الشيخ ابى يوسف بتونس وكنا معه فقال له بعد كلام : يا سيدي اين يكون القطب ؟ قال يا محمد وتسال انت عن القطب لاي شيء تدخل نفسك في هذا ؟ ثم قال له القطب يكون بمكة القطب له عيال واولاد ويكون معك يأكل ويشرب ! فأخذ السقطي عند ذلك حال شديد بغيبة وانزعاج وتواجد كثير ، وسكن ابو يوسف برباط شقانص

(220) لا يعرف هذا المفرد والاقرب انه مركب قرصان بحرى .

بالقيروان (221) ولما مرض الشيخ بعد انقضاء المدة المذكورة واشتد به الامر أراد اولاده دفنه في بعض دورهم او بقرب قبر الشيخ ابى بكر ابن اللباد عند أخيه وبعض أولاده هناك ، ولم يذكر لهم هو شيئا الى ان قدر الله ان بعض الصلحاء راى رؤيا فاتى اليه وقال : يا سيدي رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اتى الى قبر الشيخ ابي الحسن القابسي وركع ركعتين ثم سار مستقبلا طرف المقبرة — يعني موضع قبر الشيخ الآن — فتوضأ وأنا أصب عليه الماء للوضوء وهو يدلك ذراعيه ويدير الماء بمرفقيه كأنه يعلمني ، فلما أكمل الوضوء قام وصلى ركعتين ، ثم انتبهت وقد بنينا بموضع ركوعه محرابا وعمل لنا كرامة هناك سرورا برؤيته وأتى الى الشيخ بشيء من ذلك الطعام ففرقه الشيخ قليلا قليلا على جميع الاهل والاولاد والفقراء تبركا بذلك .

فلما انصرف الرجل قال الشيخ لبعض خواصه الرؤيا التي رأى الرجل صحيحة ، واتيان النبيء صلى الله عليه وسلم لذلك الموضع يري موضع دفني ، واكمال وضوئه اكمال اجلي . وانا اموت في هذه المدة فادفنوني بذلك الموضع الذي ركع فيه ، واحفروا بئرا للطهارة اين وصف لكم نبع الماء من وضوئه ، فكان كما قال مات في ذلك الوقت ودفن بالموضع وحفر بئر بسبب ذلك هناك ، ولما قال الشيخ ادفنوني بذلك المكان قال يا عبد الكريم قم اظفر لنا شيئا من الحلفاء للقفاف لمرمة دار تكون عند قبري ، فصنعت قفتين قبل موته ، وقال ابو علي يونس ولدُ الشيخ لما رأى الرجل تلك الرؤيا قال لي الشيخ عندك مائة دينار تعطيها لي ؟ قلت له وما تصنع بها ؟ قال احوط بها عليك دائرة تقيك من نار جهنم أبني بها دارا عند قبري اذا مت ، فقلت نعم قال وتفعل ؟ قلت نعم ، فلما خرجت آتيه بها قال لي : اصبر وسكت قليلا ثم قال لي اتركها عندك الآن حتى أنظر ما يكون فقدر الله تعالى بموته في تلك المدة وقدر الله ببناء تلك الدار من غير تلك الدراهم على يد بعض اولاده الصغار .

---

(221) يلس بالقيروان رباطات وانما هو بالمنستير لعله اراد بعمل القيروان .

وقال ابو سلام قاسم المازري كنت نائما وزوجتي بقربي فايقضتني وقالت رأيت رؤيا انتبهت منها مرعوبة رأيت شجرة من زيتون عظيمة قلعت وكأن في كل بلد من البلاد فرع من فروعها ، فقلت لها : هذا موت رجل عظيم من الاكابر ، وما بافريقية غير الشيخ ابى يوسف ورجل او رجلين ، فبينما هي تحدث بذلك اذ قرع الباب فخرجت اذا بفقير من أصحاب الشيخ يبكي فقال يا سيدي توفي الشيخ وأمر ان تغسله فدخلت واخبرتها وخرجت معه فغسلته وجهزته وكان ذلك قبل الفجر ليلة عاشوراء في المحرم سنة 621 وعمره اثنان وسبعون عاما .

وقال ابو محمد خلف الجريدي سمعت النداء بموت الشيخ رضي الله عنه فخرجت من منزلي اسال متى يصلى عليه فنظرت الى اعلى الجامع الكبير فرأيت خلقا كثيرا عليهم لباس أبيض فظننت انهم اهل البلد اجتمعوا للصلاة عليه قال فمشيت قليلا فنزلت الى الازقة فرأيت كذلك ثم نظرت الى ابراج سور البلد فرأيتها محشوة بالخلق فصعدت وانا اتعجب من كثرة الخلق فنظرت الى المقابر خارج البلد فرأيت كذلك خلقا كثيرا لا يحصون فلما سلم الامام نظرت الى الجامع والى سائر الامكنة فلم ار فيها احدا فبقيت متعجبا من ذلك .

انتهى الجزء الثالث من معالم الايمان ويليه الجزء الرابع وهو الاخير وأوله ترجمة ابو عبد الله ابن سالم ابن عبد الملك .

فهـــرســت الجـزء الثـالث
من معـالم الايمـان فى معـرفة أهـل القيـروان

سلسلة طبع وتوزيع المكتبة العتيقة

من تراثنا الاسلامي 61 نهج جامع الزيتونة تونس

هى مجموعة علمية تاريخية أدبية يشترك فى ابرازها وتحقيقها علماء إفريقيون وشرقيون وبعثا لهذا التراث الاسلامى الخالد نواصل ـ بعون الله ـ طبع ونشر ما هو صالح لمجتمعنا الاسلامى . وقد ابرزنا الكتب الآتية :

1 ـ قلائد العقيان فى محاسن الاعيان للفتح بن خاقان قدم له ووضع فهارسه (محمد العنابى) .

2 ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تاليف محمد بن ابراهيم الزركشى ، تحقيق (محمد ماضور) .

3 ـ المؤنس فى أخبار إفريقية وتونس ، تاليف محمد الرعينى المعروف بابن دينار ، تحقيق (محمد شمام) .

4 ـ فهرست أبى عبد الله محمد الانصارى المعروف بالرصاع ، تحقيق (محمد العنابى) .

5 ـ تحفة المحبين والاصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الانساب ، تحقيق (محمد العروسى المطوى) .

6 ـ تكميل الصلحاء والاعيان لمعالم الايمان فى أولياء القيروان ، تاليف محمد بن صالح عيسى الكنانى ، تحقيق (محمد العنابى) .

7 ـ درة الحجال فى أسماء الرجال لأبى العباس أحمد بن محمد المكناسى الشهير بابن القاضى ، تحقيق (محمد الأحمدى أبو النور) (الجزء الاول) .

8 ـ الثانى من معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، تأليف محمد الانصارى الدباغ ، واكمله أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجى ، حققه (الشيخ محمد ماضور والدكتور الاحمدى أبو النور) .

9 ـ الثانى من درة الحجال فى اسماء الرجال لأبى العباس أحمد بن محمد المكناسى ، حققه (الدكتور الأحمدى أبو النور) .

10 ـ الثالث منه ، تحقيق (الدكتور الأحمدى أبو النور) وبه يتم الكتاب .

11 ـ الكبائر ، تأليف محمد شمس الدين الذهبى .

12 ـ سبك المقال لفك العقال فى تراجم الصوفية ، تأليف عبد الواحد بن الطواح ، من رجال القرن الثامن الهجرى .
تأخر طبعه لاسباب قاهرة وقريبا نشرع فى طبعه .

13 ـ مشارق الانوار على صحيح الآثار ، للقاضى عياض .
يشتمل على تفسير غريب ، حديث المؤطا والصحيحين وضبط الالفاظ والتنبيه على مواضع الاوهام وضبط اسماء الرجال .

14 ـ الثالث من معالم الايمان المذكور اعلاه ، تحقيق (الشيخ محمد ماضور) .

★ ★ ★

ولنا كتب أخرى خارجة عن هاته السلسلة وهى :

ـ الاول من معالم الايمان فى معرفة أهل القيروان ، للمؤلفين المذكورين اعلاه ، تحقيق (الاستاذ ابراهيم شبوح) .

ـ الجواهر السنية فى شعراء الديار التونسية ، تاليف المنعم الشيخ محمد بيرم الرابع ،حققه (الدكتور الهادى حمودة الغربى) .

ـ الدين والدولة فى تحقيق النبوة ، تاليف أبى الحسن على بن سهل بن الطبرى ، من رجال القرن الثانى للهجرة .

ـ الالماع الى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تاليف القاضى عياض ، تحقيق (الاستاذ السيد أحمد صقر) .

ولنا تحت الطبع :

- كتاب سانحات دمى القصر فى مطارحات بنى العصر ، تأليف محمد بن أحمد الطالوى الدمشقى .
- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، تأليف شيخ الاسلام محيى الدين أبى زكريا .
- يحيى بن شرف النووى ، راجعه وحققه (الاستاذ محمد الصادق بسيس) .



تم طبع هذا الكتاب بمطبعة الشركة
التونسية لفنون الرسم ٠ 20 نهج
المنجي سليم ـ تونس فى شهر
فيفرى 1978 / تحت رقم 77 / 746
الايداع القانونى : I ـ 78

